

# حول الصحوة الإسلامية

تأليف:

محمد علي التسخيري



مَكْتَبَةُ  
لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

حول  
الصحوة الإسلامية

الشيخ محمد علي التسخيري

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

تسخيري. محمد علي.

حول الصحوة الإسلامية / محمد علي التسخيري -

تهران: مجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ١٣٨٣.

٢٠٠ ص.

ISBN: ٩٦٤-٧٩٩٤-٦٤-٨ ریال: ٣٥٠٠٠

عربی:

فهرست نویسی براساس اطلاعات فیبا.

چاپ دوم.

١. وحدت اسلامی. ٢. تقارب مذاهب. ٣. اسلام - قرن ٢٠ م. اسلام - تجدید حیات فکری. الف. مجمع

جهانی تقارب مذاهب اسلامی. ب. عنوان.

٢٩٧/٤٨٢ BP ٢٢٣/٥ ح ٩٤

م٩٣ - ٢٥٥٢٧

کتابخانه ملی ایران



البيانات المطبوعة في المكتبة العامة

الکتاب: حول الصحوة الإسلامية

المؤلف: محمد علي التسخيري

الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية - المعارنی الثقافية

الطبعة: الثانية. ١٤٣٢ هـ . ق - ٢٠١١ م مزيدة ومنقحة

الکمية: ٢٠٠٠ نسخة

السعر: ٣٥٠٠ تومان

ردمک: ISBN ٩٦٤-٧٩٩٤-٦٤-٨

العنوان: الجمهورية الإسلامية في ایران / طهران

ص . ب : ٦٩٩٥ - ١٥٨٧٥

الفهرس

٧	مقدمة الناشر
٩	<b>المقال الاول: حقيقة الصحوة وأعراضها</b>
١١	أ - الصحوة : أسبابها ومظاهرها ودوامها
٣١	ب - الإمام الخميني (ره) والصحوة
٥٧	ج - الصحوة وبعض الأعراض السلبية
٦٩	د - النوع المذهبى في المجتمعات الإسلامية
٩٠	ه - الهوية بين تهديد التنميّة وتداعيات التفريط
١٠١	<b>المقال الثاني: الصحوة والتغيير</b>
١٢١	<b>المقال الثالث: الصحوة والإعلام</b>
١٢٣	أ- الغزو الفكري وأساليب المواجهة
١٤١	ب- عناصر الضعف في الإعلام الإسلامي
١٥١	ج- النقد الذاتي لحركة المفكرين المسلمين اليوم
١٥٥	د- الخطوط الإعلامية المرتبطة لتوحيد العمل التبلغي في العالم الإسلامي

١٦٣	المقال الرابع: الصحوة والغرب
١٩١	المقال الخامس: خلاصة الموقف الغربي من الصحوة
٢٠١	ملحق : مقابلتان صحفيتان
٢٠٣	حول هموم الثقافة والواجهة والتغير
٢٠٩	حول الصحوة الإسلامية والإعلام



## **مقدمة الناشر**

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

هذه باقة من المقالات التي كتبها الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية – في مناسبات شتى – وألقى في مؤتمرات أو نشرت في أعداد متفرقة من بعض المجالات .. إلا أنَّ الذي يجمعها هو تركيزها على قضية الصحة الإسلامية، هذا المارد الإسلامي العظيم الذي يقضى ماضع الاستكبار وعملاته، والإعلام وجه الصحة ووسائلها الناطقة، فلابدَ أن ينسجم تمام الانسجام معها وينشطها ويعمقها ل تقوم بدورها الحضاري المطلوب.

ومن هنا آثرنا أن نجمعها في هذا الكتاب، سائلين المولى جلَّ وعلاً أن ينفع به الوعين المخلصين.

وقد أعدنا طباعة الكتاب تارة أخرى لما وجدنا في ذلك من انسجام مع مجريات الأمور في العالم العربي وتبلور الثورات وغلو واضح في الصحة الإسلامية وتأثيرها على هذه الثورات. كما أثنا أضفنا في هذه الطبعة أفكاراً ومقالات أخرى لم تكن في الطبعة السابقة.

**التعاونية الثقافية**

**للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية**



## **المقال الأول**

---

---

**حقيقة الصحوة وأعراضها**

صفحة سفید

(١)

## الصحوة .. أسبابها ومظاهرها ودوامها<sup>(١)</sup>

يكاد الحديث في هذا الموضوع يعدُّ من أجمل الأحاديث، ل لأنه يتعلّق بأهم قضية وأهم ظاهرة تعيشها الأمة الإسلامية كونها تَتَلَّ منعطفاً في تاريخها المبارك .. وما أجمل أن نرَّكَ على قضايانا المعاصرة من زاويتها العقائدية والمحضارية، بدلاً من الانتغال في مشاكل عقيمة، بعيدة عن الواقع الذي نعيشه والأهداف التي نرنو إليها. وقد ارتَأيت في مجال تناولي هذه الظاهرة المباركة أن أتعرض لها من الزوايا الثلاث: (الحقيقة، الأسباب، الاستدامة) تحقيقاً للترابط المقوم بين هذه الرواية، وتأكيداً للنتائج العملية التي يجب أن تنتهي إليها من خلال البحث.

### حقيقة الصحوة الإسلامية

من نافلة القول أن تتحدث عن التركيبة الإسلامية - ككل - إلا أن التذكير بها يحقق تهديداً لفهم حقيقة الصحوة الإسلامية. فالإسلام عقيدة تحدد للإنسان موقفه من الكون والحياة والإنسان بتاريخه وحاضره ومستقبله. وتتشق من هذه العقيدة مفاهيم تشكل أساساً عملياً واسع الأبعاد. وعلى أساس العقيدة والمفاهيم الحياتية، تتحذّل المواتف الإنسانية مساراً توجهاً خالفاً حقيقاً عنها عندما لا تعيش في هذا الإطار.

(١) أتي في الملتقى الثامن عشر للتفكير الإسلامي في الميزات بتاريخ ١٠/٧/١٩٨٤.

وبعد كلّ هذه الأرضية المناسبة يأتي البناء الاجتماعي الإسلامي ليشمل تخطيط الإسلام كلّ نواحي الحياة الإنسانية.

وحيثند فالسلم الوعي حقاً يتمتع بالعناصر التالية:

**أولاً:** فهم الحقيقة الإسلامية فهماً مطرد العمق.

**وثانياً:** إبيان منطقها بها.

**وثالثاً:** نفوذ إيجانى إلى المواقف، وصياغتها الصياغة التي تترجم بها مع الأسى.

**ورابعاً:** نقل واع لها إلى المجال العلمي، الشخصي والعام.

إنها العناصر التي يمتاز بها المسلم الوعي، والتي يصعد الإنسان بها مدارج الكمال من خلال تأصلها في وجوده وحياته.

وعنصر الفهم يعمُّ فهم الإسلام - أساساً وبناءً نظرياً - من جهة، والإطار العلمي التنفيذي من جهة أخرى، وأعني بالفهم الإسلامي الطيفي فهم التعليمات الإسلامية المادفة لكيفية ملء المساحة المباحة، أو ما أطلق عليها أحد كبار المفكرين منطقة الفراغ، التي تركها الإسلام للحاكم الإسلامي ليقوم بعلتها على ضوء التعليمات مع ملاحظة المصلحة الإسلامية العليا والظروف الموضوعية القائمة. ويعتبر ما يسمى الأمر الموحى به مباشرةً أسمى درجات هذا الفهم في حين يتلوه في الدرجة ما يتحصل بالإجتهاد الأصيل الصحيح.

أما عنصر الإيجان فهو بدوره متفاوت الدرجة، مما يسوغ أن يؤمر الذين آمنوا بالإيجان، وتصعيد هذه الدرجة أو توسيع المساحة الإيجانية، ويشمل الإيجان بالموقع المحدد من الكون والمنطق الحيادي والمهدف السامي ونوع السبيل إلى الهدف.

وإذا ركزنا على الصعيد العاطفي رأينا التدريج نفسه فيه، حتى يصل الأمر إلى مستوى أن يغلاً الحب الإلهي وجود العبد فيسمو حتى ليقول الحديث عن الزهراء - تلميذة الإسلام - : «إن الله تعالى يرضى لرضاها ويغضب لغضبها»<sup>(١)</sup>، وحتى يتحول

الدين إلى حب كله، «هل الدين إلا الحب»<sup>(١)</sup> كما جاء في بعض الروايات. ومن هنا يُدعى المؤمنون إلى تجاوز مرحلة الإيمان العقلي المجرد، إلى مرحلة الحشوع والتحرّك العاطفي. فيقول تعالى:

**(الْمَنِّ يَأْنَلِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ).**<sup>(٢)</sup>

وأخيراً تصل المرحلة إلى عنصر العمل، الذي يأتي بشكل طبيعي بعد التحرّك العاطفي، ذلك لأنّ الإرادة الإنسانية هي حصيلة السوق المؤكّد إلى حد كبير.

وأشدّ الناس ترقّعاً في الشخصية هم: أولئك الذين تفصل أعمالهم عن عقائدهم وعواطفهم، وأذكر هنا مقوله للفرزدق، قالها بعد أن سأله سبط رسول الله الحسين بن علي، عن وضع أهل الكوفة آنذاك فأجاب: «قلوبيهم معك وسيوفهم عليك»<sup>(٣)</sup>. الواقع أنّ انعدام العمل يشكّل قرينة طبيعية على عدم فاعلية الأنس.

يقول القرآن الكريم:

**(أَرَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْبَيْتِمَ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ).**<sup>(٤)</sup>

بعد هذا التحديد لعالم الوعي والصحوة، يمكننا أن نشخص تحقّها في أي زمان وبمجتمع، عبر ملاحظة تحوّلها إلى ظاهرة اجتماعية، وعدم اقتصارها على مجموعة صغيرة. نعم إذا شملت الصحة قطاعاً كبيراً، وتعاظفت معها الأكثريّة الجماهيريّة المسلمة أمّكن - بحق - أن يتحلّى ذلك المجتمع بحالة الصحة الإسلامية.

### هكذا كانت الغفوة

ولقد مرّت أمّتنا الإسلامية بفترات زمنية طويلة، عمتها غفوة، وشملتها تخدير وضياع مقاييس يعتصر هما القلب ألمًا.

(١) الحصال (الصدق) ص .٢١

(٢) الجديد: .١٦

(٣) دلائل الإمامة (الطبراني) ص .١٨٣

(٤) الملاعون: .٣-١

فالفهم الإسلامي الصحيح غير متوفّر إلاً على صعد فردية محدودة الحالات، وحيثـذـ من الطبيعي أن لا تجـد تعالـيم الإسلام الحـيـة للنـفـوس بـجاـلـاـ الطـبـيـعـي المؤـتـرـ في الـقـيـامـ بـبنـاءـ النـفـوسـ والمـجـتمـعـ.

والتجزـيـةـ تـعـملـ عـمـلـهـاـ الخـيـبـيـتـ فـيـ تـزـيقـ الفـرـدـ الـمـسـلـمـ مـنـ كـلـ الجـهـاتـ،ـ فـهـوـ مـرـزـقـ فـيـ رـؤـيـتـهـ الـكـوـنـيـةـ،ـ وـقـدـ أـرـادـ لـهـ الإـسـلـامـ أـنـ يـتـخـذـ رـؤـيـةـ وـاحـدـةـ تـجـاهـ الأـشـيـاءـ،ـ وـهـوـ مـرـزـقـ فـيـ سـخـصـيـتـهـ،ـ حـائـرـ بـيـنـ الـإـلـزـامـ بـقـوـانـينـ السـمـاءـ وـالـاتـجـاهـ مـعـ الـوـاقـعـ الـفـاسـدـ،ـ وـالـسـوـلـامـاتـ الـمـتـعـدـدـةـ،ـ وـأـلـهـةـ التـارـيـخـ وـالـتـمـدـدـنـ،ـ وـالـعـنـصـرـيـةـ،ـ وـالـقـومـيـةـ،ـ وـالـوـطـنـيـةـ،ـ وـالـلـوـنـ وـحـتـىـ الـعـلـمـ،ـ وـكـلـهاـ تـشـكـلـ مـطـلـقـاتـ يـجـرـدـهـاـ الـذـهـنـ الـإـنـسـانـيـ مـنـ نـسـيـتـهـ،ـ وـيـنـحـهاـ صـفـةـ الـإـطـلـاقـ لـشـكـلـ -ـ بـالـتـالـيـ -ـ قـيـودـاـ عـلـىـ التـحـرـكـ الـمـضـارـيـ إـلـىـ الـأـمـامـ،ـ وـيـصـبـ الـانـشـغـالـ بـالـهـمـومـ الـضـيـقةـ وـالـخـصـصـيـةـ هـوـ الـدـيـنـ الـعـامـ؛ـ وـقـلـيلـ أـولـنـكـ الـذـينـ يـفـكـرـونـ لـصـلاحـ الـأـمـةـ كـلـ الـأـمـةـ،ـ وـيـعـيـشـونـ قـضـاـيـاـهـ الرـئـيـسـةـ،ـ وـجـرـائـيمـ الـكـفـرـ وـالـأـخـرـافـ الـفـكـرـيـ وـالـخـلـقـيـ تـسـودـ الـسـاحـةـ،ـ فـلـاـ تـجـدـ أـمـامـهـاـ مـنـ يـقـفـ فـيـ وـجـهـهـاـ،ـ وـالـرـوـحـ الـحـمـاسـيـةـ مـيـةـ،ـ إـلـاـ تـعـصـبـاـ لـمـالـ أوـ تـجـمـعـ أوـ مـذـهـبـ خـاصـ أوـ حـاـكـمـ طـاغـ.

وـمـنـ الـطـبـيـعـيـ -ـ وـالـحـالـ هـذـهـ -ـ أـنـ تـكـوـنـ هـذـهـ الـقـابـلـيـةـ حـفـزاـ لـلـاحتـلـالـ عـلـىـ مـخـتـلـفـ الصـدـعـ وـمـنـهـ الصـعـيدـ الـعـسـكـرـيـ.

وهـكـنـاـ كـانـ الـحـالـ،ـ وـيـدـأـتـ -ـ الصـحـوـةـ شـيـئـاـ فـشـيـئـاـ -ـ حـتـىـ بـلـفـتـ مـاـ نـخـنـ فـيـ حـالـ.

### معالم الصحوة

وـقـدـ تـقـتـلـتـ مـعـالـمـ الصـحـوـةـ الـيـوـمـ فـيـ أـمـورـ كـثـيرـةـ،ـ لـسـاـ بـصـدـ اـسـتـيـعـاـبـاـ بـقـدـرـ مـاـ نـخـنـ فـيـ مـنـ الإـشـارـةـ،ـ حـيـثـ نـجـدـهـاـ فـيـ:

- ـ هـذـاـ الـاتـجـاهـ الـعـامـ نـحـوـ نـفـئـ الـإـسـلـامـ وـمـرـفـةـ جـوـانـيـهـ الـحـيـاتـيـةـ.
- ـ وـهـذـاـ الـاتـجـاهـ الصـارـمـ لـلـقـطـاعـاتـ الـمـخـلـتـفـةـ -ـ وـخـصـوصـاـ قـطـاعـ الـجـيلـ الشـابـ -ـ نـحـوـ تـطـيـقـ الـإـسـلـامـ،ـ فـيـ كـلـ شـؤـونـ الـحـيـاةـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـالـفـرـديـةـ،ـ وـالـنـظـرـ لـلـإـسـلـامـ كـمـقـدـ منـ كـلـ الـمـهـالـكـ وـالـمـشاـكـلـ،ـ الـتـيـ تـورـطـتـ فـيـهاـ مـسـيـرةـ الـأـمـةـ .

- وهذا التفهم الوعي لدور قوى الاستكبار العالمي في التخطيط لسن الشخصية الإسلامية ثم العمل على امتصاص دمائها.
- وكذلك تفهم الطاقات الضخمة التي تملّكتها الأمة المسلمة، وطبيعة المرحلة التاريخية التي تعيشها.
- وكذلك هذا الترابط الإحساسى والشعورى بين أفرادها، حتى ليهتزَّ المسلمون فى أقصى المعمورة لألم المسلم فى الجانب الآخر منها.
- وهذا الاتجاه الرائع نحو الوحدة الإسلامية والتقرير بين المذهب، وتتناسى الصراعات الجانبيّة.
- ثم هذا التخطيط المثبت هنا وهناك لاستعادة الجهد الإسلامي، وإقامة الدولة الإسلامية الموحّدة على كلّ الأرض الإسلامية. ورغم اختلاف مستويات التخطيط فإنّها تكشف جيّعاً عن التطلع والعمل على صنع المستقبل.
- وهذه الحرارة التورية المتصاعدة، والتي راحت تقضي مساجع اللصوص الكبار، وتهزّ عروش العلّام الصغار، وغزّق أستار المسترين والمترقيين. إنّها حرارة الخشوع والتضحية والقداء في سبيل العقيدة، وهي تستمدّ أوارها من انطلاقات المسلمين في الصدر الأول نحو الجهاد في سبيل إعلام راية الإسلام، ناسياً دنياه ومتنه، في سبيل متعة تحقيق الهدف السامي العظيم.
- وأخيراً وليس آخرأ: هذا الاتجاه الجماهيري نحو تعميم الأخلاق الإسلامية على المجتمع، ونفي مظاهر الطاغوت والمصيانت، إذ رأينا العجب الإسلامي يسري سريان العافية في أوصال المجتمعات الإسلامية، ورأينا النفور من مظاهر الخلاعة والخمر والميسر وبباقي العادات السيئة؛ وذلك يمثل ظاهرة إسلامية حميدة.
- كلّ هذا أربع دهافنة الكفر وعلماءهم، حتى أيقنوا أنّ ما كانوا يخشونه قد تحقّق، واستعادوا - من جديد - إلى ذاكرتهم مقوله غلادستون عن القرآن، كأكبر عنصر دفاعي لدى المسلمين، ومقوله ديفيول حين حذّرهم - في الأربعينيات - من هذا العملاق الشائم، والذي تداعب خصلات شعره مياه الأطلسي، وتفعل رجليه مياه المحيط الهادئ...»

ومقولة الجنرال غلوب باشا (إنَّ تاريخ مشكلة الشرق الأوسط يعود إلى القرن السابع للميلاد) فراحوا يكررون التحذير.

وزير الخارجية الأمريكي يحذر العالم من اليقظة الإسلامية ووزير الخارجية الإسرائيلي يكرر التحذير، وهذان الملايين المتعابيان في الشرق والغرب يضعان يداً بيد لمواجهة المد الإسلامي. لقد اشتد التخطيط لمواجهة هذا السيل الإسلامي العارم، الذي يهدد حضارتهم بالزوال، لأنَّه يحمل العلاج الناجع، والذي يزَّق أحلامهم، ويقضي على مفاهيم الرخيبة.

وكأنَّ الاستعمار - بين عشية وضحاها - وجد أنَّ كلَّ أحاديَّله وبؤره السرطانية التي زرعها في قلب هذه الأمة تزول، وكلَّ الآلة التي نصبها أمامها - كما أشرنا إليها من قبل - تتهاوى وتسُرُّقَ تماماً، كما وجد البشر المسيحيون أنفسهم في حيرة، عندما حدَّث بعض المسلمين عن معاجز (الرب المسيح) فراحوا يصلُّون على محمد وآل محمد. لقد وجد الاستعمار أنَّ القوى والأساطيل الجامدة تذوب عند كلَّ صرخة تكبير يطلقها مجاهد مسلم، واستولى الرعب على الطفأة عندما وجدوا أنَّ القيود والسجون ترتجف، أمام تكبير الأسير المسلم وصرخته الربانية الماءِ.

### أسباب الصحوة

وليس من الصعب على من ينطلق في تفكيره من زاوية إسلامية موضوعية أن يكتشف، أسباب هذا التحول العظيم في حياة الأمة . نعم قد يعمي عنها المسؤول القلب، أمَّا البصیر، فلا يشك في كونه لطفاً إلهياً محضاً، شمل هذه الأمة بعد فقرة، وأهلها لأن تطرح نفسها في الساحة العالمية، وتعْکِن إسلامها من قيادة العالم من جديد، موطنَةً لليوم الموعود، حيث (يكون الدين كله هـ).

أمَّا العناصر التي أهلت الأمة لشمول هذا اللطف الإلهي لها، فهي:  
أولاً: العمل الدؤوب للعلماء والمفكرين الذين أحسوا بداء هذه الأمة ، وراحوا يخططون ويرسمون لها سبل العلاج. الواقع أنَّ عمل العلماء انتَصبَ على أن يستعيد

الإسلام دوره في الفوس والعقول، وحيثئذ فهو يتكتل بدفعها نحو سبل السعادة، بما يحمله من طاقات ذاتية، وإبداع متدقق يفجر طاقات الفطرة، ويستخرج مكوناتها، ويستير دفائتها، وإذا تجلّت الفطرة النفسية على صعيد الحياة، كان الفلاح كله.

والجدير بالذكر أنَّ هؤلاء المفكرين لم يستطعوا أن يحققوا ما حققوه إلا بعد أن حرروا نفوسهم من المتع الرخيصة، ونذرلوا أنفسهم للمهدى، وتخلصوا من قيود التبعية، للحكام الذين شكلوا – في فترة الفوضى – قيوداً ظالمة، وإن بعد أن اتصفوا بالعلمية والروح التغیرية الإسلامية معاً.

ولن تستطيع كلَّ أساليب التمويه والمخداع والاتهام أن تحوِّل من أسماع الأمة صرخات الأسدآبادي (الأفغاني) وعبدة، والبنا، وسيد، وعودة، والموهودي، وابن باديس، والإبراهيمي، والمطهرى، والشهيد الصدر، والإمام الخميني، بعد أن أدت دورها العظيم في تحقيق هذه الصحوة المباركة.

ثانياً: الدور الرائع الذي قامت به الحركات الإسلامية، في نشر التوعية والحماس التوري بين أبناء الأمة . وقد اختلف تأثير هذه الحركات على هذه المنطقة أو تلك، كما اختلف مستوى الوعي والحماس لدى هذه الحركة عن تلك، إلا أنها جميعاً قد أثبتت الشوق الجماهيري نحو تطبيق الإسلام، وأوجدت شعوراً ذا مساحة معتمدةً بها، بل زووم مقاومة مظاهر الطاغوت، والعودة للإسلام... وإنني لأعلم أنَّ الكثير من أبناء هذه الأمة قد اهتدى بفعل تأثير هذا العامل، كما أعلم أنَّ الكثير من المحاولات الاستعمارية، والعملية، قد جرت لجرِّ بعضها إلى سهل الاحتواء، أو الانضواء تحت الرأيارات الخادعة، أو الاعتماد على أنظمة لا تمتُّ إلى الإسلام بصلة . وطبعي أنَّ هذه المحاولات لابدَّ أن ينكشف زيفها في فضاء الوعي السائد، وهكذا كان الأمر، وراحت حركة التوعية تقطع أشواطها الضخمة التأثير.

ثالثاً: ردود الفعل التي اعقبت الهجوم الغربي الفاشل على العالم الإسلامي، وبالرغم من التخطيط الدقيق لهذا الهجوم، والعمل على أن يستوعب مختلف الجوانب المحيطة ويستكمِل كلَّ عناصر النجاح المطلوب، بل وبالرغم من هذا النجاح الظاهري، الذي

تصور الاستكبار العالمي أنه حققه، فسلب الأمة فكرها، وإيمانها بإسلامها، وعافتها الحماسية، وشخصيتها، وبالتالي ترورها المادية، حتى ظن أنها قد ماتت، أو هي توشك على الموت، بعد أن شد وثاقها بالحدود المصطنعة، ومزق وجودها بالساحر القومي، والوطني، والنصرى، والتاريخي، وزرع في وجودها البؤر السرطانية الخبيثة، وأنقل كاهلها بالحكام العلامة، وسرّب إلى أوصالها سموه الفكرية والعاطفية، وملأ حياتها بالمعون والترف والفسق<sup>(١)</sup>.

وبالرغم من كل هذا اتّجح الهجوم نتيجة عكسية، فقد أيقظ الأمة وعلمها أنَّ سرَّ وجودها هو إسلامها العظيم، وأنَّها لن تجد السعادة إلاً في ظله.

وقد كان تأثير الهجوم الغربي لصالح الصحوة على طريقين:

الأول: أنه كشف نفسه وحضارته، وأخلاقه أمام أبناء هذه الأمة . فلقد أثبتت كل الآراء والنظم التي خططتها للحياة الاجتماعية فشلها، وعمقها، وغرتها عن فطرة الإنسان، وشعور المسلم وعقليته. وهي حقيقة أدركها الاستعمار تماماً قبل غيره، فراح يستر فشلها بعملية الترقيع، أي عملية إلباس الأفكار الغربية لبوس العروبة والشرق والإسلام، مما فضح به نفسه أكثر فأكثر.

لقد أثبتت الفلسفة الغربية خواصها أمام الفلسفة الإسلامية، وأعلنت التنظيمات الغربية عن إفلاتها أمام عمق التخطيط الإسلامي. أما الحرية والإنسانية فلا يستخدمها الغرب إلا كشعارات لا مضمون لها على الإطلاق... كلَّ هذا ترك أثره - بلا ريب - في التوعية من حيث لا يريد العدو.

الثاني: أنه دفع المؤمنين المريضين على مستقبل هذه الأمة لاتخاذ موقف المواجهة والتخطيط الدؤوب للصحوة المباركة.

وبعد هذا الفشل لم تنفع الاستعمار كلَّ أساليب التعطيل الخبيثة، ولم تجده نفعاً حتى

(١) إنَّ من كان يرى إيران في عهد الشاه يصيغ الذهول لمصير هذه الأمة . واليأس القاتل من هداها، وعودتها إلى الإسلام.

الأقمعة الإسلامية، والمظاهر الخادعة التي تعلن الدفاع عن الإسلام، ولكنها تحرف الإسلام نفسه في أذهان الأمة ، وتفرغه من محتواه الشوري والتغييري، فإذا بعاداته طقوس واجترار عقيم، وإذا بنظمه قيود للحياة الفردية، وانزواء عن الحياة الاجتماعية. إله التحرير والتخريف، وهو أمر لا ينطلي على الفطرة التي سرعان ما تكتشف زيفه فينقلب الأمر لصالح الحقيقة.

وكان من جملة ما انكشف زيفه للجماهير المسلمة، تلك الصيغ الرجعية للحكم (الإسلامي)، وتلك الأطروحتات البديلة الموهبة للوحدة الإسلامية، والتي صورتها للأمة وحدة بين الحكماء، وراحت تعلن للأمة - كل يوم - أنها تسير على خطى تحقيق الوحدة. وتمر أعوام وأعوام، وإذا بالأمة تجد نفسها أسيرة الخداع من أول الطريق، فلا الشخصية عادت، ولا الأرض السلبية استعيدت ولا الفوارق الظالمه الاجتماعية رفت، بل سار الحال من سيء إلى أسوأ، يغضب له الرب العظيم، ويفرح له الشيطان الرجيم. نعم، فشلت كل أساليب مقاومة الهجوم الغربي بالأسلوب الغربي، لا شيء إلا لأنها كانت من صنع الغرب نفسه، وأنى تقد الأمة من ورطتها الحادة الأساليب الشيوعية أو الليبرالية.

رابعاً: الأحداث الكبرى في العالم الإسلامي وفي مقدمتها نجاح الثورة الإسلامية المباركة بقيادة الإمام العالم الزاهد الشجاع الحسيني، والتي هزت العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه وحققت حلمًا كان يبدو بعيد التحقق، من شعب أعزل، لا يملك إلا إيمانه وقبضاته العزلاء. وقد كان هذه الثورة المباركة، الكثير الكثير من المعطيات التي أثرت أنراً كبيراً في تحقيـق الصحوة، وتأمـيمها، وانتشارـها.

وشملت تلك المعطيات الصعد الحياتية المختلفة، وأعطـت الأمة الإسلامية والعالم دروساً رائعة. إنـها أكدـت للشعوب المسلمة:

- قدرـتها على أن تـقارع أقوى القوى وتهـزمـها.

- وضرورـة الـقيـادةـ الحـكـيـمةـ،ـ والـقـافـ الشـعـبـ حـوـلـهـ.

- ولـزـومـ تـحرـرـ الـعـلـمـاءـ منـ سـيـطـرـةـ الـحـكـوـمـاتـ،ـ لـيـقـوـدـواـ شـعـوبـهـ.

- وكيف تتدخل يد الغيب في نصرة المؤمنين وإرباب الظفارة.
  - ونوعية ومقدار المعجزات التي يتحققها الدور الفعال للشعب المسلم، في الساحة السياسية والشرعية.
  - وكيف يتلاحم مبدأ قيادة الفقيه العادل ونظام الشورى، في عملية رائعة الأثر.
  - وكيف يتحول كلَّ التأثير الاستعماري لصالح القضية الإسلامية.
  - وأنَّ الإسلام يستطيع - نظرياً وعملياً - أن يشمل جميع الموابن الحياتية.
  - وكيف يتم تطهير الجموع من الاحغرافات الأخلاقية والاجتماعية وفضح الأنظمة التي ادعَت الإسلام وخدَمت قضية الاستكبار.
  - ولزوم تقديم القرابين من أجل الإسلام، والدروس المعتبرة في الشهادة والت سابق نحوها، بما لم يعهد إلَّا في الصدر الإسلامي الأول.
  - وتحدى هيبة الدول الكافرة (العظمى) وتُعرِّج أنوفها في التراب.
- وقد استطاعت الثورة الإسلامية أن تهزم كلَّ الأساليب القومية، والوطنية الضيقة، والشيوخية الملحدة، والليبرالية غير الملتزمة، وكلَّ الطروحات التي موهَّة الغرب بها على الأمة الإسلامية. كما دعت إلى توحيد المسلمين ضدَّ العدو الكافر، بأروع الخطى في هذا السبيل، واتهجهت سياسة اقتصادية مستقلة، قائمة على أساس تحقيق الاكتفاء الذاتي، فاستطاعت أن تقف على قدميها، رغم كلَّ ألغام الحصار والظروف القاسية التي فرضها الاستعمار وعملاؤه، وغيَّرت كلَّ أساليب التعليم وأضفت عليها الصبغة الإسلامية الحالصة. وظهرت كلَّ وسائل الإعلام من أدران الاحغراف والتخييف، وأضفَعَتْ أساسَ إعلام إسلامي نزيه، واتبعت نظاماً تربوياً إسلامياً، شملَ كلَّ الموابن. ونجحت في القضاء على الناقصات الحادة بين الفئات الاجتماعية، عاملة في سبيل الارتفاع بالطبقية المحرومة، مانعة من الإسراف وتجاوز الحد، دون أن تخُرج عن المحدود الإسلامي، ولا تستطيع أن تستمر في تعداد المعطيات فهي مَمَا لا يمكن عرضه بهذه المجلة.
- كلَّ هذه المعطيات وغيرها كثير كثير أحدثت ثورة في كلَّ مكان، وهزَّت الجماهير هزَّاً، وفتحت آفاقَ الأمل نحو الفد الإسلامي، الأمر الذي لاحق شبحه الاستعمار وعلماءه في كلَّ مكان، فراح يعيَّد النظر في حساباته من جديد، بعد أن أعلنت عقوله الالكترونية المقدمة فشلها في تحرير الموقف الجديد.

على أثنا يجُب أن لا تنسى وجود بعض العوامل الأخرى للصحة، ولكنها - مهما تسامت - ثانوية جداً، لا تستطيع أن تحظى بهذا الشرف الكبير.

## ديمومة الصحة

### أولاً: صيانة الصحة

إنَّ هذه الصحة من أعظم النعم علينا، فينبغي أن نشكر الله تعالى عليها، وشكر هذه النعمة يعني الانسجام معها، ووعيها جيداً، والعمل على تعزيزها وتعيقها وديمومتها في الحياة. فالتحول الكبير لا يتم إلا في فترات الصحة العامة، والقائد الفذ هو الذي يستطيع أن يضمن الوعي التأجيج حسناً في شعبه لقضيته الكبرى، فإذا ما خبا ذلك التأجيج، كان ذلك ايزاناً بموت المسيرة بلا ريب. إنَّ التأجيج الوعي ليحوّل كلَّ العقبات إلى جسور، وكلَّ المؤامرات المعادية إلى ضربات معاكسة، يزكي بها نفسه، وينفي عن وجوده النفيات الضارة.

ويجب أن لا تغيب عن بالينا حقيقة مهمة هي: أنَّ الإيذان قد يحصل في لحظة صحة وبكل سهولة، ولكن الأمر الصعب هو الاستقامة على خطأه، والعمل بقتضياته، والصمود أمام الضربات والعقبات الداخلية والخارجية. وربما كانت هذه الصعوبة هي السر الكامن في قوله : «شيتني سورة هود»<sup>(١)</sup>. وذلك لمكان آية الاستقامة فيها: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَغْكَ)<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يمكن أن ينطبق الأمر على التحولات التي تحدّنها صحة اجتماعية ما، فقد يكون السيل عارماً، والثورة ضخمة بحيث لا يقف أمامها الطفاة، وقد تحدث بارقة فستم الصحة قطاعاً واسعاً.

أما الأمر المهم فهو المحافظة على الصحة، ونتائج الثورة المباركة، وإدامتها بعد أن يهدأ الطوفان، ويعلك العدو الفرصة الكافية للمواجهة والتخطيط، بل وتسحب من

(١) كنز المصال ج ١، ص ٥٧٤

(٢) هود: ١١٢

الميدان العام عناصر فقدت فاعليتها، أو رأت الأمر على خلاف مصلحتها الذاتية، أو غير ذلك مما يوجد - عادة - في سبيل العاملين.

ومن هنا فإنَّ على كلَّ الوعيين القادة، وكلَّ مسلم يدعو ربَّه أن يجعله للمتقين إماماً، أن يجعلوا الحفاظ على الصحوة، بل وتوسعتها وتأجيجها، في طبيعة ما يفكرون به، ويعملون على صيانته، وإلا فالخيانة العظمى، والغريط المخزي، وأنَّ عليهم أن يدعوا دفع عجلة النهضة الفكرية والعملية، بكلِّ ما يملكون من طاقة، وبعد أن يحرروا وجودهم وفكرهم من سيطرة الطواغيت، والعمالة للأجنبي، فالتحرير الذاتي شرط أساس لعملية التحرير الاجتماعي.

وبينبغي لهم أن لا يتواتروا في عملية ضخ الزخم التورى في العروق النابضة. فأى فتور في ذلك يعني النكوص بلا ريب، وعندما أخذت عن الثورة فلا أعني إلا التغيير على الخط الفطري الصاعد، والذي تلاحم فيه العقيدة والمفاهيم، والعواطف والأعمال، وهو ما أشرنا إليه آنفأ.

### **ثانياً: الصحوة والتطرفُ**

لابدَ أن تبه إلى أنَّ هناك أعراضاً قد تصاحب عملية الصحوة، أو عملية الشورة، ينبغي للعاملين أن يلتقطوا لها:

فنَّ أعراض الصحوة ما قد يbedo لدى بعض الأشخاص من تطرف في تقييم الجهاد، حتى ليرفض الدخول في أي حوار فردي ببناء، أو حكم لسلوك خاص، مجححة الانشغال في عملية الجهاد، بل قد يكون التركيز كله على نصوص الجهاد، مع إهال النصوص الأخرى. وما هي - جيئاً - إلا أجزاء نظام فكري وعملي متلاحم، لا يتم عطاوه إلا بالتركيب والتاغم والانسجام، وقد ابتلينا في إيران وغيرها بأناس جهلة، تصوروا أنَّ الإسلام ينحصر في هذا المعنى، وانحرفو إلى الحد الذي نبذوا معه الإسلام نفسه، وانخرطوا في المسلك اليساري الالحادي.

كما أنَّ من أعراضها على الصعيد الاجتهادي أن يفرط المرء في التجديد، حتى لينبذ الأسس القوية التي أسسها القدماء من المفكرين المسلمين، وحتى ليتصور الإنسان أنه ينبغي أن ينفصل عن كلّ تراثه، مجححة الصحة الجديدة.

إلا أنَّ الصحة إذا امتلكت قيادتها الوعي، وأحسنت في شتى مجالاتها بالشمول الإسلامي والتفاعل الإنساني، كهدف إسلامي، لم تحرف إلى مجالات التطرف.

على أثنا يجب أن لا نغفل أمراً آخر هو أنَّ الكثير مما توصم به الصحة الإسلامية اليوم من تطرف يعبر عن لؤم، أو تقاعس، أو خطأ حيث للقضاء عليها، أو استسلام لهم جامد، أو هوى حاكم فاسق، أو ما إلى ذلك من الأدواء التي يصاب بها بعض الناس.

### **ثالثاً: الصحة والتهم**

رأينا أنَّ صحة الأمة الإسلامية أمر حذر منه دهاقنة الكفر على مرَّ المصور، بعد أن أدركوا أنَّ الإسلام إذا انطلق من عقاله تحمله جماهيره الوعية فلن يبقى لتنظيمهم ومصالحهم وخططهم المستقبلية باقية، وقلنا إنَّ الاستقامة على الصحة هو الأمر الأصعب، بعد أن تنشر الشبهات، ومن هنا فقد بدأت التهم الاستكبارية تسحال، وتتشكل بأشكال مختلفة، ورحنا نستمع إلى عبارات من قبيل: الفتنة التقليدية، الفتنة الرجعية، الفتنة التي تخرب الأعراف الاجتماعية، الفرق الاتجارية، الإرهاب الإسلامي، وما إلى ذلك.

وإذا كانت التهم قد استطاعت أن توقف مسيرة الإسلام العظيم المادرة في الصرار الأول، فإنَّها تستطيع أن تؤثر أثراًها اليوم، أما الوعي الثوري الأصيل ينتشر، والجماهير حاضرة في الساحة الإسلامية العامة، والمفكرون الوعاعون يتصدرون لنشر الحقيقة، فإنَّ كيد الشيطان الأكبر، والشياطين الصغار، يرد إلى نحورهم بلا ريب، بفضل الله تعالى وعنائه.

## رابعاً: الصحوة الإسلامية والاحتواء

عملية الاحتواء ثم التحرير هي من أخطر العمليات التي واجهها الإسلام خلال تاريخه الطويل، وهي - نفسها - أخطر ما تواجهه الصحوة الإسلامية اليوم... لقد تمثلت الصحوة في عطش جماهيري حاد لتطبيق الإسلام على كل شؤون حياتها، وطرحه على الساحة العالمية مبدأ يهزّ أبادى المترفة، ويعمل على نفي كل البؤر الطاغوتية في الحياة والمسيرة... وما أن أحس الاستكبار بأنه لا يستطيع أن يواجه هذا السيل حتى خطط لاحتوائه أو امتصاص كل ذلك الشوق الجماهيري من خلال سرحيات وعمليات وشعارات برأفة تحلب الألباب، دون أن تحمل مضمناً خاصاً، وصرنا حينذاك نشهد على الساحة الإسلامية اتجاه الكبير من الأنظمة لطرح الإسلام، وإعلان الكثير من الحكام الدين المصطنع، وعقد الكثير من المؤتمرات الضخمة المترفة باسم الإسلام، بل وتشكيل المنظمات الدولية (الإسلامية)، وتفرعها الأخطبوطي، بما يشمل مختلف الجوانب، بحيث ينbir المرء المسلم عندما يواجه هذا العمل الإسلامي الضخم، وراحت القرارات تصدر الواحد تلو الآخر، لتعبر عن الطموح الموحد، بل وأنشئت عدة تنظيمات وجمعيات كبيرة، باسم العمل على حمل هم الإسلام إلى العالم. هكذا شهدنا تابع الرجوع إلى الإسلام من قبل الأنظمة، حتى أخذنا بهذا الحديث. وظنَّ الاستكبار أنه يستطيع من خلال ذلك خداع الجماهير المسلمة، وامتصاص شوتها، وزاد في تصوّره هذا انجداب بعض الأفراد والفتات إلى اللعبة.

أما الحقيقة فبقيت كما هي ناصعة بعد أن شهدت الجماهير المسلمة هذا المهاون والتراجع المتزايد أمام العدو، وهذا البيع المتزايد للثروة وتفويته العدو، وهذا الترف والسرف والفحور الذي يمزق الحجب والأقتحمة، وهذا التامر السافر على الأمل الإسلامي الجديد، وهذه الفوارق الطبقية الهائلة، بل وهذه المذايحة هنا والمراقص هناك، وهذه الجماعة هنا والتخمة هناك، «وما جاع فقير إلاً بما معه غني»<sup>(١)</sup> كما يقول أمير المؤمنين علي.

(١) نهج البلاغة ج ٤، ص ٧٨

وكلمة أخيرة تقولها هؤلاء الذين يقفون في وجه الصحوة: إن الله تعالى أذن لمصر العودة أن يبدأ، ولسيرة الإسلام الحاكم أن تتطلق، ولن تستطيع كل أنباط التأمر والخذلان، والتهم والاحتواء، أن توقف الزحف الإسلامي المقدس.

كما أقوها لجماهيرنا الإسلامية الوعية: إنَّ علَيْنَا أَنْ نُطْمِنَ دَائِمًا إِلَى نَصْرِ اللَّهِ وَعَوْنَةِ تَعَالَى - فَإِذَا مَا حَقَقْنَا فِي أَنفُسِنَا قَابِلَةَ الْفَيْضِ الإِلَهِيِّ، فَإِنَّهُ تَعَالَى فِيَاضٌ لَا يَنْقُصُ فِيْضَهُ وَلَا يَخْلُ بِهِ، وَلَتَعْلَمُوا أَنَّ الْعَقَبَاتِ وَالضَّرَبَاتِ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فِي الْمَسِيرَةِ، بَلْ هِيَ مَصْدَرُ قُوَّةٍ، إِذَا وَعَنَا كَيْفَ تَلَاقَاهَا، أَمَّا الْأَلْمُ وَالقَرْحُ فَهُوَ أَمْرٌ يَصِيبُنَا كَمَا يَصِيبُ الْعَدُوَّ فِي حِينِ تَفُوقٍ عَلَيْهِ بِالْأَمْلِ الْعَظِيمِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ أَعْظَمُ دَافِعٍ لِلنَّصْرِ وَالْفُوزِ: (إِنَّكُوئُوا ثَالِمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ) <sup>(١)</sup>.

الصحوة الإسلامية بين الترشيد والتضليل

قضية الصحوة الإسلامية - اليوم - هي الشغل الشاغل للاستكبار العالمي، وكل العلما الذين نصيهم قيوداً على حركة هذه الأمة، كيف يجهضها؟ وكيف يفرغها من محتواها؟ هذا من جهة ومن جهة أخرى، هي تشكل القضية الرئيسية للسواugin الداعين إلى الحق، كيف يرشدونها ويزيدون من حرارتها، ويستثرون فرصتها لإعادة الإسلام إلى واقع الحياة؟

فهي إذن قضية كبرى، وهناك إذن اتجاهان:

#### **اتجاه الإجهاض والاحتواء.**

— واتجاه الترشيد والتصعيد، الفكرى والعاطفى.

أما اتجاه الترشيد والتصعيد، فتقويه قيادات العمل الإسلامي وفي مقدمتها الثورة الإسلامية المباركة وقائدها العظيم؛ لأنها كانت أعظم الأسباب في إيجاد هذه الصحوة، وهذا الاتجاه المبارك ينبع إلى القلوب، وخصوصاً الوعاء القوية الشابة

منها، فلا توقف إشعاعه الفكرى والمحاسى سدود أو حدود، بل ينفرس في أعماقها، وينتَ كشجرة طيبة، ويفرع وبشر، وعيًا وحماساً وانشداداً للإسلام، وتنعم على أعدائه، وللاحتجاج لنظم الكفر، وضغطها على الحكماء العلامة؛ كي يقلعوا عن عمالتهم.

وهذا الامتداد والتلوّح هو مصدر القلق العظيم الذي طفح على ألسنة المسؤولين في دول الإستكبار العالمي، فراحوا يخططون ويخططون، بللورة الاتجاه المقابل له، اتجاه الاحتواء والتوجّه المنحرف، وتغريغ الشحنة دون التعرُّض للخطر، فما هو الأسلوب الذي أعدّوه؟

إنهم رأوا المقاومة عقيمة، وأنَّ الصحوة والثورة آتية، فيجب الالتفاف عليها، من خلال العلامة المزروعين هنا وهناك، أو من خلال المخدوعين، وطبيي القلب إلى حد السذاجة. فكان الأسلوب هو محاربة الثورة الإسلامية من خلال الأساليب الدينية نفسها، تماماً كأسلوب الإسرائييليات الذي حاول أن يضرب الإسلام بأساليبه وبطرقه هو. وتوّعت تطبيقات هذا الأسلوب:

فمنها: عقد المؤتمرات والندوات الإسلامية من جهة، وتقليل الشكل الظاهري للانحراف من جهة أخرى، مع التركيز على التضليل الخفي.  
ومنها: طرح الأفكار الإسلامية، وأنصاف الحلول، والاستشهاد بالنصوص الإسلامية، مع فصلها عن واقعها وشروطها الصحيحة.

ومنها: اتهام أولئك الذين لا يستسلمون بالتطهُّر، والهمجية والتقليدية، والرجمية، والخروج على طريقة السلف، وعصيان أولي الأمر، وشقّ عصا المسلمين، متناسين أنَّ بعض الحكماء اليوم يتعلّلون معاول تحطّم الوحدة الحقيقة، وعقبات كبرى في سبيلها.

وكانت أهم الأفكار مكرأً لفكرة التي دعت إلى مذمة الجسور بين الحكماء والشباب المسلم الناهض على حساب الإسلام نفسه ومع التنازل عن مقتضياته، بل وربما طلبت من العلامة أن يكونوا هم الجسور بين هاتين الشريحتين المتازعنين اليوم، فلا يخفوا أي طرف من الآخر، وبهدئوا من ثورة هذا وعنف الآخر، لكي تمرّ الأزمة بسلام!

ولكن ماذا يعني ذلك غير ترسيخ أقدام الحاكفين بعد أن تزلزلت الأرض تحتهم، وغير تكريس عمالتهم للأجنبي، وغير إجهاض هذه الصحوة واحتواها بالأساليب التي

تصبف بالصفة الدينية؟ وماذا تعني غير إرجاع العجلة إلى الوراء بعد أن توافر المسوّب المناسب لكي تقدم إلى غدها الإسلامي المشرق، غد الحكم الإسلامي في كلّ الأرض الإسلامية، غد تطبيق الإسلام في كلّ شؤون الحياة، وغد مقارعة الطواغيت الكبار، وتحقيق حلم الأنبياء؟

وعلى أية حال؛ فما أن أعلن عن عقد مؤتمر الصحوة الإسلامية في الجزائر، حتى رأينا التنظير (الإسلامي) الكاذب يثبتُ هذه الفكرة بين المقول، ويطلب من كلّ المرتزقين أن يتبّعوا هذا الخط، وهكذا طلعت علينا مجلة (المجلة) وفيها ما يناسب كلّ ذوق من (الفنانين والراقصين إلى العلماء والمحققين) في عددها ٢٢٩ والمؤرخ ٣٠ / حزيران - ٦ تموز ١٩٨٤ الموافق ١٤٠٤ هـ (أي قبيل انقاد المؤتمر تماماً) طلعت لنرسم لنا الخط المذكور تماماً، وأنّ من طالع ما كتبه المنظر الديني لمجلة (المجلة) يدرك أبعاد التامر - الآتف الذكر - إذ كتب تحت عنوان: حسن النية في علاقة المحکام ودعاة الإسلام:

لابد من كسر تلك السلسلة النكدة من الفعل ورد الفعل في العلاقة بين الحركة الإسلامية ودعاة الإسلام من جهة، والسلطات المحاكمة من جهة أخرى، فهي - كما أسلفنا القول - سلسلة لا تجبر إلا إلى الأحقاد والعداء، بل تزيدها وتواصلها، وهذا أمر يعود بالضرر على الطرفين في هذه العلاقة، ويعود بالضرر الكبير على الأمة كلها، ولا يفيد إلا أعداء الأمة . (أما التسليم والحل الوسط فهو في صالح الأمة ولبيق الوضع على ما هو عليه) <sup>(١)</sup>.

ولكن كيف يتم الخروج من هذه السلسلة، وحلقاتها المتتابعة المشؤومة، وقد أوجدت ما أوجدته من مشاعر تبدأ بعدم الثقة ولا تنتهي عند التوجّس والخوف الذي يساور كلاً من الطرفين؟ [إنما تسير إلى حد التورة ضد الظالمين].

إذا عرف كلّ من الجانبين ما يريدе الجانب الآخر، واعتبره حقاً مشروعاً له،

(١) تعليقات المؤلف وضمت بين قوسين معقوفين [....]

واستطاع أن يقنع نفسه بأنه يستطيع التعايش مع هذا الحق، أمكن أن تنتقل إلى المخطوة التالية، وهي بذل محاولة لإحلال حسن النية، في نفس كلّ من الطرفين عباءة الطرف الآخر، محل التوجس والمخوف وعدم الثقة، بل وجعل التفكير بالإساءة والأذى، ثم تتنفيذ ذلك، أي لابدّ من نقض ما يحدث في البلاد العربية منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

ترى ما الذي تريده أية حكومة من أية مجموعة من المواطنين في بلادها، لا تشاركها الرأي، ولا تقنع بالسلوكيات في الحكم؟ لو ذهبتنا نسأل لأنانا الجواب أن المحاكم يريد أن يطمئن أولاً إلى أنه غير مستهدف بشخصه أو نظامه من قبل تلك المجموعة [فلا يُسأل ولا يُعتقد، كيفما حكم، ومهما فعل] ،

ويريد بعد ذلك أن يلتفت إلى تنفيذ برنامجه دون معوقات غير مشروعة (!!)

**وهكذا تتلخص المسألة في استمرار المحاكم في السلطة وتطبيق البرامج لا غير.... [وليست هناك أية أهداف استعمارية والحمد لله!!!]**

أما الذي تريده المركبة الإسلامية ودعاتها فهو - على ما يرددده رجالها وقادتها - أن تبلغ دعوتها للناس مجرية ليكون أمامهم الخيار مفتوحاً بكل حرية، فاما أن يقبلوا دعوة الإسلام أو يرفضوها، وأن يكون دعوة الإسلام أحراراً في مخاطبة الناس ليبيوا لهم خير الإسلام ومزايده، دون أن يخافوا عسفاً واحتضهاداً من جانب السلطة، بل يجدوا الأمان والطمأنينة على أنفسهم وأسرهم وهم يقومون بهمهم هذه، فالهدف هو حرية الدعوة لا غير [أما العمل على تطبيق الإسلام ونفي الظلم فهو غير منظور].

ومعنى هذا أنَّ المطالب الأساس لكلِّ من الطرفين هي الأمن وحرية العمل، كلَّ في مجاله، وليست هذه المطالب والتي يصعب الاتفاق عليها، أو ت التنفيذ، إذا ما توفر حسن النية لدى الجانبيين، وتتوفره ليس بالطلب العسير، أما على صعيد الدول فقد كانت الدول والأقوام تخاوم وتحارب، وتستمر الحرب بينها سينين طويلة، ثم تصطلح فتحسن علاقتها، وتحمل الصدقة محل العدواة القديمة، ويكتفى أن تنظر إلى وضع ألمانيا مع فرنسا وبريطانيا اليوم، وأماناً على صعيد الأفراد فالمسألة تطبق بشكل أوضح، والمثل يقول: لا تأتي الصدقة إلاَّ بعد عداوة، والمقصود أنَّ الصدقة الحميمة هي التي تأتي بعد العداوة،

[والمطلوب هو الصادقة الحميمة مثلاً بين ببرك كارمل والمجاهدين، وشاه ايران والثورة الإسلامية].

فاماً الأمن فالافتراض أنه متحقق أصلاً فواجب الحكومة أن تكفل الأمن للمواطنين، ودعاة الإسلام فئة من المواطنين اختارت دين الله منهاجاً ودستوراً وأحببت أن تدعوا الناس إلى الخير الذي يشتمل عليه هذا الدستور، وليس في اختيارها ما يخرج بها عن دائرة من يجب على الحكومة أن تكفل لهم الأمن. ومع توفر حسن النية المتبادل لا يبقى سبب يمكن أن يُسوق في تبرير حرمان دعاة الإسلام من الأمن.

وأماً أمن الحكم على نفسه ونظامه من دعاة الإسلام، فقد ذكرنا من قبل أنَّ الاغتيال السياسي ليس من الأساليب التي تتبهجها الحركة الإسلامية، كما أنَّ فكرة الانقلاب غريبة على حسها، إذن هنالك أمن مبدئي للحكم ونظامه، بالرغم من حوادث الاغتيال التي وقعت فعلًا، تلك كانت - كما يُبينا - عمليات فردية استهدفت رد اعتداء على الإسلام نفسه، أو كان ذلك من أوهام القائمين بتلك العمليات، وعلى أي حال، فإنَّ العمليات الفردية لا يحسب لها حساب في هذه المبادئ العامة.

ولا يمكن أن يؤخذ قطاع من المواطنين بجريمة أفراد، مجرد الاشتراك في الفكرة العامة والمبدأ، ثم إنَّ إحساس كلَّ من الطرفين بأنَّ الآخر يبادله حسن النية أكبر ضمان لعدم تكرارها.

وحربيَّة العمل كذلك يفترض أن تكون متحققة، فنحن نفترض في آية حكمة تقوم في بلد إسلامي أن لا تعادي الإسلام، وأن لا تسعى إلى إخاد صونه، وطالما أنَّ الحركة الإسلامية تحمل هدفها تبلیغ دعوة الإسلام فإنَّ المفروض - نظرياً - أن لا تحول الدولة بينها وبين هدفها هذا [نعم، إذا كان هدف الحركة الإسلامية هو الوعظ فقط فما الضرر منه؟].

وأما حرية الحكم في العمل فإنَّ الأصل أنَّ للحاكم على الأمة حق النصح، فال الدين كما يقول رسول الله : «هو: (النصح)» وعندما سُئل «لمن؟» أجاب : «له ورسوله ولأنَّة المسلمين وعامتهم» [وهكذا يُعدُّ هؤلاء العلامة أئمة للمسلمين] فالحاكم - كلَّ حاكم - يحتاج إلى النصح الأمين ليتجنب المزالق والکوارث التي تعود بضررها على

الأمة ، والمفروض أنَّ النص للحاكم حق الأمة وواجبها، فإذا وجد دعاء الإسلام من الحاكم أنه يستمع إلى نص الأمة ، وهم - كقطاع من الأمة - يستطيعون تقديم النص له، فما يطالبونه بعدها بشيء، قبل نصحهم أو رفضه [فالنصيحة - أنَّ لم تسبخ مخاطر - هي أقصى هدف].

هنا قد يقول قائل: « وهل نسيت أن دعاء الإسلام يجعلون هدفهم تطبيق شريعته، وهو أمر قد لا يرضاه الحاكم، أو لا يحدث هذا تناقضًا بين الطرفين يجعل العداء والمحصومة؟ »<sup>(١)</sup>.

أما جواب السؤال فيتحفنا به (هذا المنظر) بعد هذا المقال في الأعداد التالية يتلخص في السعي لإقناع الحكام بضرورة التغيير، وأنه أنفع لهم، ثم يكتب:

« وإذا تم ذلك فقد تجاوزنا المرحلة الصعبة بكل خجاج ».

والواقع، أتنا لا ندرى أيها أشدَّ خطراً على الصحوة الإسلامية، هل المساومة النصفية مع حكامهم هؤلاء، أم اتجاه حكامهم نحو تحقيق المثل الأعلى المضروب، حيث تحول الأرض الإسلامية إلى بقرة حلوب ذلول للاستكبار وعملاته المفضوحة؟! أما الذي نعلمه - جيداً - فهو أنَّ كلَّ هذه الأساليب التي نبذتها أمتنا الإسلامية وكلَّ هذا (التخدير الإسلامي!) قد انتهى مفعوله أماموعي جاهزتنا الإسلامية لطريقها ولأهدافها وللمعقبات المزروعة في هذا الطريق، وإن صبح الإسلام سينفس بعد ليل الغفوة البهيم.

ومع هذا فإنَّا نؤكد أنَّ ردم الهوة بين الحكام والحكومين إذا كان يؤدي إلى خدمة القضية الإسلامية فتحن معه بكل قوة.

(بـ)

## الإمام الفقيهي (رحمه الله) والصحوة

### مقدمة

أولاً: أنَّ الإمام، وإنْ كانَ شخصاً عظيماً، إلاَّ أَنَا هُنَا لا نبحثُ عن جوانبِ العِظَمة فيَه بقدرِ تلمسنا لأبعادِ رؤيَتِه لِلواقعِ، وبرنامجه لتطويرِ هذا الواقعِ، ومدى تحقيقِ هذا البرنامجِ واقعاً، أو مدي ما يُكَنْ تحقيقَه منه مستقبلاً، وذلك لكي تتحذَّه مثلاً وقدوةً في مسيرةِ إسلامِنا الجهادية، في مجال زرعِ بذورِ الصحوةِ أو إيجادِها أو ترشيدِها في أيِّ منطقةٍ من عالمِنا الإسلاميِّ، أو بالآخريِّ من امتدادِنا الإسلاميِّ حتى في المساحاتِ الأخرىِ.

ثانياً: ممَّا لا ريبَ فيه أنه (رحمه الله) كانَ يمتلكُ تصوراً متكاملاً عن قضيةِ الصحوةِ بكلِّ أبعادِها، وهو ما يشهدُ له استقراءُ كلماتهِ وموافقه وخطشهُ الثوريَّة. فالمتابعُ لكلِّ ماتَرددَ في مطلعِ دخولِه ساحةِ العلنِ الكلاميِّ، وقيامِه بتأليفِ كتبٍ يشهدُ وحدةً في غطِ الكلامِ من الوضوحِ والنفاذِ إلى عمقِ المشكلةِ القائمةِ والتركيزِ على التركيبةِ الروحيةِ للفردِ والمجتمعِ - من جهةٍ - وعلى سرِّ المشكلةِ من جهةٍ أخرىٍ.

والمتابعُ لما وفَقَ به يجدُها وكأنَّها تشكَّل خطواتَ متابعةً مرسومةً من قبلِ، تستاغمُ مع الظروفِ، وتتصاعدُ مع المحوادثِ، إلاَّ أنها كلَّها يربطُها خيطٌ واعٌ واحدٌ، ولا أدُلُّ على ذلك من استعراضِ مواقفِه من نفسيةِ الشعبِ الإيرانيِّ، من جهةٍ، والنظامِ الشاهنشاهيِّ القائمِ من جهةٍ أخرىٍ.

وهكذا يُكَنْ ملاحظةً تخطيطِه الحديثِ الذي سارَ بعمليةِ التوعيةِ الفكريةِ منذِ البدءِ

وحتى المختام، والذي استهدف إثارة الحماس النوري بالمعنى المناسب مع ما تسمع به الظروف المتغيرة والمناسبات الإسلامية، ومن ثم التخطيط لتحويل ذلك الحماس إلى فعل جاهيري حاشد مزق كل حسابات الكمبيوتر البشري، وبالتالي صنع أروع ثورة عرفها التاريخ المعاصر، حيث افلت الشعب الإيرلندي المسلم من طرق الميمنة العالمية عليه.

ثالثاً: أنَّ الإمام يؤمن تماماً بعبداً (تصدير الثورة) وهو أمر لا يمكن أن ينكره أحد على الرغم مما حاوله بعض الناس مما يعبر عن انهزامية أمم التقويد المطروحة. إلا أنه لم يكن ليقصد الصورة التحريرية التي منحها إيه الإعلام الغربي، أي صورة التصدير بالسلاح وإيجاد الانقلابات العسكرية وما إلى ذلك. إنه كان يركِّز على الجانب الثقافي والمعجمي في آن واحد، فهو يقول (حين يتحدث مع سفراء الأقطار الإسلامية بمناسبة عيد الفطر عام ١٤٠٠ هـ):

«إتنا نعتبر الأقطار الإسلامية جميعاً جزءاً من وجودنا دون أن يعني ذلك أن نفقد وجودها المستقل، وإنما نريد لها أن تتمتع بما تعم به الشعب الإيرلندي من مزايا الخلاص من براثن القوى الكبرى، وقطع أيديها عن منابعه الحياتية، نريد لهذه الحالة أن يَسْعَ مدتها لتشمل كلَّ الشعوب، إتنا نعني بتصدير الثورة أن تستيقظ كلَّ الشعوب وكلَّ الحكومات وتخلُّص من قيود التبعية والسلط».١١

وفي حديث آخر يقول سماحته وهو يتحدث إلى سفراء الجمهورية الإسلامية: «إتنا ثرنا لنحيي الإسلام، ومن ثم لنصدر الثورة - بمشيئة الله - إلى كلَّ مكان، ذلك أنا أخوة وأحبة، مما يزيد فينا الأمل للعمل سوية وبكلِّ ما نستطيع لعميم هذا الجماد وتحقيق هذا المهد».١٢

بل كان (قدس سره) يرى أنَّ بالإمكان تعميم هذا التصدير إلى كلَّ الشعوب فيقول بمناسبة عيد الفطر عام ١٤٠٠ هـ:

«إتنا إذ نعلن عزمنا على تصدير الثورة إلى كلَّ الأقطار الإسلامية بل كلَّ الأقطار

(١) كتاب (كلام الإمام) ج ١٥، ص ٣١٧.

(٢) كتاب الإمام ج ١٥، ص ٣١٧.

التي يرزح فيها المستضعفون تحت نير المستكبرين، فإنما نريد من ذلك أن تخفي في الشعوب روح التحرك ضد المستكبر الفتاك، ونردم تلك الموجة بين الشعب والحكم السلط عليه».<sup>(١)</sup>

فالتصدير - إذن - يعني (تصدير غذوج في إيران) وهذا يعني بدوره تصدير المضائق المشتركة أو التي يمكن لها أن تتدلى إلى أنحاء العالم الإسلامي، وتجريدها من المزايا المحلية الخاصة.

والذي نريد أن نخلص إليه أنَّ الإمام الخميني إذ يتحدث عن الشورة الإسلامية في إيران وعن مزاياها وخصائصها ودوارتها، وحركاتها ونتائجها وعواقبها، فإنه إنما يتحدث عن مسيرة الصحوة الإسلامية عبر مصدق من مصاديقها وتطبيق أمثل لها في إيران، وهو وبالتالي يبرز نظريته العامة في مجال الصحوة الإسلامية، وإنَّ مما معنى التصدير؟ ومن هنا نجد - رحمة الله - يؤكِّد مثلاً أنَّ ما شاهده من تخطيط لضرب الثورة إنما هو تخطيط لضرب الإسلام والصحوة الإسلامية عموماً، والقضاء على كلَّ أمل للجماهير المسلمة في صياغة تشكيلة حكومية إسلامية في أي مجال آخر.

فهو يقول مخاطباً مجموعة من الأخوة الباكستانيين في خريف عام ١٩٨٠: «هل تتصورون أنَّ هدف الخطط الاستعمارية هو القضاء على إيران؟ كلا، إنَّ المهدف هو القضاء على الإسلام، فليس الأمر يقتصر على قطر واحد فحسب، إنه يعمُّ الأطراف الإسلامية جميعاً».<sup>(٢)</sup>

ومن هنا جاز لنا أن نعمم حديثه إلى مجموع العالم الإسلامي حتى ولو كان يتحدث عن الثورة الإسلامية في إيران وعواملها ونتائجها.

رابعاً: إنما إذا شئنا أن نتعرَّف على منهج أو خطة أو أبعاد شخصية معينة فلا بدَّ من تتبع أقوالها وأفعالها وقراراتها، لنتعلم - بعد التأكيد من دلالاتها - باستبطاط مجل

(١) المصدر نفسه ص ٣٦.

(٢) كلام الإمام ج ١٥، ص ٤٦ - ٤٧.

الأبعاد، ومعرفة أجزاء النظرية المتكاملة، وهذا بالضبط ما يجب أن تفعله عندما نحاول اكتشاف مذهب معين أو نظام عام للإسلام. ذلك أن علينا أن نكتشف هذا من خلال مجموعة النصوص النظرية أو المفهومية المطروحة، والأحكام المترفة المبنية على ذلك المذهب أو التي تشكل أبعاد النظام، وبالتالي أن نلاحظ نوع التطبيقات الفعلية التي قبلها الإسلام ونفذها في الحياة. وبنفس هذا الأسلوب نستطيع أن نكتشف أبعاد الشخصيات المنظرة، ونعرف بجمل نظراتها إلى الواقع والحياة، وهذا ما نرجو أن تتبعه في دراستنا السريعة هذه، راجين التوفيق.

### **حقيقة الصحوة**

قلنا إن أمتنا الإسلامية مرّت بفترات زمنية طويلة، عمتها غفوة، وشملتها تخدير وضياع مقيت، يهُرُّ له القلب المألاً.

فالفهم الإسلامي الصحيح غير متوفّر، إلا على صعد فردية محدودة المجالات، وحيثند فعن الطبيعي أن لا تجد تعاليم الإسلام الحية للنفوس بجالها الطبيعي المؤثر في القيام بيئته النفوس والمجتمع.

والتجزئية تعمل عملها الخبيث في تزييق الفرد المسلم من كل الجهات، فهو محزق في رؤيته الكونية، وقد أراد له الإسلام أن يتخد رؤية واحدة تجاه الأشياء. وهو محزق في شخصيته، حائز بين الالتزام بقوانين السماء والاتجاه مع الواقع الفاسد، والعلامات متعددة وألة التاريخ والتمدن، والعنصرية، والقومية، والوطنية، تزرق وجوده؛ هذه المفاهيم كلها سوف تشهد لها في كلمات الإمام الخميني وهو يتحدث عن إيانه بمستقبل الصحوة، ومظاهر الصحوة وثارها، وعواملها وأسلوب ترشيدها والحفاظ عليها والأخطار التي تواجهها من قبل أعدائها.

فمن الظواهر التي أكدّها الإمام الخميني في كلماته، وسعى بجد لتحقيق الإياع بها في ذهن الجماهير، موضوع الإياع بمستقبل الصحوة الإسلامية، بحيث لا تشوهه أية شائبة ولا يساوره أي شك في تحقيق هذا الغد المرتقب، وطبعي أنَّ الأمل الكبير يلعب دوره في تحريك المهم نحو صنعه ويشد العزيمة على تحقيقه.

فجده تارة يذكّر بالوعد الإلهي الذي لا يختلف مطلقاً، باعتباره قاعدةً لهذا الأمل الكبير، فيقول في رسالته التي وجهها بمناسبة قيام الجمهورية الإسلامية وذلك بعد أشهر من نجاح الثورة الإسلامية:

«إن الله تعالى قد وعد بانتصار المستضعفين على المستكبرين بتوفيقه ووعده وجعلهم أئمة، وهو هو الوعد الإلهي يقرب من تحققـه، إننا نأمل أن نشهد نحن هذا التحقق».<sup>(١)</sup>  
وأخرى تتبّأ بالانتصار حتى على القوى العظمى، فيقول في حديثه لمجموعة من أعضاء حركة أمل اللبنانيّة (أواخر عام ١٩٨٠):

«يجب أن نحذف من قاموسنا منطق المزية القائل بأننا لا نستطيع الاتمام مع القوى الكبرى. إنكم إذا شتم حققتـما تريدون بأذن الله».<sup>(٢)</sup>

ونجده (رحمه الله) تتبّأ بسقوط المعسكر الشيعي وإنهياره بسرعة، وذلك قبل تحقـق هذا الانهيار الذي نشهده، فقد أرسل رسالته المشهورة لغورياثسوف في مطلع عام ١٩٨٩ وهي إحدى الرسائل النادرة التي بعثها إلى زعماء الدول، وقد قال له فيها بالحرف الواحد: «إن البحث عن الشيوعية ينبغي أن يتوجه من الآن فصاعداً إلى متاحف التاريخ».<sup>(٣)</sup>  
وربما كانت هذه الرسالة من أعظم الوثائق التي تؤكـد لنا أنَّ المؤمن الصادق ينظر بعين الله تعالى فيفتح الله له آفاقـالحقيقة.

ومن ثم نجده (رضي الله عنه وأرضاه) يركـز عنصر الإيمان بنمو الانتفاضة الإسلامية في كلِّ مكان، ويبشر دائمـاً بانفتاح الآفاقـ أمام الصحة بعون الله.

في عام ١٩٧٠ يجيب على رسالة للطلبة الجامعيـين المسلمين في أوروبا فيقول: «إبنيـ - على الرغم من شيخوختي وعدم حصولـي على ما كنتـ آملـه - لأملـ بكلـ ثقةـ أنـ تستمرـ شعلـةـ هذهـ الـنهـضةـ التيـ اـنـطـلـقـتـ فيـ السـنـينـ الـآخـرـةـ بـتأـيـيدـ اللهـ تعـالـىـ وأـدـتـ للـتـقـارـبـ بـيـنـ الـعـلـمـاءـ وـالـمـتـفـقـينـ».<sup>(٤)</sup>

(١) كلام الإمام جـ ١، صـ ٢٤.

(٢) المصدر نفسه جـ ١٥، صـ ٢٦١.

(٣) مجلة التوحيد، العدد ٥٣، صـ ٧.

(٤) كلام الإمام جـ ٦، صـ ٢٨.

ويتحدث الإمام الخميني عن الثورة الإسلامية وانتصارها عام ١٩٧٩ فيقول:  
 «لقد تحقق ذلك على الرغم من الماسبات المادية التي كانت تطرح استحالة أن تهار  
 قوة تف القوى كلها مساندة لها، وحتى الحكومات المتنسبة للإسلام أيضاً كانت تقف  
 موقف الدعم لها ولكنها انهارت وبالتالي».<sup>(١)</sup>

ويقول في كتابه الرائع (ولاية الفقيه) والذي كان الموجه الكبير لقيام الثورة الإسلامية:  
 «أنت أيها الشعب إذا أصررت على الطريق المستقيم وقمت بالأمر فإليك ستمسك  
 أزمة الأمر بيديك، وستصدر منك الأمور وإليك تعود، وإذا تحققت الحكومة التي أرادها  
 الإسلام فإنَّ الحكومات الفعلية في العالم لن تستطع الوقوف أمامها».<sup>(٢)</sup>

ويقول أيضاً مخاطباً الطلبة الجامعيين في أمريكا وكندا في ١٧ / رمضان / ١٣٩٥هـ:  
 «إنَّ نقطة الوضوح التي تزيدني في أواخر عمري أملاً ترتكز في هذا الوعي واليقظة  
 التي تسرى في هذا الجيل الشاب، إنها روح سارية بكل سرعتها وهي بحول الله تعالى  
 ستصل إلى نتائجها الحتمية فقطع أيادي الأجانب وتبسيط العدالة الإسلامية».<sup>(٣)</sup>  
 وفي بيان أصدره إلى عومن الشعب الإيراني في عام ١٩٧٢ - أي قبل سبع سنوات  
 من الانتصار - يقول:

«إنكم تملكون طاقات شابة عظيمة تستطيع أن توصل الإسلام والبلاد إلى أوج  
 العظمة والعزّة وتقطع أيدي المغناة عن البلاد الإسلامية وبلدكم أنتم، تلك الطاقة التي لو  
 بذلت في طريق الحق لتحولت إلى طاقة أبدية واتصلت بالقدرة الإلهية الأبدية...  
 فاستيقظوا وأيقظوا الغافلين.. عودوا أحياءً وامنحوا الحياة للأموات، وانطلقوا تحت لواء  
 التوحيد لتطوروا ملف الاستعمار بنوعيه الأحمر والأسود».<sup>(٤)</sup>

ويقول في لقائه الضباط الباكستانيين أوائل عام ١٩٧٩:

(١) المصدر نفسه ج ١٥ ص ٦٦.

(٢) كلام الإمام ج ١٠، ص ٣١.

(٣) المصدر نفسه ج ١٠، ص ٦٩، ونداء الثورة، ص ١٩٨.

(٤) المصدر نفسه ج ١٠، ص ٦٥ (الخميني والثورة) ص ١٠٢.

«على المسلمين أن ينهضوا، فهم متصررون في نهاية المطاف وسينتصرون.. وإن أمريكا لن تستطيع أن تقف في قبال المسلمين». <sup>(١)</sup>

وهكذا نجد مطمئناً وانقاً بمستقبل الصحوة الإسلامية، ساعياً بكل قوة وبمنطق سليم لعميق هذا الإياع في نفوس أبنائه الثوار.

ومن غريب الأمر أن الاستعمار حاول أن يتغافل عمق الصحوة الإسلامية، ومدى اتساعها، بل الأغرب من ذلك أن نجد بعض المنتسبين إلى المدرسة الرجعية يحاولون جاهدين إنكار حدوث صحوة إسلامية مطلقاً. <sup>(٢)</sup>

والإمام يعتبر هذه الفحفة الاستكبارية تغافلاً يجب على المسلمين أن يردوا عليه رداً عملياً.

فهو يقول في جوابه على الرسالة التي وجهتها إليه المنظمات التحررية في أنحاء العالم والتي عقدت اجتماعها في الجزائر أوائل عام ١٩٧٩ ما يلي:

«إننا نعدّ عدم إدراك عمق النهضة الإسلامية في العصر الحاضر والجيل المعاصر أحد الأخطاء الكبرى للسيد كارتر وأمثاله، وأنّ على الشعوب الإسلامية - عبر وحدتها الإيمانية المستمدّة من الله - أن تخرج هؤلاء من غفلتهم.

فيا أيها المسلمون في أنحاء العالم ويا أيها المستضعفون الشاذون، ويا أيها البحر الإنساني اللامتهي، انهضوا ودافعوا عن كيانكم الإسلامي والوطني». <sup>(٣)</sup>

ولكن لم هذا التغافل والتجاهل؟ الحقيقة هي أنه يستهدف أن لا تعي كل الجماهير حقيقة ما يحدث، وإلا فإنَّ النهضة سترى سريان العافية في المروق البسيطة، والتار في الهشيم، وهو ما أصرَ الإمام الخميني على توضيحه أمام الجماهير. إنه يقول في حديث له أمام عوائل الشهداء عام ١٩٨١:

(١) كلام الإمام ج ١٥، ص ١٦٧.

(٢) حاول بعض المفكرين أن يعلن ذلك بصراحة في مؤتمر الفكر الإسلامي في الجزائر فتم التصدي لدعوته وفضحها.

(٣) كلام الإمام ج ١٥، ص ١٦٧.

«إنَّ هؤلَاءِ يرونُ حديثَ سقوطِهم وفنانِهم في كُلِّ مَكَانٍ مِنَ الْعَالَمِ، فحتى السُّودُ في أمْرِيَّكَا يعلَمُونَ ذَلِكَ، إِنَّهُمْ يرَوُنُ الإِسْلَامَ قَدْرَةً مُتَقدِّمةً تَعْيَنُ بِنَفْسِهَا الشُّعُوبُ وَالْأَجْنَاحُ الْمُتَدِينَةُ وَالْعَانِصُ الْمُظْلُومَةُ، وَإِنَّا لَنَرْجُو بِعِشْيَةِ اللَّهِ أَنْ يُؤْدِيَ هَذَا ثُورَةُ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي الْعَالَمِ لِلْقَضَاءِ عَلَى الْقُوَى الْعَظِيمَى.. إِنَّهُمْ يَخَافُونَ مِنْ هَذَا التَّحْرُكِ...».<sup>(١)</sup>

وهكذا راح يستعرض مظاهر هذه النهضة والصحوة ليؤكدَها في وعي الجماهير.

## ١. التحرك الإسلامي الواسع

من أهم المظاهر التي أكدَ عليها وعلى قوتها، هذا التحرك الجماهيري الإسلامي في عدة أماكن من العالم الإسلامي، ومنها هذه الثورة الإسلامية الكبرى في فلسطين. وكلنا يعلم أنَ الإمام عاش هذه القضية وسخر لها طاقاته، وبقي وفيها لشعاراته الواضحة حتى انتهاء حياته، وأوصى بها بعد وفاته. إنه أُعلن كون إسرائيل غدة سرطانية يجب اقتلاعها، وأنَ المسلمين قادرون - مهما عنت أمريكا وإسرائيل - على القضاء على منبع الفساد هذا. وكم كان يتآلم حينما يرى هذا التخاذل والتراجع المستمر، وعلى أي حال فإن الإمام الخميني (رحمه الله) كان يأمل كثيراً في الصحوة الإسلامية في الجماهير الفلسطينية، وكان يعتبر ذلك سبيلاً للخلاص الوحيد، وملف القضية الفلسطينية في أقوال الإمام واسع جداً لا يمكننا أن نستوعب حتى جزءاً يسيراً منه.<sup>(٢)</sup>

إنه يعتبر يوم القدس يوم الإسلام، ويوم الحكومة الإسلامية التي ستسود العالم الإسلامي كله، يوم قهر القوى العظمى، ويوم انطلاق المسلمين من عقالهم لإنفاق حقوقهم، ويوم الرد العملي على تغافل القوى الكبرى لحقيقة الصحوة الإسلامية.<sup>(٣)</sup> ومن أغاط ذلك التحرك الواسع ثورة الشعب الأفغاني المسلم بوجه الطغاة الملحدين.

(١) كلام الإمام، ص ٢٢١.

(٢) تراجع الكتب الكثيرة المؤلفة في هذا الشأن، ومنها الجزء ١٩ من كتاب (كلام الإمام)، وهو تحت عنوان (كلمات الإمام في فلسطين والصهيونية).

(٣) كلام الإمام ج ١٩، ص ١٢٩.

بل وقوفه أمام القوة الشرقية العظمى بكل جبروتها وينتهي الضعف في السلاح والقوة في العزيمة، مما أدى في النهاية إلى انهيارها.

وهنا يخاطب الإمام الخميني كارتر قائلاً:

«من المستحسن أن يعتبر كارتر بأفغانستان: حيث الحكم السلط يدعمه الاتحاد السوفيتي والأحزاب الشيوعية واليسارية... إلا أنَّ هؤلاء لم يستطيعوا أن يخضعوا الشعب الأفغاني المسلم لإرادتهم».<sup>(١)</sup>

ويقول في رسالته إلى حجاج بيت الله الحرام عام ١٤٠٤هـ:

«لقد ردَّ الشعب الأفغاني العدوان السوفيتي الفاسد، عدوان تلك القوة الاستطورية والجيش الضخم والحكم الفاسد والحزب الخائن، رده بقدرة الإيمان والتوكُّل على الله العظيم والاعتماد على النفس بحيث يمكن القول إنَّ الاتحاد السوفيتي يعيش الآن الحيرة والندم على هجومه الظالم، وهو يجاهر كيف يتقذَّر نفسه ويحفظ ماء وجهه».<sup>(٢)</sup>

## ٢. انتفاء الأساطير الاستعمارية

ومن مظاهر الصحة الإسلامية هذا الوعي السياسي الكبير لحقائق الأمور وانتفاء الأساطير التي حاول الاستعمار زرعها في النفوس من قبيل: أسطورة إسرائيل التي لا تهُر، وأسطورة انحصار سبيل السعادة بأحد المذهبين الرأسمالي أو الاشتراكي، وأسطورة (التخدير الديني) و(تضاد الاتجاه الديني والثورة) وأسطورة انحصار السبيل بالمعسكرين دوغا ثالث.

وهنا يقول الإمام الخميني (رحمه الله) في رسالته بمناسبة يوم القدس العالمي في أوائل العقد الثامن من هذا القرن:

(١) كراس (القيادة وأفغانستان): ص ٦ من حديث للإمام مع طلاب كلية الإلهيات أواخر عام ١٩٧٩.

(٢) المصدر نفسه ص ١١.

«إلى متى تسحر أسطورة الشرق والغرب الكاذبة المسلمين الأقواء وتوحشهم الأبواق الإعلامية الجوفاء»<sup>(١)</sup> وفعلاً قد حطمت الثورة الإسلامية هذه الأسطورة.

## ٢. معاالم كبيرة أخرى

ومن يستعرض كلمات الإمام التي ترکَّز على معاالم الصحوة الإسلامية يستطيع اكتشاف الكثير من هذه المعاالم:

- فهذا الاتجاه العام نحو تفهم الإسلام ومعرفة جوانبه الحياتية.  
- وهذا الاتجاه الصارم للقطاعات المختلفة، وخصوصاً قطاع الجيل الشاب نحو تطبيق الإسلام، على كل شؤون الحياة الاجتماعية والفردية، والنظر للإسلام كمنتذ من كل المهالك والمشاكل التي تورّطت فيها مسيرة الأمة. كلّ هذا بعد الجهود الكبرى التي بذلها الاستعمار لكي تنسى الأمة إسلامها.

يقول (رحمه الله) مخاطباً مجموعة من حراس الثورة عام ١٩٧٩:  
«إنَّ الإسلام كاد أن يُنسى وكادوا يقضون عليه، وكادوا يسحقون القرآن،  
إلا أن نورتكم يا شباب إيران، ونهضتكم يا أبناء الشعب الإيراني - وهي نهضة إلهية -  
أحيت القرآن وأحيت الإسلام وأعطيت الإسلام حياة جديدة»<sup>(٢)</sup>.  
- وهذا التفهُّم الواعي لدور قوى الاستكبار العالمي، في التخطيط لإفقاء الشخصية الإسلامية ثم العمل على امتصاص دمائها.

- وكذلك تفهُّم الطاقات الضخمة التي تملِّكتها الأمة المسلمة، ونوع المرحلة التاريخية التي تعيشها.

- وكذلك هذا الترابط الإحساسِي والشعوري بين أفرادها، حتى ليهتزَّ المسلمون في أقصى المعوراة لأنَّ المسلم في الجانب الآخر منها.

(١) كلام الإمام ج ١٥، ص ٣٢٠.

(٢) كلام الإمام ج ١٠، ص ٣٧٨.

- ثم هذا التخطيط المحيث هنا وهناك لاستعادة الجهد الإسلامي، وإقامة الدولة الإسلامية الموحدة على كلّ الأرض الإسلامية.

- ثم هذا التخطيط العلمي الرائع للتقرير بين المذاهب الإسلامية وتطبيق قاعدة «تعاون فيما اتفقا عليه ويعذر بعضاً فيما اختلفنا فيه».

.. ورغم اختلاف مستويات التخطيط فإنّها تكشف جميعها عن الططلع والعمل على صنع المستقبل.

- وهذه الحرارة التورية المتصاعدة، والتي راحت تقضي مصاجع اللصوص الكبار، وتهزّ عروش العلّاه الصغار، وتمزق أستار المستربين والمترقبين، إنّها حرارة الخشوع والتضحية والقداء في سبيل العقيدة، وهي تستمدّ أوارها من انطلاقات المسلمين في الصدر الأول نحو الجهاد في سبيل إعلان راية الإسلام، ناسياً دنياه ومتّعاً، في سبيل متعة تحقيق الهدف السامي العظيم.

يقول الإمام الخميني في رسالته إلى الشعب عام ١٩٨٠:

«إنّي لأخجل حقاً حينما أشاهد هذا الجيل الشاب الذي يطالبني - وهو في عنفوان شبابه - أن أدعوه كي يرزق الشهادة». <sup>(١)</sup>

ويقول أيضاً مخاطباً الشبان:

«أنتم ذخائر الإسلام، وإن هذا التحول الذي حدث بين شبابنا إنما هو صنع إلهي». <sup>(٢)</sup>

- وأخيراً وليس آخرأ، هذا الاتجاه الجماهيري نحو تعميم الأخلاق الإسلامية على المجتمع، ونفي مظاهر الطاغوت والعصيان، إذ رأينا العجب الإسلامي يسري سريان العافية في أوصال المجتمعات الإسلامية، ورأينا النفور من مظاهر الخلاعة والخمر والميسر وبباقي العادات السيئة، وذلك يمثل ظاهرة إسلامية ضخمة. وأضحت المرأة المسلمة في

(١) كلام الإمام ج ٦، ص ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه ج ١٠، ص ١٣٩.

طليعة الناثرين حتى قال فيها الإمام الخميني: «أنت قدت التوره الإسلامية».<sup>(١)</sup>  
يقول الإمام الخميني في حديثه إلى مجموعة من المغرومين في أواخر عام ١٩٧٩: «إنكم إذا أمعتم النظر فستجدون قادة القوى العظمى يعيشون الأضطرابات والقلق، إنه ليقل لهم أن تطلق جماعة تعمل باسم الله ولا ترجو إلاّ توابه، إنها نعمة إلهية ولن  
نستطيع أن ندرك عظمة النعم الإلهية الخفية».<sup>(٢)</sup>

كل هذه المظاهر أشار لها الإمام وعمل على تكرارها على مسامع العالم ليتحقق غرض العزة والشعور بالكرامة والثقة بالمستقبل في نفوس جاهير الأمة، في حين يبعث الرعب في قلوب المستكبرين، وللرعب جيش لا يقهر وله دوره الذي تحدثنا عنه الآيات القرآنية الشريفة في دحر العدو الكافر.

### عوامل الصحوة

ومن يستعرض عوامل الصحوة الإسلامية المعاصرة كما يصورها الإمام الخميني (رحمه الله) ربما يجدر في وضعها في سلسلة العوامل أو في سلسلة التتابع، إلا أنَّ هذه الحالة حالة طبيعية، ذلك لأنَّنا تحدثت عن ظاهرة اجتماعية تعيش مع الإنسان، فهي بالقدر الذي تصنع فيه تأثيرها تأثير بدورها وتكبر وتقوى في نفس الوقت.  
خذ على ذلك مثلاً عامل توفر القيادة الوعائية الصبوره، فإنه عامل حاسم في صنع التغيير، إلا أنَّ التغيير نفسه يهب القيادة وعيًا أكبر وجملًا أقوى ونظرة أكثر خبرة لكي تواصل مسيرتها الطويلة.

وهكذا يمكن القول عن باقي العوامل، وهذا ما سترفه من خلال هذا البحث الشيق في كلمات الإمام الخميني وتصوراته عن الصحوة المباركة.  
وأهم ما لاحظنا من عناصر هي كالتالي:

(١) المصدر نفسه ج ٦، ص ٨٤.

(٢) المصدر نفسه ج ١، ص ٥٠.

- التأييد الإلهي.
- توفر القيادة الوعية.
- توفر مجموعة من العلماء والمفكرين المربين.
- تأهل الشعب لعملية التغيير.
- ظلم الطغاة.
- قدرة الإسلام نفسه من خلال تصوّراته وتعاليمه ومناسباته على صنع التغيير.
- الأماكن والمناسبات والشعائر الإسلامية وحسن استمارها.

ولعلنا نجد هذه العوامل هي الأهم في صنع الثورة الإسلامية الأولى بقيادة الرسول الأكرم محمد (ص) فقد كان التأييد الإلهي - قبل كل شيء - هو العامل الأهم، كما كانت شخصية الرسول (ص) صاحبة الأثر العظيم، في حين كان استعداد الأمة للعمل - وهو استعداد غاً شيئاً فشيئاً - ذا أثر ضخم في صنع ذلك التحول التاريخي الكبير. وطبعي أنَّ الرسالة التي حلّها أولئك المؤمنون كانت ذات خصائص كبرى وفرت السبيل للنصر ودخلت إلى القلوب وتعمّقت مع الجذور الإنسانية، ولعل الآية الشريفة التالية تشير إلى أهم هذه العوامل.

يقول تعالى:

(هُوَ الَّذِي أَيْدَكُمْ بِنَصْرٍ وَبِالْمُؤْمِنِينَ \* وَأَنْتُمْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْلَا نَفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا  
مَا أَنْفَقْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْتَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).<sup>(١)</sup>  
فلنستعرض إذن باختصار دور هذه العوامل في كلمات الإمام:

### العامل الأول: تأييد الله تعالى

وهذه حقيقة أكدّها الإمام مراراً وأعلن أنَّ الذي صنع هذه الصحوة هو لطف الله ورحمته، وإننا لم نكن إلاَّ وسائل لنزول هذه الرحمة الإلهية، ولعله لم يكن يخلو كلام

للإمام من ذكر هذه الحقيقة، وهو ما شهدناه في بعض النصوص الماضية.  
وكمثال على ذلك يقول في رسالته إلى الطلاب في أمريكا عام ١٩٨٠:  
«إنَّ التَّوْرَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ بِتَأْيِيدِ اللهِ الْمُتَّانَ تَسْعُ عَلَى الْمَسْطَوِيِّ الْعَالَمِيِّ وَهِيَ بِشَيْئِهِ اللهِ سُوفَ تَجْرِيَ الْقُوَىُ الشَّيْطَانِيَّةُ إِلَى التَّقْوَةِ وَالْإِنْزَوَادِ».

### **العامل الثاني: توفر القيادة المطلوبة**

وهذه بدورها حقيقة مهمة وما أكثر ما كانت بعض أنماط الصحوة تتجلى هنا وهناك إلا أنها تؤول إلى الأضلال بسبب عدم توفر القيادة الكفؤة أو ضعف هذه القيادة، ومن هنا فالقائد دائمًا هو المستهدف من قبل أعداء الصحوة للتصفية الجسدية أو المعنوية، وكلنا يعلم دور الدعايات المشركة ضد الرسول العظيم وأتباعه المخلصين.  
وأول ما يشترط في القائد الإخلاص للقضية والتواضع الخلقي والعمل في سبيل تحقيق رضا الله، فهو روح العمل وسر استمراره وتوفيقه، فهو ينظر للواجب قبل أن ينظر لنتيجة العمل.

يقول الإمام الخميني في حديثه لسكان كردستان عام ١٩٧٩:  
«إلهي إنك تعلم أتنا ما طلبنا في نهضتنا هذه سوى رضاك، وإنك تعلم أتنا نفر من الظلم حتى ولو أصاب فرداً واحداً». <sup>(١)</sup>

ويقول لراسل صحيفة باليمورسان قبيل نجاح الثورة:  
«إنَّى بعون الله تعالى سأقوم بواجبي في خدمة الإسلام والمسلمين وأستمرّ ما لم يكن هناك منع (إسلامي) للاستمرار». <sup>(٢)</sup>

وفي حديثه لوزير الداخلية والمحافظين في أواخر عام ١٩٧٩ يقول:  
«إنَّ عَلَيْنَا واجبًا يُجَبِّ أن نقوم به وهو ما نفعله، والذين يعملون بواجباتهم ليس لهم لديهم النصر أو المزعنة، فإذا انتصرنا فهو حسن، وإذا انهزمنا فقد هزم من قبلنا أمير

(١) كلام الإمام ج ١٥ ص ١٨٧.

(٢) المصدر نفسه ج ٦ ص ٤٠.

المؤمنين والحسين ولكنهم قاموا بواجباتهم وها نحن نعمل بواجبنا».<sup>(١)</sup>  
وعندما يسأله مراسل التايز اللندنية قبل خجاج الثورة عن حياته الشخصية يجيب:  
«حياتي الخاصة حادثة فردية من مجموع حوادث العالم ولا تحتاج إلى توضيح، أما  
عقيدتي فهي كعقيدة سائر المسلمين في تلك المسائل الواردة في القرآن الكريم والسنة  
الشرفية والقادة الصادقين، بعده، وروح هذه العقيدة وأهمها وأجلها عقيدة التوحيد».<sup>(٢)</sup>  
وعندما تحدث أحد النواب في مجلس الشورى بحضوره فأطرب في وصفه رد عليه  
 قائلاً:

«إنني لأخشى أن تكون هذه الأقوال وأمثالها سبباً لحدوث حالة من الفرور  
والانحطاط لي وإني لا عودة بالله - تبارك وتعالى - من الغلو، ولو كنت أعتبر نفسي  
حائزًا على مرتبة أعلى من سائر الأفراد فذلك انحطاط فكري وتسافل روحي»<sup>(٣)</sup>.

ويقول في حديثه في لقائه بالطلاب الدارسين في الهند عام ١٤٠١هـ:  
«إن علينا تحقيق مفاد الآية الكريمة (وَقُلْ جاءَ الْعَقْ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ)<sup>(٤)</sup> وعلى  
الشعوب الإسلامية أن تحقق الحق في مجتمعاتها وتبطل الباطل».<sup>(٥)</sup>

ومن شروط القائد أن يكون شعبياً متواضعاً يعيش مع الجماهير المسلمة وها، ويفكر  
في ما يصلحها ولا ينزع عنها كلّ هم خدمتها ورضاهما، يعي آلامها ويعيش أملاها،  
ويحكم قلوبها قبل أبدانها. وهو ما طبّقه الإمام الخميني نفسه على حياته الشخصية  
والسياسية. يقول الإمام في رسالته إلى الشعب في عيد انتصار الثورة الأولى:

«إن الأطباء منعوني من الاشتراك في عيد الشعب الفيور والجيش الإسلامي إلا أن  
قلبي مع الشعب الشريف، والجيش الإسلامي الوطني والحرس، ودعائي المتواضع

(١) المصدر نفسه ج. ٦، ص. ٦٠.

(٢) كلام الإمام ج. ٦، ص. ٧٧.

(٣) المصدر نفسه ج. ٦، ص. ٩١ - ٩٢.

(٤) الإسراء: ٨١.

(٥) المصدر نفسه ج. ١٥، ص. ١٧٣.

يودعهم وسابقى ما بقى في رمق من الحياة خادماً مضحياً في خدمة الجميع».<sup>(١)</sup>

ويقول في كلمته إلى الخطباء والعلماء في طهران عام ١٩٨١:

«إننا جميعاً رهن لمنة هذه الجماهير العظيمة. إنها تعطى كلّ شيء في سبيل الإسلام

ولا تطلب شيئاً».<sup>(٢)</sup>

ويقول قبيل الثورة وهو يقيم بياريس:

«إنّ شعبنا يعتبرنا خدماً للإسلام والوطن، والمسائل التي نطرحها كانت في ضمير هذا

الشعب، ولذا فنحن نتحدث عن مطاليب الشعب».<sup>(٣)</sup>

ويقول مخاطباً الوفد المرسل للتحقيق في الحرب المفروضة، وكان يضم بعض القادة

الكبار عام ١٩٨٠:

«إنّي أنصحكم أيّها السادة وأنتم على رأس بعض الأقطار الإسلامية أن تسعوا

لتحكّموا القلوب لا أن تحكّموا الأبدان والقلوب عنكم بعيدة».<sup>(٤)</sup>

وهكذا كانت سيرته العملية، فلم يكن شيناً ولم يكن قصراً ولم يترك شيئاً يذكر.

كانت حياته تتلخص في بيت مستأجر وغرفة صغيرة ومصحف وبعض الكتب المهدّاة،

هذا وهو الرجل الذي يهدّى القوى العظمى وينقص حياة ذوي القصور الفارهة في أنحاء

العالم.

كان يعيش مع شعبه بكل وجوده، وهذا ما يشهد له التاريخ.

ومن الأمور المشرّطة في القائد بشكل طبيعي أن يتمتع بالأهلية العلمية، ذلك أنه

يريد أن يقود محركاً عقائدياً ويسعى لتطبيق منهج إنساني متكملاً وأطروحة جامدة.

وطبيعي أن القائد يجب أن يطبق الأطروحة على نفسه، كما يسعى للالتزام بتوجيهات

الأطروحة ومناهجها في أسلوبه العملي حتى إذا ما انتصر راح يعمل على تطبيقها على

الحياة الاجتماعية تطبيقاً ترضاه أدتها ومنابع رؤيتها للواقع والحياة. وهذه أمور تتطلّب

(١) كلام الإمام ج. ٦، ص. ٥٨.

(٢) المصدر نفسه ص. ١٠٤.

(٣) المصدر نفسه ص. ٢٩.

(٤) المصدر نفسه ص. ١٨١.

أن يكون القائد ممتلكاً بالصفات العلمية والخلقية العليا، وهي في الواقع ما يسمى بالأساس العقلي، أي الأساس الطبيعي لنظرية ولاية الفقيه، فلابد لقيام الحكومة الإسلامية من وجود ولاية توسيع إصدار القوانين والتحديات التي تستبعدها هذه القوانين للحرية الأصلية للأفراد تحقيقاً لطموحات الرسالة ومصالح المجتمع، وهذه الولاية إنما تتعقّل للشخصية التي تتمتع بالقدرة الفقهية والسلوك الملائم العادل والأهلية القيادية المطلوبة، ولستنا هنا بقصد الحديث عن أبعاد هذه النظرية الإسلامية الأصلية بقدر ما أردناه من الإشارة إلى ضرورة تعقّل القائد بهذه الصفة العلمية.

يقول الإمام الخميني في حديثه إلى الناس في أوائل عام ١٩٧٩: «إلهي إنك تعلم أنني لا أدفع عن العلماء (ودورهم) لأنني منهم بل لأنني أعلم أن هذا الصنف من الناس هو الذي يستطيع إنقاذ الشعب».<sup>(١)</sup>

وكان من تأكيده أنه أن يتم الالتحام بين الجامع العلمي الدينية (الجوزات) والتي كانت المدرسة الفيوضية متلاًها، والجامع العلمي الحديثة (الجامعات الأكاديمية)، وذلك بعد أن عمل الاستعمار على إيجاد الهوة السحرية الملائى بالتهم والسخرية بينهما.

لذلك نراه يقول مخاطباً مجموعة من العلماء الدينيين والأساتذة والطلبة الجامعيين في أوائل عام ١٩٨٠:

«لقد هدمتم ذلك السد الكبير بين ما نسميه بالفيوضية<sup>(٢)</sup> والجامعة، إنها الخطوة الأولى والتي يجب أن تستبعدها خطوات فتعلموا على أن تكونوا مستقلين غير تعبيين... إن الأجيال الآتية يجب أن تعلم بضرورة وحدة هذين المركزين، وإنما يتم ذلك من خلال العلم والعمل، العلم والتهذيب، يشكلان جناحين لا يمكن الطيران بأحد هما فقط».<sup>(٣)</sup>

وطبيعي أنه إذا تم الالتحام وقت كل الجامع العلمي تسد القيادة علمياً وعملياً، وعندما حاول بعض المفكرين الجامعيين النيل من مكانة الفقهاء وذلك قبيل نجاح الثورة الإسلامية عاتبهم الإمام الخميني قائلاً:

(١) كلام الإمام ج ٦، ص ٥٢.

(٢) المقصود هو الجوزة العلمية بقم، والفيوضية واحدة من المدارس الدينية في الجوزة، لكنها أصبحت من رموزها.

(٣) كلام الإمام ج ٦، ص ٦٣.

«لقد عمرتْ ثمانين عاماً وعشَّتْ ستين عاماً في الجامعات العلمية، ولِي منْذُ حوالى ثلائين عاماً اشتراك في مسيرة الأمور الاجتماعية، وأمامي هذه العقود الأخيرة بكل حواضنها، ومعنى ذلك أثني لا أتفق للخبرة في هذا المجال، ولذلك فبائي أعلن من خلال معلوماتي عن مسيرة الإسلام من الصدر الأول حتى اليوم، أنَّ الذين حفظوا المسيرة الدينية بكل أبعادها هم العلماء».<sup>(١)</sup>

### العامل الثالث: قيام العلماء بواجباتهم

إدراكاً منه لدور العلماء نجده يتوجه إليهم وبذكرهم بدورهم في عملية النهضة الاجتماعية ويصل على نفي الناصر العميلة والتي يسمّيها بوعاظ السلاطين، وهو مصطلح طرح من قبل على ألسنة بعض المفكّرين الاجتماعيين إلا أنه كان معبراً عن روحية هذه الطبقة. وقد هاجمها الإمام الخميني بشدة، وحذر الناس منها وطردتها من المسيرة الاجتماعية.

إنه يؤكّد في حديثه لأهالي مدينة قم في أوائل عام ١٩٨٠:

«لقد قلت مراراً إنَّ العالم الذي يعمل خلافاً لشأن العلماء وتعاليم الإسلام ويتأمر علينا، إنه أشد من السافاك»<sup>(٢)</sup>. بل هو سافاك معمم... إنَّ لي نفوراً من الكثير منهم ولا أؤمن بالكثير منهم...»<sup>(٣)</sup>.

ويؤكّد في كتابه (ولاية الفقيه)<sup>(٤)</sup> قائلاً:

«إنَّ ذلك الفقيه الذي يدخل في جهاز الظلمة ويعود من حواشـي البلاط ويطيعهم ليس أميناً ولا يمكن أن يحمل الأمانة الإلهية، والله وحده يعلم مدى المصائب والمحن التي صبـّها علماء السوء هؤلاء على الإسلام».

وفي قبال ذلك يؤكّد الإمام الخميني في أماكن كثيرة ويتأكيد شديد على قيام العلماء

(١) المصدر نفسه ص ٧٣.

(٢) اسم جهاز المخابرات عهد شاه إيران.

(٣) كلام الإمام ج ٦، ص ٦٢ - ٦٣.

(٤) المصدر نفسه ص ١٩٩.

بواجباتهم في سبيل دفع عجلة الصحوة إلى الأمام:  
«لقد رأينا أناساً كانت مجرد معاشرتهم وملاحظة سيرتهم تترك أثراًها التزكيه على الآخرين. إنَّ عليكم أن تهذِّبوا أنفسكم إلى الحدَّ الذي يترك سلوككم فيه وأخلاقكم وإعراضكم عن الدنيا أثره في إصلاح الناس، فيقتدون بكم، وئذنَّونَ أسوةً للآثام، وجندًا لله، لستطعوا أن تعرفوا الإسلام، والحكومة الإسلامية. لا أريدكم أن تتركوا التفَّهَ، بل عليكم الدراسة المتواصلة بكلِّ جدية، وأؤكد على هذه المسألة. لا تخلوا الموزعات من التفَّهَ، وما لم تتفَّهُوا فإنَّكم لن تستطعوا أن تخدموا إسلامكم، إلا أنَّ عليكم خلال دراستكم أن تعرفوا الإسلام للناس».»

وَيُضَعِّفُ:

«إن تحطيم الطاغوت - أي القوى السياسية المنحرفة المحاكمة - في وطننا الإسلامي إنما هو من واجباتنا». <sup>(١)</sup>  
و قبل أكثر من خمسة عشر عاماً من نجاح الثورة، كان الإمام الخميني يؤكد هذه الحقائق:

«على علماء الإسلام الدفاع عن أحكام الإسلام المسلمة، واستقلال الأقمار الإسلامية، والتغور من الظلم وإسرائيل وعملاتها وأعداء القرآن المجيد، والإسلام، والوطن ... إن السكوت في هذا العصر في قبال الظلم إنما هو إعانة عليه». <sup>(١)</sup>  
ويقول أيضاً (رحمه الله):

«إنَّ الفقهاء يحبُّ أن يقودوا الشعُوب وينعموا من اندرايس معلم الإسلام وتعطيل  
أحكامه... إنهم الْيَوْم حجَّةٌ عَلَى الشعُوب تِنَاماً كَمَا كَانَ الرسُول حجَّةٌ عَلَى الأُمَّةِ وَكَانَ  
الْأُمُورُ كُلُّهَا مُوكَلَةٌ إِلَيْهِ، فَكُلُّ رَادٍ عَلَيْهِ مُحْجُوجٌ، وَالْفَقَهَاءُ مُنْصَوِّبُونَ مِنْ قَبْلِ الْإِمامِ عَلَيْهِ  
الْإِسْلَامِ حَجِّيًّا عَلَى النَّاسِ».<sup>٣</sup>

(١) ولایة الفقیہ ص ٢٠٣

<sup>٤٢</sup> بيان صادر عنابة الخامس عشر من خرداد عام ١٩٦٣.

(٢) ولاية الفقيه ص ١٠٦، ١١٨، و غيرها.

ولا ننسى هنا أن نشير إلى صفة كان الإمام القائد يؤكد عليها في القيادة، وهي صفة الشجاعة في قول الحق، وهي صفة تمنع هو بها في القمة إذ يقول مثلاً: «إن (رجال السلطة) يعاملونني معاملة العبيد في القرون الوسطى، إنشي أقسم بالله العظيم بأني لا أريد حياة كهذه. (إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا بربما) <sup>(١)</sup>، ليتهم يقضون علي حتى أعلم إني قد أدت واجبي). <sup>(٢)</sup>» ويقول (قدس سره):

«لقد أعددت قلبي لرماح عملاتكم ولكني لن أقبل المخضوع أمام الجبارية». <sup>(٣)</sup>  
والحقيقة هي أننا نستطيع أن نجعل من أهم عوامل الصحوة قيام العلماء بواجباتهم.

#### **العامل الرابع: التحول الشعبي باتجاه الإسلام والمعنويات**

وَالْوَاقِعُ أَنَّ عَمَلَ الْعُلَمَاءِ انْصَبَ عَلَى أَنْ يَسْتَعِدَ الْإِسْلَامُ دُورَهُ فِي النُّفُوسِ وَالْمَقْوِلِ،  
وَحِينَئِذٍ فَهُوَ يَتَكَلَّ بِدُفْعَاهَا نَحْوَ سُبُلِ السَّعَادَةِ، بِمَا يَحْمِلُهُ مِنْ طَاقَاتٍ ذَاتِيَّةٍ، وَإِبْدَاعٍ مُتَدَفِّقٍ  
يَفْجُرُ طَاقَاتِ الْفَطْرَةِ، وَيَسْخُرُ مَكْنُونَاتِهَا، وَيَسْتَهِنُ بِدَفَائِنَهَا، إِذَا تَجَلَّتِ الْفَطْرَةُ النُّفْسِيَّةُ  
عَلَى السُّطُوحِ الْحَيَاتِيِّيِّ كَانَ الْفَلَاحُ كُلُّهُ.  
وَالْجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ هُؤُلَاءِ الْمُفَكَّرِينَ لَمْ يُسْتَطِعُوا أَنْ يَحْقُّقُوا مَا حَقَّقُوا إِلَّا بَعْدَ أَنْ  
حَرَرُوا نُفُوسَهُمْ مِنْ الْمَعْرِفَةِ الرِّحِيقَةِ، وَنَذَرُوا أَنفُسَهُمْ لِلْهَدْفِ، وَتَخَلَّصُوا مِنْ قِيُودِ التَّبَعِيَّةِ  
لِلْحُكَّامِ الَّذِينِ شَكَلُوا – فِي فَتَرَةِ الْغَفُوَةِ – قِيُودًا ظَالِمَةً، وَمَا زَالَ الْكَثِيرُونَ مِنْهُمْ يَشَكَّلُونَ  
ذَلِكَ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ اتَّصَقُوا بِالْعَلْمِيَّةِ وَالرُّوحِ التَّغْيِيرِيَّةِ إِسْلَامِيَّةِ مَعًا.

«إنَّ مَا حَدَثَ فِي إِيْرَانَ مِنْ شُوَّرَةِ مَعْلُولٍ لِّمَاعِلِينَ: الْأَوْلَى: — وَهُوَ الْأَهْمَمُ مِنْ غَيْرِهِ — هُوَ أَنَّ الشَّعْبَ تَحْمَمَ مِمَّا يَسْرِيْهُ، بِعْنَى أَنَّ إِيْرَانَ مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى بِيَوْلِ الْإِمَامِ الْخُمَيْنِيِّ (رَحْمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ) عَامَ ۱۹۷۹:»

(١) العبارة التي قالها الإمام الحسين (ع) في كربلاء قبل استشهاده.

(٢) بيان إلى الشعب عام ١٩٦١

(٣) في بيان صادر عام ١٩٦٢.

أقصاها كانت تطالب بالإسلام. والأمر الثاني: أنَّ جميع الأصناف والقطاعات اتحدت وتلامحت فيما بينها<sup>(١)</sup>.

ويقول في حديثه إلى بعض الجنود في نفس السنة:

«سر انتصارنا يمكن في أنْ نهضتنا لم تكن سياسية فقط أو لانتقاد النفط من التبعية فحسب، وإنما كانت تمتلك بعداً معنوياً إسلامياً، شبابنا كانوا يتمسون الشهادة ويستقبلونها تماماً كما كان المسلمون في صدر الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

ويقول أيضاً:

«هذه المديمة الغبية، وهذه الحرية، وهذا الخلاص من تحكم الظالمين، وهذا الاستقلال الذي منحنا الله إياه وقطع عنا أيادي الأجانب إنما هو لقوة الإيمان ووحدة الكلمة والاتجاه إلى الله - تبارك وتعالى - حيث أفت يد العناية الإلهية على رؤوس هذا الشعب ظلها، وحققت هذا النصر، فلتحفظوا هذه المديمة الإلهية»<sup>(٣)</sup>.

ويقول مخاطباً مندوبي السودان والأردن بعد عام من نجاح الثورة:

«إنَّ على المسلمين أن يوجدوا التحول المطلوب: التحول من المخوف إلى الشجاعة، التحول من التوجُّه للدنيا إلى الإيمان وإلى الله، فإنَّ منشأ كلَّ الانتصارات أن تتحول إلى موجودات إسلامية إيمانية كما أراد الله لنا»<sup>(٤)</sup>.

ومن الملاحظ هنا أنَّ القائد الحكيم هو الذي يراقب مسيرة الثورة بكل دقة، فإذا ما حدثت حالة (الإقبال الثوري) لدى الأمة عمل على استثمارها على أفضل وجه، في سبيل تحقيق مصالح الشعب، وتصعيدوعي لتحقيق الصحوة المطلوبة. ولنا من القرآن الكريم وعمل الرسول الأكرم والقادة خير الأدلة والتطبيقات لهذه القاعدة الأساسية.

(١) كلام الإمام ج ١٠، ص ١٤٧.

(٢) المصدر نفسه ج ١٠، ص ١٢٩.

(٣) كلام الإمام ص ١٣٦.

(٤) المصدر نفسه ج ١٥، ص ٦٠.

### **العامل الخامس: اشتداد ظلم الطفافة وتصاعد الهجوم الاستعماري**

عندما يتصاعد هذا العامل، وبالخصوص عندما يتصاعد الإحساس الشعبي بهذا الظلم، يترك أثره في تحريك الجماهير نحو بذل الفالي والرخيص للخلاص منه، وتحقيق التغيير الاجتماعي المطلوب.

يقول الإمام الخميني (ره) في جوابه على رسالة الرئيس الليبي أواخر عام ١٩٧٧:

«الشعب الإيراني وبعد اقتسام المراحل الزمنية السود الملأى بالعنف، وبعد تحمل أزمة مرعية، وقدان الاستقلال، وضياع الشعائر الإسلامية والوطنية على أيدي المجنحة الذين تقف على رأسهم عائلة بهلوى الجرمة، وبعد مشاهدة كل ذلك السلب والنهب، وأغطاث الخليفة اللامتاهية لل المقدسات الدينية والوطنية، والذخائر الوطنية العظمى وفي طليعتها القوى الإنسانية والتراجم الثقافية، هذا الشعب - وبخشية الله تعالى وتوكله على الإسلام والقرآن - عاد إلى ذاته وراح من خلال نهضة الإسلامية يتقدم كسليل عارم لمحظيم السود الكبار للاستعمار والاستبداد...».<sup>(١)</sup>

ويقول (رحمه الله) مخاطباً جموعة من عشائر محافظة (بoyer أحد):

«أحد العوامل التي حفقت لكم النصر، هذا التصاعد في الظلم والإرهاب. ذلك أنَّ الربع والإرهاب عندما يطفئ فإنَّ الانفجار سيتعيَّن، ويتجتمع المقدَّس الشعبي لتطلاقه صرخة شجاعة، وفي إيران تجمعت هذه العقد النفسية وحصل الانفجار، والأهم من كل ذلك أنَّ هذا الانفجار رافقه اتجاه نحو الإسلام، ولقد كانت صرخة الإيمان هي انطلاقه هذا التحرُّك».<sup>(٢)</sup>

### **العامل السادس: الأماكن والمقاسبات والشعائر الإسلامية وحسن استثمارها**

وهذا عامل واسع الأبعاد بدوره، ذلك أنَّ الإسلام - بمعنى من المعاني - يربّي الإنسان على أن يكون تغييرياً ثورياً دائماً لا يقبل مطلقاً الواقع فاسد. ومن أساليبه

(١) كلام الإمام ج ١٠، ص ٨٠.

(٢) المصدر نفسه ج ١٠، ص ١٣٧.

المهمة مسألة تعين بعض الأماكن والأزمنة والشعائر لتمتلك زخماً معنوياً نورياً يفوق الحالة الاعتيادية، ويعمل على إيجاد ضغط معنوي وحالة يقظة وصحوة، ويدفع نحو تحقيق المعاني الكبرى التي ي يريد لها الإسلام.

فعلى الرغم من أن الله تعالى له ما في السموات والأرض، وهو معكم أينما كنتم، إلا أنه شاء أن يعين بعض الأماكن وينسبها خصوصاً له بما يسمى (بيوت الله)، كما شاء أن يعين مكاناً معيناً له في الأرض ليكون بيته المرام، وعلى الرغم من أن الزمان ملكه تعالى وحده، لكنه شاء أن يعين شهر رمضان المبارك شهراً له، وعلى الرغم من أن الأيام كلها له، لكن هناك أياماً تثير الكثير من المشاعر لهذا سميت أيام الله، وهذه المعطيات الزمانية والمكانية لها دورها الكبير في تحقيق عودة إلى الله وسرعة في العملية التغیرية.  
والقيادة الوعية الحكيمية هي التي تستثمر هذه المناسبات الإسلامية لتحقيق التغيير المطلوب في مستوى الوعي والصحوة. وكم كان الإمام يردّد: إنَّ كُلَّ مَا لدينا من عطاه ثوري إنما هو نتيجة عطاء شهر حرم وال المجالس التي يعقدها المؤمنون لإحياء ذكرى ثورة الحسين بن علي (عليهما السلام).

وهو يؤكد في وصيته الحالدة قائلاً:

ـ «وليعلموا أنَّ تعاليم الأنمة عليهم السلام لإحياء هذه الملحة التاريخية الإسلامية - نورة الحسين (ع) - ... إنما هو بأجمعه صرخة بطيولية شعبية بوجه الحكم الظلمة على مرَّ التاريخ وإلى الأبد».<sup>(١)</sup>

وعن أثر المساجد يقول في أحد أحاديثه عام ١٩٧٩:

ـ «كلَّ الحركات الإسلامية منذ صدر الإسلام إنما استمدت انتلاقها من المسجد، لقد كان المسجد محلاً لتعبئة القوى ضد الكفر والشرك، وأنتم باعتباركم من رواد المساجد يجب أن تحولوا المساجد إلى قواعد للإسلام وللحركة الإسلامية ليتم قطع أيادي الشرك والكفر وتأييد المستضعفين في قبال المستكبرين».

(١) كلام الإمام ج ١٥، ص ٧٩.

اما الحج فحدث عنه ولا حرج، ففي تصوّرات الإمام الخميني عن الحركة الإسلامية يحتل الحج الدور الأكبر، وكان يحرص (رحمه الله) على أن يتحقق الحج دوره العظيم في صياغة المجتمع الإسلامي المؤمن العابد الموحد والمكافح ضد الطفيان.

ولقد كان يضمن أروع توجيهاته في رسائله المطولة التي كان يوجهها إلى الحجاج كل عام، وإننا لنعتقد أنَّ هذا الجانب يحتاج إلى دراسة معمقة فاحصة لكي نصل إلى الأبعاد الكبرى التي كان الإمام يرمي إليها في هذا العمل الإسلامي الكبير.

ولم تكن هذه النظرة ولidea نجاح الثورة الإسلامية، بل كان يبشر بها قبل ذلك بستين، فهو يؤكد في كتابه (ولاية الفقيه) على ذلك قائلاً:

« يجب استئمار هذه الاجتماعات لأهداف الإعلام والتعليمات الدينية وتوسيع مدار النهضة العقدية والسياسية الإسلامية ». <sup>(١)</sup>

ولسنا نريد التوسيع في هذا المجال، وتكتفي نظرة سريعة على رسائله إلى الحجاج لنكشف الأهمية البالغة التي أولاها الإمام لذلك.

ومن المناسبات الإسلامية الأعياد الكبرى باعتبارها يوم العودة إلى الله، وهنا يطلب الإمام من خلال تهانيه أن تدرك الجماهير أبعادها، وقد كانت انطلاقـة الثورة الإسلامية الكبرى من يوم عيد الفطر المبارك، فلنلاحظ كيف يبارك الإمام الخميني مناسبة عيد الاضحى المبارك لكل المستضعفين قائلاً:

« أبارك هذا العيد الإسلامي الكبير لكل أولئك المستضعفين في العالم والذين ناروا بوجه المستكبرين وأولياء الطاغوت ». <sup>(٢)</sup>

**العامل السابع: نجاح الحركات الإسلامية والثورة الإسلامية الكبرى في إيران نفسها**  
 فعلى الرغم من أنَّ هذا العامل معلول للصحوة المباركة إلا أنه بدوره يشكل أكبر العوامل لتوسيعها وغواها في كلَّ العالم الإسلامي.

(١) ولاية الفقيه ص ١٨٠.

(٢) كلام الإمام ج ١، ص ١١١.

## العامل الثامن: الدور الرائع الذي لعبته الحركات الإسلامية في نشر التوعية والحماس الشوري بين أبناء الأمة.

وقد اختلف تأثير هذه الحركات على هذه المنطقة أو تلك، كما اختلف مستوى الوعي والحماس لدى هذه الحركة عن تلك، إلا أنها - جميعاً - قد أوجبت الشوق الجماهيري نحو تطبيق الإسلام، وأوجدت شعوراً ذا مساحة معتدلة بها، بلزوم مقاومة مظاهر الطاغوت، والعودة للإسلام. وكثيراً ما رأينا الإمام يذكر بدور المرحوم الأفغاني والمدرس والتوري وحركة فدائني الإسلام وغيرها.

ولئن لأعلم أنَّ الكثير من أبناء هذه الأمة قد اهتدى بفعل تأثير هذا العامل، كما أعلم أنَّ الكثير من المحاولات الاستعمارية والعميلية قد جرت لجزءٍ بعضها إلى سبيل الاحتواء، أو الانضواء تحت الرايات الخادعة، أو الاعتماد على نظم لا تمت إلى الإسلام بصلة، وطبعي أنَّ هذه المحاولات لابد وأن يكشف زيفها في أجواء الوعي السائد، وهكذا كان الأمر، وراحَت حركة التوعية تقطع أشواطها الضخمة التأثير.

وهنا أؤكد أنَّ على القادة المسلمين أن يديروا دفع عجلة النهضة الفكرية والعملية، بكل ما يملكون من طاقة، بعد أن يحرروا وجودهم وفكيرهم من سيطرة الطواغيت، والعمالة للأجنبى، فالتحرير الذاتي شرط أساس عملية التحرير الاجتماعي.

وبالتالي فإنَّ التذكير بهذه القضايا وتعزيز الرؤية نحوها سوف يترك آثاره الإيجابية على استمرارية عملية الصحوة ودينونة النهضة الإسلامية.

ثم إنَّ عليهم عدم الانخداع بالنماذج التعريفية للإسلام التي يعرضها القشريون والمتسكون كذباً والمطفلون على الإسلام.

يقول الإمام الخميني بهذا الصدد:

«إنَّ المجتمع الإسلامي اليوم مبتلى بمجموعة من القشريين المقدسين كذباً والذين يعملون على إيقاف مسيرة الإسلام والمسلمين، ويوجهون الضربات للإسلام باسم الإسلام نفسه».١)

وهو خطر داهم يجب الوقوف ضده، فمن هؤلاء تبع أفكار من قبيل:  
 الإسلام ليس إلاً مجموعة تعليمات أخلاقية!  
 لا حكومة في الإسلام!  
 علينا الصبر حتى ظهور الإمام المهدى (ع)!  
 يجب الفصل بين الدين والسياسة!  
 الإسلام ينسجم مع كل النظم الأخرى!  
 أحكام الإسلام فردية أما الشؤون الاجتماعية فمتروكة للناس!  
 لا توجد روح تغيرية أو نورية في الإسلام!  
 ليست هناك صحوة إسلامية!  
 لا مانع من فتح المجال للعدو الكافر كي يعشش في أوكار المسلمين، دفاعاً  
 عن بعض العروش!  
 وأمثال ذلك من السخافات التي لا تعب أنفينا في دفعها إلا أنها تستطيع أن تترك  
 أثراً سلبياً في أذهان المسلمين.

(ج)

## الصحوة وبعض الأعراف السلبية

ذكرنا أنه رغم المحاولات المشبوهة التي تعمل على إنكارها، فإنَّ الصحوة الإسلامية عادت حقيقة واضحة لها ظواهرها وأثارها في سوح التصور عن الحياة، ودور الإسلام في صياغة مستقبل الأمة ومسيرتها السياسية والاجتماعية. كما أنَّ لها آثارها في عودة الجماهير إلى الإسلام ومفاهيمه ونظمه والدعوة إلى تطبيقها في شئ الجماليات، وطرح مسألة الحل الإسلامي للمشاكل المتنوعة التي تعاني منها الأمة. ونحن نشهد اتساع ظواهر الالتزام بالتقالييد الإسلامية في قبال الأساليب المتنوعة التي يحاول البعض تسويقها للساحة الاجتماعية رغم كونها غريبة على الذوق والذهنية العامة لدى المسلمين. ومن مظاهرها فقدان الطروحات والأفكار الغريبة قدرتها التأثيرية، رغم التطبيل والإغراء الإعلامي الواسع.

يقول المفكر المرحوم كليم صديقي: «إنَّ التاريخ قد دخل الآن طوراً جديداً، لقد تحقق توقيف تدهورنا واحتضاناً السريع ... وقد بُرِزَ فينا إدراك جديد بالقدر والاتجاه والمُدْفَع». <sup>١١</sup>

إنَّ الصحوة الإسلامية بقيت على امتداد السنين الطويلة الموجلة في العمق تشكل الماجس المربع للغرب بعرضه الغريض كما توحى كلمات قادته وسياسييه وكتابه

(١) افتتاحية (كرست) الكندية في ١٥ أغسطس، ١٩٨٠.

ومؤرخيه ومنظريه محذرة من يقظة العالم الإسلامي والبديل الحضاري الذي يقدمه الإسلام مما يقلص من نفوذ الغرب ويقلل من فرص تفوقه.

وربما حاول بعض الكتاب الغربيين أن يدفعوا المسلمين إلى التسامح بعد اليأس من وجود قوة منافسة للغرب، وهنا تقول السيدة (هانتر) في حديثها عن مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب: «إن إمكان ظهور تقل مضاد اقتصادياً وسياسياً للغرب قابل للنمو، يوفر للدول الإسلامية حليناً محتملاً ومصدراً عون، قد يعزز مivoها التنافسية تجاه الغرب ويعنها على تحدي السياسة الغربية، وفي المقابل فإنَّ فقدان هكذا تقل مضاد من المرجع أن ينبع موقعاً إسلامياً أكثر تسامحاً»<sup>(١)</sup>. وهي في كتابها تؤكد على عنصر تسامح المسلمين وربما تلمح إلى لزوم انصراف المسلمين عن حالة المنافسة.

### الأعراض المرضية للصحوة

والذي نركّز عليه في هذا الحديث هو الأعراض السلبية الكثيرة التي ابتليت بها الصحوة الإسلامية والحركات التي تبنّتها - ولو في بعض نشاطاتها - أملأً في ارتفاع الوعي بهذه الأخطار، ومن ثم العمل على التخلص منها، والسير على طريق الترشيد والتطوير والتأثير الأكبر في صنع غدّها الواعد. ويمكّنا أن نشير فيما يلي إلى بعضها:

١. التركيز في عملية تطبيق الشريعة على بعض جوانب العيادية ونسيان جوانب الأخرى  
وهذه الحالة تُفضي إلى ترك انتطاع سَيِّ عن العملية وربما يفتح المجال لأعداء الصحوة كي يشهروا بها، بالإضافة إلى أنَّ عملية التطبيق نفسها لن تؤتي عطاها المطلوب إلا في حالة تطبيق باقي جوانب الشريعة. وبيدو ذلك واضحاً من خلال فهمنا للإسلام كأطروحة جامعة متراقبة تحقق توازنناً وعدالة في إشباع الحاجات الإنسانية

(١) مستقبل الإسلام والغرب: تعرّيف زينب شوربا، ص. ٢٢٥.

والتي هي بدورها مترابطة أشد الترابط واقعاً.  
ويكفي أن غسل هذه الحالة بعمليات التطبيق الشرعي التي ركزت على نظام  
العقوبات، وأهملت الحياة الاقتصادية والتربية والحربيات الاجتماعية وفكرة تحقيق  
العدالة الاجتماعية.

## ٢. الاتجاه القسري والسطحي في فهم الشريعة

ولا ريب أنَّ هذه المعرفة في القراءة، والسطحية في التفكير أفرزت حلواناً ناقصة لا  
تسجم مع المنطق، وأبعدت النفوس عن تصور الحل الأمثل للمشاكل الحياتية المعقّدة  
عند تطبيق الإسلام، بل قد تدعو - واقعاً - للسخرية وتبرر للعدو اتهاماته الظالمة أصلاً  
لهذه العملية بالتخلف والرجعية والتزمت والجمود وأمثالها.  
ولعلنا نجد في التجربة الأفغانية الطالبانية الكثير من هذه الظواهر بما لا يحتاج معه إلى  
التمثيل.

## ٣. الانفصال عن العلماء والمفكرين وحركة الاجتهد الأصيل

وهذا المعنى يعني تحقق اجتهدات ناقصة خصوصاً في قضايا حساسة، مما يؤدي إلى  
تطبيقات اعتباطية قد تؤدي إلى مخالفات واضحة للشريعة ومقاصدها.. وهذا ما لمناه  
في حركات الشباب المتعرق لخدمة الإسلام والمنفصل عن حركة الإسلام الأصيل مما  
جرأه إلى عواقب غير محمودة.

وربما شهدنا بعض المنظرين الغربيين يشجع هذا الاتجاه ومنهم بريامان، إذ يؤكّد  
على لزوم المنع من احتكار الاجتهد من قبل الفقهاء وفتح مجال (القراءة الحرة للإسلام)  
للجمّع، فالعلماء هم المانع الأكبر لتقدُّم الأمة، وهو يشجع حتى قادة الصحة الإسلامية  
على تجاوز هذا المانع.<sup>(١)</sup>

والغريب أن نجد في عالمنا الإسلامي كتاباً يدعون انتقامهم حتى للحركة الإسلامية  
يدعون إلى رفض ما يسمونه بـ(طبقة العلماء) وفتح المجال لتعزيز الاجتهد، وأن يكون

(١) في مقالات نشرها تباعاً في الاكونوميست اللندنية عام ١٩٧٤.

لكل قرائته المستقلة عن الدين، بل ربما دعوا إلى نوع من المفرمتوطيقاً المنفلتة.<sup>(١)</sup> وما أكثر الحركات التي بدأت مخلصة ولكنها اخترت بفعل جهل قادتها وعدم اتصالهم بالعلماء، فارتكتست في المخالفات وكل ما لا يرضاه الإسلام، بل وانقسمت في الإلحاد، ولا ننسى ما ابتدلت به حركات المسلمين السود في أميركا من (ادعاء نبوة الشريف درو علي)، (غيبة فارد علي المنظر) (ادعاء النبوة لاليجا محمد) ((الصبغة السوداء المعادية للبيض)، وأمثال ذلك.<sup>(٢)</sup>

#### **٤. الانبهار والانفتاح أمام بعض النظريات الغربية**

وهذه الظاهرة تبرر بعضاً من مختلفه: كالتجديد في الفكر الإسلامي، أو التعرّف التنظيمي، أو برجمة عملية الثورة والاستفادة من النظريات اليسارية أو اليمينية باعتبارها من المحكمة – وهي ضالة المؤمن يطلبها أينما وجدها – دون ملاحظة أنها جزء من كيان لهأسسه وبنائه، فما أن تقبل بالمتضييات حتى تتجزئ للقبول بالأسس المرفوضة أصلاً. وهذا ما لاحظناه من بعض اليساريين أو اليمينيين في بلدان إسلامية متعددة، مما جرأ البعض منهم إلى ما يقرب من الإلحاد، والعياذ بالله تعالى، أو إلى حالة من الهجننة الفكرية التي تجمع بين الإسلام والليبرالية أو الاشتراكية، رافعة شعار التطور دون أن تقييد بضوابط التغير.

#### **٥. الاتجاه نحو العنف والإرهاب**

وهو الظاهرة الخطيرة التي قلبت الموازين والاستراتيجيات، ورفعت من حدة الصراع والاتهامات والتحديات وأغاث المصار ضد الأئمة الإسلامية ومعاملها ومعاهدها ونشاطها الاجتماعي بما لا تحتاج لتوضيحه.

(١) مراجع كتابنا (الموار مع الآخر) ص ١٦٢.

(٢) مراجع مقال الأستاذ آدم ببا عن الداعية الأميركي مالكوم إكس في ندوة المحج الكبرى بمكة عام ١٤٢٣.

وإذا كانت هذه الظاهرة معلولة لعوامل غريبة على واقعنا، أحياناً، أو تشكّل رد فعل متطرف لأفعال معادية أحياناً أخرى، فإنها على أي حال لا تعبّر عن تطبيق أمين نظام الجهاد في الإسلام – كما يتصرّف البعض منا خطأً أو كما يتصرّفه الأعداء – فهم يخظّطون بما يستطيعون لخذف هذا النّظام الأصيل وتعلّيماته من واقعنا التعليمي، ومن أدبنا وخطابنا السياسي.

ولسنا بصدّ إثبات هذا المدعى بقدر اهتمامنا بالقول إنَّ الإسلام يرفض الاستخدام العشوائي لأسلحة الدمار الشامل – كما يعبر عنها اليوم – سواء على صعيد العمل الفردي أو العمل الحكومي، والأنكى من ذلك أن يتم ذلك باسم الإسلام والصحوة. تقول هذا دون أن تنسى أنَّ أميركا التي تدعى قيادة الحملة ضد الإرهاب هي التي موّلت الإرهاب في مختلف الأماكن وخصوصاً الإرهاب الصهيوني، وهي تستخدم حلّتها لفرض عولتها الجنوّنة والمتواحّنة – كما يعبر الكتاب الغربيون أنفسهم<sup>(١)</sup> – على مختلف الصعد السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها، ناقضة بذلك القوانين الدوليّة وجماعتها، وطارحة مفاهيم ونظريات خطيرة، ومن أخطرها فكرة (الحرب الاستباقية)، وفكرة (النّائية): فإنما أن تكون معنا أو فأنت إرهابي)، وغيرها.

#### ٦. الصنمية التنظيمية، واتّباع مصلحة التشكيلات قبل كلّ شيء<sup>(٢)</sup>

وهي ظاهرة قد يمكن تفهمها في جو مادي أو ليبرالي مصلحي، ولكن لا يمكن قبولها في المنطق الإسلامي الذي لا يمانع بل ربما يفعّل المجال لتنوع في الأحزاب والفصائل المختلفة في اجتيازاتها العملية ولكنه يرفض مطلقاً أن يتحول التنظيم إلى قالب فكري حديدي يعيّن الإرادة الفكرية وقدرة الاعتراض والتأكّد من الموقف، ويُشجّع الذويّان حتى اللاإوعي في القادة.

(١) رسالة المسلم في حلقة العولمة ص ٥١٥.

(٢) مراجع ما كتب حول هذه الظاهرة في كتاب (اتفاقية الدعوة) الصادر عن حزب الدعوة الإسلامية في العراق.

ونحن نجد في ثقافتنا الإسلامية الكثير مما يرفض ذلك، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: (اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ)<sup>(١)</sup>، أنَّ المقصود هو إصفاوهم لهم وإطاعتهم من غير قيد أو شرط، ولا يطاع كذلك إلَّا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وقد أخذ المفسرون ذلك من روايات عديدة.<sup>(٢)</sup>

## ٧. اليأس والتراغي

إذ أنَّ الضربات الموجعة التي توجهها القوى المعادية، وأغاط الحصار الظالم المضروب على الأمة وحرکتها الإسلامية، والتهویل الكبير للمصابع وتشويه التجارب التي نجحت في كسر الحاجز، وكثير غير ذلك ربما يؤدي إلى أن يتربى اليأس إلى نفوس العاملين فيخلق حالة من التراخي ونسيان الأهداف الكبرى، بل وإلهاء النفس وإنقاعها بالماكاسب الصغيرة، والأساليب الدعوية التي تبتعد عن مجالات التغيير وتحفي باليسير، تاركة القضايا الكبرى بيد المصير المجهول. وما أتعس حال الفتنة التي تفقد الأمل وتستكين للذل بعد أن كان الأمل باقه من ميزات المؤمنين، يقول تعالى: (إِنَّ كُوئُثُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ).<sup>(٣)</sup>

## ٨. الاتجاه نحو الاصلاحات الفرعية وعدم التركيز على التغييرات المركزية

ونحن نعلم أنَّ الأمور الفرعية - إن لم تلحظ في إطار العملية التغييرية - قد تحول إلى أساليب تحذيرية، وربما ساعدت القوى الاستعمارية، والمحلة منها، على ترسيخ هذه الظاهرة لكي تؤمن شيئاً من الرضا الشعبي. وإذا نسيت القضايا المركزية فقدت الأمة حيويتها ومستقبلها.

(١) التوبية: الآية ٥١

(٢) تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ج ٩، ص ٢٥٥

(٣) سورة النساء: الآية ١٠٤

## ٩. عدم تفعيل إمكانات الأمة المغيبة

قد يجده الكثيرون من الإمكانات الفنية والأدبية والإمكانات الحديثة، بل وربما أهل الدور العظيم والتعموي الذي يمكن أن تقوم به العبادات والاجتماعية منها بالخصوص، كصلة الجماعة والحج في مجال تربية الإنسان المسلم التغييري الذي يرفض الخضوع لغير الله، والعيش في حياة لا يرضاه الله تعالى.

وقد ذكر باحثان جليلان هما الأستاذان السرياني وميرزا أثر الحج في استقلال اندونيسيا أن السلطات الهولندية التي احتلت هذه البلاد الإسلامية من عام ١٦٤١ وحتى ١٩٤٥ لاحظت أنه تحدث ثورات قوية بعد كلّ موسم حج، ورغم أنَّ الكاتبين أرجعا ذلك إلى اتصال الحجاج بآخوانهم من الجاويين<sup>(١)</sup> إلا أنَّنا نعتقد أنَّ الدور الأكبر هو لعملية الحج نفسها، والتي تربى في الإنسان الحاج الروح التغييرية عبر ربطه بحركة الأنبياء، وهم أكبر المغيرين عبر التاريخ، وخصوصاً سيدنا إبراهيم (عليه السلام) والرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم). ويمكن أيضاً ملاحظة تحالف سلطات الاحتلال الفرنسي من الحج الجزائري مما دفعها لمنعه أو تحديده بشدة<sup>(٢)</sup>. فإذا انتقلنا إلى الصعيد الفردي نجد أنَّ الحج ترك آثاراً ضخمة على الكثير الكثير من الحجاج مما لا يمكن إحصاؤه.

إن فتنة تعمل على تعميم الصحة الإسلامية وتعيقها واستمرار حيويتها يجب أن لا تنفل طاقات الإسلام وال المجالات المفتوحة، بل تستغلها بكل قوة وإلا استغلها أعداء الصحة أنفسهم.

## ١٠. فقدان الواقعية، وتجاوز المرحلية

ذلك أنَّ عملية التغيير تحتاج إلى تحطيم فكري ومراحل عملية ولا يمكن الإغرار في

(١) أقيمت المحاضرة في ندوة الحج الكبرى في موسم حج عام ١٤٢٤ هـ

(٢) نفس الندوة مقال عن مكة وعواطفها في فكر مالك بن نبي للأستاذ مولود عوبر.

التفاؤل والعمل على حرق المراحل، فإنه يؤدي في الغالب إلى الارتكاس في الأخطاء، وكشف التواصص، والتراجع لغات لم تتشبع بعد بفكر الصحوة.<sup>(١)</sup> وربما لاحظنا - على العكس - حركات إسلامية أغرت في المرحلة فلم تستغل الفرصة المتاحة بمحنة أنها مثلاً ما زالت في المرحلة الفكرية فلا يكتمل الإقدام على خطوة عملية.

#### ١١. الدوران حول الذات وعدم فتح الجسور مع الآخرين

إنَّ حركة الصحوة الإسلامية لا تتم ولا تحرك في فراغ بل تعايشها اتجاهات أخرى، وعلىها أن تتدبر معها.

فرغم أنَّ الاتجاهات العلمانية والقومية والاشتراكية وأمثالها شكلت في عقود خلت عقبات كأداء أمم الصحوة فإنَّها بحاجة اليوم للتعايش مع الصحوة، ولابدَّ للصحوة من فتح حوار معها. وربما يجريها الحوار إلى نوع من المهدنة وربما التعاون للقضاء على التخلف والتفرقة القاتلة ومحاربة العدو الأكبر. أمّا الانفلاق ورفض الآخر فربما جمع القوى ضدها وأفشل خططها. بل إنَّ فتح جسور مع حركة المنويات في العالم والجهات الخيرة، والمدافعة عن حقوق الإنسان والمحروميين والمستضعفين سوف يعود بالخير. وقد شهدنا أخيراً بعض محاولات الافتتاح.<sup>(٢)</sup>

#### ١٢. الاتجاه القطري والإقليمي

ونحن نلاحظ أنَّ بعض عناصر الصحوة والحركة الإسلامية يتوجه اتجاهًا ذاتياً قطرياً أو إقليمياً ينزعز به عن اهتمامات محمل التحرك العام بل ويعمل على تكوين خصائص جغرافية له ينذر نفسه لها ولا يهتمُّ بالجروفات التي تحدث في أماكن أخرى إلا اهتماماً عابراً بمحنة (الأقليون أولى بالمعروف) متناسين أنَّ العدو سيغدر بهم بعد أن يفقدوا مدد الأمة. على أنَّ الأطر الجغرافية نفسها قد تحول إلى قيود وعوامل لتصفية النظرة

(١) (اتفاقية الدعوة) نشر حزب الدعوة الإسلامية في العراق.

(٢) من قبيل مؤتمر الحوار الإسلامي القومي في بيروت. ومؤتمرات الحوار المسيحي الإسلامي المتعددة في بيروت والقاهرة وطهران والحرطوم وبعض الدول الأوروبية.

الإسلامية العالمية وهي أهم ركائز الصحة ومميزاتها. ولا نريد أن نعطي أمثلة لهذه الحالة لما يتبع ذلك من حساسيات ونكتفي بالإشارة العامة.

#### **١٢. فقدان التخطيط الاستراتيجي المستقبلي**

وهي حالة تعيشها الأمة ويعيشها العالم الثالث فلا يوجد تظير للمستقبل، ولا توجد أقسام لدراسة المستقبلات، ولا رؤى تحدد ما سوف يواجه الأمة حتى في المستقبل المنظور. واضح أنَّ الذي يعيش دون تخطيط مبكأً على وجهه مرشح للعثرات القاتلة، وحاطب الليل قد يقطع يده هو.

إنَّ الدراسات المستقبلية عادت تشكل أقساماً جامعية مهمة في الفرب وتعهد الجموع للنظريات الاستراتيجية. ونحن نعتقد أنَّ زوجة (الآيات الشيطانية) ذات المظهر الأدبي، ونظريات (صراع الحضارات) (نهاية التاريخ) ذات المظهر التارمي، وفكرة (المحروب الاستباقية) الواردة في السياق العسكري، وبعض إرهادات (العزلة) وحتى بعض المصطلحات من قبيل فكرة (القرية الصغيرة) و(الحدود المفتوحة)<sup>(١)</sup> المطروحة في المجال الاقتصادي شكلت في مراحل ما بالونات اختبار قبل أن تأخذ سيلها إلى واقع العلاقات الدولية. فلما في الصحة الإسلامية من هذه العادات؟

#### **١٤. ظاهرة التمرق وتراشق الاتهامات**

وهي ظاهرة يمكن قيومها في مجال الاتجاهات المادية، ولكن الاتجاه الإسلامي لا يتحمل مطلقاً هذه الأعراض، فالمهدف واحد وروح التسامح وقبول الاجتهاد الآخر والتعامل مع الآخرين بروح الأخوة وفي إطار الوحدة لا تسجم مطلقاً مع عمل أحدنا على إجهاض مشاريع الآخر إلا أنها مع الأسف نلحظ وقع هذه الحالة إلى الحد الذي يهدد وجود الصحة وحياتها وهي الداهية الدهباء.

(١) وهي مصطلحات روج الغرب لها لأغراض في نفسه.

## ١٥. العمل الإسلامي في أوقات الفراغ

كثيراً ما نجد العاملين يخصصون أوقات فراغهم للعمل الإسلامي، أمّا وقتهما الرئيسي فمترك لشأنهم الشخصية أو حتى للعمل مع الهياكل التقليدية المرفوضة، وحيثند تعود الحركة الإسلامية حركة هامشية - كما يعبر كليم صديقي<sup>(١)</sup> - في حين أنَّ الأمر يتطلب أن يكون رفد الصحوة هاجساً أكبر.

## ١٦. الطائفية

وهو عرض خطير عانت منه الأمة الإسلامية وجرت لأجله أنهار من الدماء والدموع.

لقد سمح الإسلام - بعفوني واقعيه ومرؤته وخططيه ليقي خالداً في توجيهه للحياة - بالاجتهداد، وتتوّعَّت الاجتهدادات خصوصاً بعد أن تقدّمت الحياة، ونشأت المذاهب غنيًّا فكريًّاً هذه الأمة.

ولكن تحول المذاهب بعد ذلك إلى طوائف وتدخل الأهواء الشخصية ومصالح حكام السوء خلق التزاع بينها وأفقد الأمة حلوة الاجتهداد الحر، مما دعى البعض إلى إغلاق باب الاجتهداد. ونحن نعلم أنَّ الصحوة لم تطلق انتلباً طائفياً بل تحركت في مسار إسلامي عام فانتجت الكثير الكثير إلاً لأنَّها نلمح في الأنفاق بعض الاتجاهات الطائفية في بعض مجالات الصحوة مما يهدد إفشاها وتحويتها عن مسارها الصحيح والمطلوب.<sup>(٢)</sup>

## ملاحظات تعقيبية

الأولى: ما ذكرناه من ظواهر قد يكون بعضها داخلياً في عموم الآخر، كما قد يكون بعضها معلولاً للآخر ولكننا نعتقد أنها جيئاً ستحقق إفرادها بعنوان مستقل لأهميتها.

الثانية: نستطيع أن نعبر عن هذه الأعراض بأنَّها تحديات داخلية تؤدي إلى نفس ما

(١) في محاضرته في اجتماع منظمة النباب الإسلامي بالرياض عام ١٩٧٦م.

(٢) يراجع كتاب فضة الطوائف للأستاذ الأنصاري ص ١٥٥ - ٢٢٠.

تؤدي إليه التحديات الخارجية، أو فلنعتبر بأنَّ التحديات الخارجية تنتَ في الفراغ الذي تحدثه هذه التحديات، وربما كان بعضها معلولاً للتحديات الخارجية نفسها، فقد عمل الغرب لشرارات العقود وخصوصاً في القرنين ١٩ و ٢٠ على تكرير حالتي التخلف والتعزق بشتى أنواعه ومنها الطائفية، في الأمة.

الثالثة: تستحق عملية المعالجة وبالتالي ترشيد الصحة أن يفرد لها بحث خاص لأنَّ عناصرها تبدو واضحة عند استعراض هذه الأعراض ونشرير فيما يلي إلى بعض ما يجب عمله على ضوء ما سبق:

- ١- ضرورة السعي لتشجيع عملية التطبيق الكامل والمترابط للشريعة.
- ٢- لزوم التعمق في فهم الشريعة ومقاصدها، والابتعاد عن السطحية.
- ٣- ضرورة تحكيم دور العلماء والجماع العلمية، وتفعيل عملية الاجتهاد الحر.
- ٤- مراقبة التيارات الواقفة، والتحذير من الانهيار بها.
- ٥- بيان الوجه الرحيم للإسلام ونبذ الإرهاب، ولكن لا يعني هذا الانظام، والسكوت على عمليات الكفر الإرهابية.
- ٦- نبذ المظاهر الصنمية في العمل الحركي.
- ٧- بعث روح الأمل في جاهير الصحة.
- ٨- التركيز على العمل التغييري، دون غاية نسيان للأعمال الإصلاحية الفردية في سياق العمل التغييري.
- ٩- الاستفادة من كلِّ الإمكانيات المتاحة.
- ١٠- التحلُّي بالواقعية في العمل.
- ١١- نبذ الطائفية.
- ١٢- فتح المسور المعقولة مع الآخرين.
- ١٣- تحكيم روح الإسلام السياسي العالمي.
- ١٤- اعتماد مبدأ التخطيط المستقبلي بعيد المدى.

وهناك أمور أخرى نوكلها للدراسات المفصلة.<sup>(١)</sup>

الرابعة: وهذه التوصيات يمكن أن تقدم إلى مؤتمر سياسي إسلامي كمؤتمر القمة الإسلامي. وربما يقال: إنَّ هذه الأمور لا ترتبط بالقادة السياسيين فما معنى توجيه توصيات لهم بهذا الشأن؟ إلاَّ أنَّ من الواضح كون الأمر يرتبط بهم ولو بشكل غير مباشر ذلك:

أولاً: لأنَّ يدهم الكثير من أزمة الأمور في هذه الأمة، قضية الصحوة وترشيدها هي قضية الأمة بLarryip، فلا يمكن أن يغفوا أنفسهم من المسؤولية.

وثانياً: لأنَّ الكثير من هذه التوصيات ترتبط بهم مباشرة، خصوصاً بعد أن طالبت بعض الجامع العلمية التابعة لنظمة المؤتمر الإسلامي بأمثال هذه التوصيات.<sup>(٢)</sup>

وثالثاً: فإنَّهم يستطيعون أن يوفروا الأدوات المناسبة لقيام الجماهير وتنظيماتها الدينية بأدوار رئيسيَّة لتحقيق ذلك.

---

(١) - تراجع مقالاتنا حول الموضوع: مجلة رسالة التقرب العددان ٣٤، ٣٥ من ٢٢٧؛ كتاب قطر (رسالة المسلم في حقبة العولمة)، ص ٥١٠؛ الصحوة الإسلامية في مؤتمرات متعددة.

(٢) من قبيل التوصية الصادرة من جمع الفقه الإسلامي في دورته الخامسة حول تطبيق الشريعة الإسلامية (قرار رقم ١٠).

(٤)

## التنوع المذهبي في المجتمعات الإسلامية

### (علله وتاريخه وواقعه اليوم)

مقدمة:

يتميز الإنسان بارادته الحرة، وهذه الارادة - وإن كانت نتيجة لأشواق وعواطف متناهية حتى تصور البعض من الفلاسفة والفنانين أنَّ الارادة هي نفسها سوق متراكم - ولكنها تميز عن الشوق الحيواني بأنها ترتبط بقناعاته العقلية في مجال (ما ينبغي فعله وما لا ينبغي)، أو ما يسمى بالعقل العملي، وهي أمور لا تتوفر في الحيوان. فالإرادة الإنسانية السوية - إذن ومهما كانت العواطف المتراءكة - تسير بهداية من العقل العملي، في حين تحرّك الإرادة الحيوانية بداعف شهوانى انفعالي أعمى. ومن هنا اعتبر الإنسان الذي يتحرك بنفس هذا الدافع حيواناً، بل هو أضلَّ من الحيوان؛ لأنَّ الله منحه الكابح الفطري وهو العقل فأهلته، يقول تعالى: (وَقَدْ ذَرَنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنَ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَقْهِنُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَنَّهُمْ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاجِلُونَ<sup>١١</sup>).

فالحيوان يخلو من أي توجيهات عقلانية واعية محاسبة ومثله الإنسان الغافل عن ما يملكه من طاقات.

ومن هنا كانت الحرية لدى الحيوان وشبيه الإنساني حرية الشهوة والأهواء، وهي حرية منفلتة من عقلاها ومخربة يحب السيطرة عليها في رأي الفلاسفة المسلمين بل والوضعيين أيضاً.

فهذا الفيلسوف الإسلامي الكبير صدر الدين الشيرازي يقول: «العقل العملي هو القوة التي تستبط الواجب فيما يجب أن يفعل من الأمور الإنسانية التي يفعلها في معاشه ومعاده بخلاف القوة التي دونها فإنَّ أفعالها حيوانية لا فكرية»<sup>(١)</sup>.

ويوجه الفيلسوف الألماني المادي هيجل تقدماً إلى التعريف الرائع في زمانه للحرية بأنها (القدرة على فعل شيء نشاق إليه) واصفاً التعريف بأنه يوضح عدم البلوغ الفكري: لأنَّه لا يشير إلى الحق والحياة الأخلاقية وغير ذلك<sup>(٢)</sup>.

وهنا يذكر الاستاذ مرتضى مطهري أن «ملائكة الشرف واحترام الحرية الإنسانية هو كونها في سير الإنسانية فالإنسان السائر في هذا السير يجب أن يكون حرآً لا ذلك الذي اتبع شهواته حتى ولو كانت موجهة ضد البشرية»<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا وجدنا الإسلام يرسي في الإنسان المسلم المقلالية في الارادة الفردية والاجتماعية وذلك بشئ الأسباب.

فهو يعتبر العقيدة الإسلامية بأركانها المركزية (التوحيد، النبوة، المعاد) هي الإطار العام الذي يوجه هذه المقلالية بما يتبعها من مفاهيم عامة من قبيل:

- المهدية في الكون: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بِاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ)<sup>(٤)</sup>.

- المسؤولية (وَقَوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ)<sup>(٥)</sup>.

(١) الأسفار الأربعية ج ٦، ص ٣٥٤.

(٢) الفلسفة الاجتماعية والسياسية لميجيل تأليف جان بلاستانر. تقادً عن كتاب (الحرية، العقل والاعيان) للشيخ سروش ص ٤٠.

(٣) التعرف على القرآن ج ٣، ص ٢٢٤.

(٤) آل عمران: ٩٦.

(٥) الصافات: ٢٤.

- والحرية الوعية (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) <sup>(١)</sup>.
- والمحاسبة (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْجَسَابِ) <sup>(٢)</sup>.
- والتوازن في الكون والموقف منه (وَالسَّمَاءُ رَفِعَتْهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغُوا فِي الْمِيزَانِ) <sup>(٣)</sup>.
- ورفض الظلم بشتى أنواعه (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىٰ مُنْتَلِبٍ يَتَّقَلَّبُونَ) <sup>(٤)</sup>.
- . ومن الظلم عدم إعطاء الحق لصاحبه والتغيف (لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) <sup>(٥)</sup>. (وَيَأْلِلُ الْمُطْفَقِينَ) <sup>(٦)</sup>.

نعم في هذه الأطر يرى الإسلام العقلانية في المسلم ويعلم على تنمية الجانب العقلي فيه ورفع الموقمات عن التفكير الصحيح.

- أ - أمّا عملية التنمية الفكرية والعقلية فلها برنامج متكمال يشمل - مما يشمل الأمور التالية:

أ - فتح باب الحوار الإنساني للبناء مع التحلّي بالموضوعية، واحترام الآخر، والتركيز على الأمور العملية، واتباع المنهج الأحسن وغير ذلك.

ب - دفع الإنسان للتغيير نحو الأحسن، وعدم الجمود على وضع متخلّف، والتأكيد على بده التغيير منه (إِنَّ اللَّهَ لَا يُعِيرُ مَا يَقُولُ حَتَّىٰ يُعِيرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) <sup>(٧)</sup>. وعملية التغيير هي من مختصات الإنسان عبر استفادته من قدراته العقلية.

ج - الدفع نحو التأمل والتدبر والتبين والاعتبار والتعقل والوعي (الْيَدِيرُوا آيَاتِهِ) <sup>(٨)</sup>

(١) الإنسان: ٣.

(٢) الرعد: ٢١.

(٣) الرحمن: ٧-٨.

(٤) التمراد: ٢٢٧.

(٥) الاعراف: ٨٥.

(٦) المطففين: ٦.

(٧) الرعد: ١١.

(٨) ص: ٢٩.

(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيُنَظِّرُوا) <sup>(١)</sup> (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) <sup>(٢)</sup> (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ يَتَبَيَّنُوا) <sup>(٣)</sup> (وَتَعْيَاهَا أَذْنُ وَاعِيَةٍ) <sup>(٤)</sup> (لَا تَنْقِبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْشُمْ سُكَارَى حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) <sup>(٥)</sup> . <sup>(٦)</sup>

د - فسح المجال لعملية الاجتهاد: «اجتهد رأيي ولا آلو» <sup>(٧)</sup>.

هـ الدفع نحو الشاور (وأَمْرُهُمْ شُورى بَنَتُهُمْ) <sup>(٨)</sup> .

كما عمل - على رفع - معوقات التفكير السليم ومنها:

### **أ. المطلقات النسبية الوهمية**

(مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَنْسَاءٌ سَيِّئُونَهَا أَنْسُمْ وَآباؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلطَانٍ) <sup>(٩)</sup> .

### **بـ. الغرارات**

(مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) <sup>(١٠)</sup> .

### **جـ. التقليد**

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَتُوا بِلِّتَّهِ مَا أَقْتَلَنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْكَانَ آباؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) <sup>(١١)</sup> .

(١) يوسف: ١٠٩.

(٢) التحل: ٦٧.

(٣) المجرات: ٦.

(٤) الحافظ: ١٢.

(٥) النساء: ٤٣.

(٦) الاسفار الأربعية ج ٦ ص ٣٥٤.

(٧) مقوله للصحابي معاذ بن جبل (رض) أمّام الرسول (ص).

(٨) الشوري: ٣٨.

(٩) يوسف: ٤٠.

(١٠) المائد: ٨٣.

(١١) البقرة: ١٧٠.

## د. الففلة

(ولا تَكُنْ مِنَ الْفَاقِلِينَ)<sup>(١)</sup>.

## نشوء المذاهب الإسلامية في قلل هذه الروح العقلانية

ومن الواضح أنه لم يكن هناك شديد حاجة للاجتهداد في عصر الرسول ' بعد أن كانت الأحكام والمفاهيم تؤخذ مباشرة منه، وربما اجتهد بعض الصحابة فاقرهم الرسول على ذلك<sup>(٢)</sup>.

وكان الاختلاف بسيطاً وعندما اتسعت الرقعة الإسلامية نزلت آية النفر التي قررت واقعاً، وشرعت أساساً للاجتهداد وحجية خبر الواحد فقال تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَتَفَرَّغُوا كَافَةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرَقَةٍ مِنْهُمْ طَابِقَةً لِيَتَقَهَّمُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنَذِّرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذَرُونَ)<sup>(٣)</sup>.

ولكن وتيرة الاجتهداد ارتفعت بطبيعة الحال بعد وفاة الرسول ' وهذا استمرت بشكل أشد في عصر التابعين إلا أن المذاهب لم تظهر بشكل واضح محمد المعلم إلا بعد هذا العصر.

ويرى الأستاذ السياس أن العالم الإسلامي شهد منذ أوائل القرن الثاني وحتى منتصف القرن الرابع ١٣٨ مدرسة ومذهبأً فقهياً، حتى أن الكثير من البلدان كان يمتلك مذهبأً خاصاً به<sup>(٤)</sup>، في حين ذكر الأستاذ أسد حيدر أنها كانت تزيد على الخمسين<sup>(٥)</sup>. وكانت هذه المذاهب التي ظهرت بعد طبقة التابعين كما يرى بعض العلماء مذاهب

(١) الاعراف: ٢٠٥.

(٢) كما في حديث معاذ عندما بعثه رسول الله (ص) إلى اليمن وقال له: بما تحضي إذا لم تجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله قال معاذ (الجهد رأيي ولا آلو). وإن نقاش بعض العلماء في ذلك (رابع أصول المظفر ج ٣ ص ١٦٦).

(٣) التوبية: ١٢٢.

(٤) تاريخ الفقه الإسلامي ص ٨٦.

(٥) الإمام الصادق والمذاهب الأربعية ج ١، ص ١٦٠.

فردية لم تجن من قبل أتباعها، ولذلك انقرضت بانقراض أتباعها، وأخرى جماعية نضجت في ظلّ ما دوته أصحابها وأتباعها في مجموعات متکاملة<sup>(١)</sup>.  
ومن المذاهب البائدة:

- ١ - مذهب الحسن البصري (٢٣ - ١١٠ هـ).
- ٢ - مذهب ابن أبي ليلٰي (١٤٨ - ٧٤ هـ).
- ٣ - مذهب الأوزاعي (٨٨ - ١٥٧ هـ).
- ٤ - مذهب سفيان الثوري (٩٧ - ١٦١ هـ).
- ٥ - مذهب الليث بن سعد (توفي عام ١٧٥ هـ).
- ٦ - مذهب إبراهيم بن خالد الكلبي (توفي عام ٢٤٠ هـ).
- ٧ - مذهب ابن حزم داود بن علي الأصبهاني الظاهري (٢٠٢ - ٢٧٠ هـ).
- ٨ - مذهب محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ - ٣٢١ هـ).
- ٩ - مذهب سليمان بن مهران الأعمش (توفي عام ١٤٨ هـ).
- ١٠ - مذهب عامر بن شرحبيل الشعبي (توفي عام ١٠٥ هـ).  
وغيرهم كثير.

أما المذاهب التي استمرت مع الزمن حتى اليوم فهي:

- ١ - المذهب الإمامي الاتا عشري وقد وسع معارفه الإمامان الباقر والصادق من أهل البيت(ع).
- ٢ - المذهب الزيدى.
- ٣ - المذهب الحنفى.
- ٤ - المذهب الشافعى.
- ٥ - المذهب المالكى.
- ٦ - المذهب الحنفى.
- ٧ - المذهب الأباضى.

---

(١) طبقات الفقهاء: القسم الثاني من المقدمة ص ٥٧

### سرقة المذاهب

ولا نستطيع هنا البحث المفصل عن مقدمات نشوء المذاهب ولا عن عوامل الاتساع أو الانتشار، وهي عوامل علمية و موضوعية ذكرها العلماء عند عوامل الاختلاف.

فذكر ابن رشد<sup>(١)</sup> ما يرتبط بتنقيح صغريات حجية الظهور أو حجية القياس وأضاف إليها السيد الحكيم<sup>(٢)</sup> الخلاف في الأصول ومباني الاستباط، ويعkin أن نضيف إليه الخلاف في مناهج الاستدلال ومراحله.

وبالإضافة إلى العوامل الموضوعية يمكن تصور عوامل معرفية ذاتية من قبيل سعة المعلومات وضيقها، وعوامل نفسية وفردية كمدى القدرة على التحليل الذهني، وكذلك لا يمكن أن نغفل دور العوامل السياسية والتاريخية والمصلحية والاجتماعية وغيرها.

إلا أنَّ الأهم من ذلك في بحثنا هذا هو ذكر النقاط التالية:

أولاً: لقد كان ظهور المذاهب تعبيراً عن تطور في العقليات الإسلامية سداً لفراغ غياب الرسول الأعظم وانقطاع الوحي من جهة، وتوسيع الحاجات، وكثرة المسوادت، وتعقد المجتمعات من جهة أخرى، وربما لراكم المعرف الفقهية وانتظار الفروع المتصورة من جهة ثالثة. فهي إذن حالة طبيعية صحية حضارية.

ثانياً: وهذه المذاهب تشكل ثروة فكرية غنية للحضارة الإسلامية لا يستهان بها، كما تفتح الحاكم الإسلامي كما الفرد المسلم مساحة للاختيار الأفضل في مجال عملية تطبيق الشريعة في الحياة الفردية (خصوصاً إذا لم يعين تقليد الأعلم)، والاجتماعية باعتبار أنَّ الرأي الذي يتبع عن عملية اسلامية معترف بها، وهي الاجتهاد، تصح نسبة إلى الإسلام، وحيثند ينفتح أمام الحاكم الشرعي مجال واسع للمناورة وانتخاب الأصلح

(١) بداية المجتهد ونهاية المقصد المقدمة.

(٢) أصول الفقه المقارن ص. ١٩.

من الآراء مما يحقق المصالح (حتى لم يتفق المحاكم مع الرأي في اجتهاده الشخصي) بل يمكنه أن يقوم بعملية توفيق وتركيب بين الآراء للوصول إلى النظرية والمذهب الاجتماعي الأصلح مما يعبر أصدق تعبير عن المرونة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: هذه المذاهب - كما قلنا - شكلت غنى للحياة الإسلامية وحالة طبيعية عقلانية كان الوصول إليها متوقعاً، إلا أنَّ الذي حوكَ هذه الظاهرة الطبيعية إلى ظاهرة سلبية على المسيرة الإسلامية هو ما نسميه بالتحول إلى الطائفية الضيقة، حيث سمعت هذه الروح الطائفية للابتعاد عن التعلُّم والمحوار الذي دعى إليه القرآن الكريم، ونسيان حالة التسامم والمداراة الإسلامية، والخوض في جدال عقيم في بعض الأحيان ومقوت أخلاقياً. ورثنا نشهد فترات مريعة وأساليب لا إسلامية من التكفير والتفسيق والتبديع - كما يعبر الشيخ القرضاوي<sup>(٢)</sup> - مما أدى بذلك إلى نزاع عريض سالت على أثره أنهار من الدماء والدموع، مما مزق الأمة وأزاحها عن موقعها الحضاري المطلوب<sup>(٣)</sup>، وقتل أو أضعف الروح العقلانية التي رأوها الإسلام بكل ما يلازمها من (الاجتهاد المرا) (التشاور المشر) (التغيير الباء) (المحوار المنطقي)، وسيطرت مطلقات وهيبة من قبيل (المذهبية المفردة) (الحق المحتكر) (وأكفر الآخر) (الاختصاص بالفرقة الناجية) وغير ذلك.

ومن هنا فتحن ندعوه بجد ل إعادة الحالة المذهبية إلى وضعها عبر إشاعة العقلانية المطلوبة وروح المحوار الإسلامي الباء، والتآلف القلبي، والبحث عن المساحات المشتركة، وهو ما نعبر عنه بـ (حركة التقارب بين المذاهب الإسلامية).

(١) وهذه بحوث علمية قمنا بطرحها في مجتمع فقهية رفيعة المستوى ونشرناها من قبل، ولا داعي هنا للتفصيل (تراجع تقريرات المؤلف عن بحوث جمجمة الفقه الإسلامي وقد بلغت لحد الآن ستة مجلدات) وتراجع عمريمة الإمام التهذيد السيد محمد باقر الصدر في التعرف على المذهب الاقتصادي في الإسلام.

(٢) مجلة رسالة التقارب العدد ٣٦، ص ٢١٠.

(٣) راجع كتاب قصة الطوائف للأحساري ص ١٥٥ - فيما بعد.

### **حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية**

إنَّ ما أطلق عليه اسم (حركة التقريب) في العقود الأخيرة يمتلك جذوراً تمتد إلى أقدم الإسلاميات؛ لأنَّها تستمد أصولها وحيويتها من أصول الشريعة الفراء، وتتوضح ضرورتها كلما اتسع نطاق مسؤولية هذه الأمة في صنع الحضارة الإنسانية أو الإسهام الفاعل فيها على الأقل.

وقد نجحت في الفترة الأخيرة في التحول إلى استراتيجية فاعلة.

لقد وضع علماء وشخصيات كبيرة في الأربعينات من القرن الميلادي الماضي للبنات الأولى لهذه الحركة المباركة وجاهدوا حقاً في تبيان معالمها وكتبوا العديد من المقالات لترسيخها في النفوس، بعد أن أصلوها وبيتوا جذورها الشرعية وضرورتها المت坦مية.

ونحن سعداء حقاً إذ نجد هذه البذرة قد نمت وتحوَّلت إلى شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كلَّ حين باذن ربها. حيث اهتمت بها الجامع العلمية كمجمع الفقه الإسلامي والآسيسيكو وجعلتها من أهم أهدافها. وادخلها القادة المسلمين في اجتماعهم الاستثنائي بمكة المكرمة في الخطبة المشرية للبلدان الإسلامية، واستقبلها العلماء بكلِّ رحابة صدر.

خصوصاً بعد الحوادث التي جرت وتعبر في باكستان وافغانستان والعراق ولبنان وغيرها.

### **عقبات.. في طريق التقريب**

ولقد أثمرت جهود العلماء والمفكرين والمصلحين اتجاهأً عاماً نحو التقريب بين المذاهب الإسلامية، وميلأ عاماً نحو تقليل لغة الحوار المنطقية. وترجيحها على آية لغة أخرى انسجاماً مع توجهات الإسلام الأصيلة وتاغماً مع الميل العالمي نحو هذا الأسلوب فيما بين الحضارات والثقافات والأديان.

ونحن إذ نتبشر خيراً بهذا الأمر نعتقد بلازوم تعقيمه في الأذهان وال NFOS: لأنه اتجاه علمي وفسي خلقي في آن واحد. يريد أن يتعالى في الإنسان المسلم على خلافه في

رأي مع الآخر، ويغاضي عما يرتبه هذا الخلاف من مقتضيات التنوّع في السلوك وصولاً إلى الموقف الموحد من التحدّيات الكبرى التي تواجهها الأمة، وكذلك من الأمور الداخلية التي هي لوازم الشخصية الواحدة لها.

وتستلزم عملية التعميق هذه القيام بكل ما من شأنه تحويل الرغبة في التقارب وبالتالي في التفاهم إلى ملامة وخلق اجتماعي أصيل وعام حيث يعود معه كل صوت تباعدي حالة نشازاً وخروجاً على الجماعة، وسعياً خارج الدائرة وتحركاً خارج السرب تفر منه الطياع وتتفرز منه النغمس.

ولن يتحقق هذا الهدف إلا إذا قام العلماء والمفكرون بعملية الاستيعاب الكامل لل فكرة أولاً ودراسة تاريخها، آثارها في مسيرة الأمة التاريخية والحضاروية ثانياً، وتوسيعة الجماهير وبأثارها ثالثاً ونقل الفكره - وبالتالي - إلى الممارسة العملية اليومية المستمرة حتى تتحقق تلك الملامة ويسود ذلك المنهج المطلوب.

وربما يتطلب الأمر تفاصيل مشاريع اجتماعية مشتركة في المجالات البحثية أو الاجتماعية وغيرها.

ولعل أهم نقطتين يجب التركيز عليهما في البين هما:

أ - استقصاء الدوافع الدينية والاجتماعية وحتى السياسية باعتبارها مقتضيات التحرّك نحو التقرّيب في الفكر والتّوحيد في العمل.

ب - معرفة العقبات والموانع التي تقف بوجه ذلك. أمّا النقطة الأولى فهي تتعلق بمحضونها الواسع في النصوص الإسلامية ويمكن الاستعانتها فيها بأساليب القرآن الكريم المتنوّعة في الدفع نحو الوحدة من خلال الدعوة المباشرة، وتركيز روح التعامل العقلاني والمحوار المنطقي مع الآخر، والتذكير بتوحد العدو - رغم تناقضاته - في جهة المواجهة مع الأمة الإسلامية، والنتائج الإيجابية للوحدة، والسلبية للتفرّق وأمثال ذلك، وهذه حديث مفصل يذكر في محله.

وأما النقطة الثانية فهي موضع تركيزنا هنا رغم أننا بلحاظ محدودية الزمان لا نستطيع التوسيع في الأمر.

## مواضع في طريق التقرير

ولعل أهمها ما يلي:

### أولاً: العامل الخارجي

من الواضح تماماً أنَّ أعداء هذه الأمة يختلفون كلَّ الظروف التي تؤدي لتعزيز هذه الأمة ويفرون في وجه كلَّ ما يعمل لتوحيدها. وقد لاحظنا أنَّ الاستعمار الغربي عمل خلال فترة احتلاله للعالم الإسلامي، وخصوصاً في الفترة التي احتل فيها العالم الإسلامي كلَّه تقريباً، وقضى على آخر دولة إسلامية شمولية في الربع الأول من القرن الميلادي العشرين، لاحظنا أنه اعتمد سياسة ثلاثة تستهدف:

١ - إبقاء الأمة على تخلفها العلمي والاقتصادي والتعليمي وغير ذلك.

٢ - إشاعة الحالة العلمانية الغربية على الروح الإسلامية في العالم الإسلامي إلى جانب تحريك النزعات القومية والمنصرية ولكن سرعان ما فشل مشروعه مما دعى بعض الكتاب المعاصرين لسميت به «النصر سريع الزوال للعلمانية (١٩٢٠ - ١٩٧٠)».

٣ - تعزيز العالم الإسلامي إلى دول وشعوب متفرقة، وتحريك الفئات المذهبية الجغرافية والقومية والعنصرية حتى التاريخية كلَّ ذلك خوفاً من هاجس الوحدة الإسلامية الذي يجري الحديث عن والتتحقق منه باستمرار من قبل القادة والmakers والكتاب الغربيين ويتم لصراع دائم مع العالم الإسلامي على أساسه. تقول الكاتبة هانتر في مقدمة كتابها:

«قامت الرواية التي ألقها جون بوشان، وكان لا يزال رائداً في استخبارات الجيش البريطاني عام ١٩١٦، على فرضية قيام ثورة إسلامية، من شأنها، إذا ما اندلعت، أن تقلب مجرد الحرب العالمية الأولى في غير مصلحة القوات الحليفة.

كتب بوشان في روايته، العباءة الخضراء The Green Mantle: الإسلام عقيدة قتالية، إذ لا يزال ذلك الشيخ يقف في المغارب حاملاً القرآن باليد والسيف المشهور في اليد الأخرى. فإذا افترضنا أنَّ هناك أملاً بالخلاص يعيد الروح حتى إلى الفلاحين في المناطق النائية ويدغدغ أحلامهم بالجنة فماذا سيحدث يا صديقي؟ ستفتح جهنم أبوابها في هذه الأرجاء عما قريب. لدى تقارير من العلماء في كلَّ مكان، صغار التجار في

جنوب روسيا، وتجار الأحصنة في أفغانستان والتجار التركمان، والحجاج في الطريق إلى مكة، والأشراف في شمال أفريقيا، ولا ي nisi جلود الفنم من المغول، والفقراء الهندوس والتجار اليونانيين في الخليج، فضلاً عن القناطير المترممين الذين يستخدمون الشيفرة. هؤلاء جميعاً يجتمعون في رواياتهم التي يرسلونها إلى على الأمر نفسه، أنَّ الشرق في انتظار إشارة إلهية.

بعد ذلك بنحو ثلاثة أرباع القرن، عبر المعلم السياسي الأميركي، تشارلز كراونغر، عن مخاوف مماثلة عندما قال: إنَّ الولايات المتحدة تواجه خطرين جيوسياسيين محتملين، يتأتى أحدهما من المنطقة نفسها التي ذكرها جون بوشان في روايته، فهو يتخد شكل عالم إسلامي متحدٍ تحت راية أصولية على النطاق الإيراقي تخوض صراعاً وجودياً ضد الغرب الكافر<sup>(١)</sup>.

وهي من أهم النقاط التي ركز عليها المرحوم السيد جمال الدين في خطبه العامة ل لتحقيق نهضة إسلامية كبيرة.

وها نحن نشهد دور اليد الأجنبية المتدة لتحرّك التزاعات الطائفية في باكستان والعراق وأفغانستان ولبنان وسائر البلاد التي يعيش فيها أتباع المذاهب. وربما استخدمت وسائل الإعلام والأقلام والأسلحة المأجورة لتحقيق المدف.

ثانياً: المصالح الشخصية لبعض الزعماء والحكام

وهو أمر شهدناه في عصور الظلام الماضية، ونشهده اليوم أيضاً حيث يستغل البعض نفوذه ليثير البسطاء بل ربما بعض المتنبيين لأهل العلم لتحريض الإحن والتزاعات الطائفية.

يقول أحد الكتاب المؤرخين واصفاً بعض حروب الطوائف بتحريض من السلطات الحاكمة:

«وكانت لا تمرّ سنة دون عنة بين ما وصف بفرق السنة وفرق الشيعة في سائر أرجاء المنطقة العربية الإسلامية فقد تولى الترك بأنفسهم عام ٢٤٩هـ عمليات القمع الطائفية ضد الشيعة... وكان أكثر الضحايا من منطقة (الشاكريّة) ببغداد وب نتيجتها هو جم السجن

(١) مستقبل الإسلام والغرب. شيرين هنتر تعرّيب زينب شوربا ص ١١١.

المركري وأحرق أحد الجسررين الواثلين بين جانبي الكرخ والرصافة». ويستمر في الحديث عن دور حكومات الطوائف في تحريك الفتنة في مصر، وعن الاقتتال الطائفي بعد قيام حركة الزنج في سواد جنوب العراق، وامتداد التزاع إلى المدينة المنورة والي طبرستان، وتواصلت إلى شمال أفريقيا وهكذا<sup>(١)</sup>.

وهناك كتب كثيرة تتحدث عن هذه الظاهرة كقدمة ابن خلدون وغيرها. وبكفي أن نذكر بدور التزاع العثماني الصفووي في خلق الفتنة الطائفية الداخلية واضعاف الأمة الإسلامية مما جرّ وبالتالي إلى أن تفقد شوكتها وعزتها أمام التحديات.

فلقد سيطرت الدولة العثمانية (١٢٨٠ - ١٩٢٤م) على الشام وأجزاء من العراق إضافة إلى مناطق في شمال أفريقيا، وسيطرت الدولة الصفوية (١٥٠٦ - ١٧٣٤م) على ايران. وراحتا تتنافسان وتوكلان هوبيهما المذهبية.

مما أفرز تزاعاً طائفياً مقيتاً سببه تزاع المصالح ونهم الفرزة والقبائل والمستبدين لا المذاهب، وشهدنا استعمار موجة التكفير والقتل وإهانة المقدسات في كلا الطرفين. ونحن إذ نشير إلى هذا التزاع لا نذكر الخدمات التي قدمتها للحضارة الإسلامية ولكننا نتعذر عليهم استخدام التزاعات المذهبية لأغراض سياسية.

وإذا كانا نتذكرة أي إكراه أو عنف للاجبار على تغيير المذهب فإننا نتذكرة على الطرفين معاً وبمستوى واحد.

### ثالثاً: التكفير

وتعذر هذه الظاهرة من أهم العقبات بوجه التقرب. ورغم أنَّ الإسلام وَضَحَّ تماماً الحدود الفاصلة بين الكفر والاعيان، وحددها بدقة فإنَّ هذه الحالة الغريبة حدثت بقوة.

فمن عبادة بن الصامت قال رسول الله :

من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله وكلمه القاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.

وفي رواية أدخله الله من أبواب الجنة الثانية أيها شاء، وروى الشيخان والترمذى:

(١) قصة الطوائف للدكتور فاضل الأنباري ص ٢٣٣.

من شهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله حرم الله عليه النار<sup>(١)</sup>.  
وروى سماحة عن الإمام الصادق (ع) قوله:  
الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والصدق برسول الله، به حفت الدماء، وعليه  
جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهرة جماعة الناس<sup>(٢)</sup>.  
وروى القرآن الكريم الرسول الكريم 'أتبعاه على التعامل العلاني والمسوار المنطقي  
والقبول بالتلذذية الاجتهادية إذا كانت على أساس شرعية منضبطة.  
إلا أنَّ هذه الظاهرة حدثت في ظل ظروف عصبية في مطلع الأمر كما في قضية  
الخوارج.

ورغم أنَّ الأئمة عبرت هذه الحالة وعادت إلى التعامل المنطقي في عصر أئمة المذاهب  
وقدم الأئمة أروع صور منطقية وربوا أتباعهم عليها ولكن العوامل الكثيرة الأخرى  
قادت إلى عودتها من جديد.

وابي اعتقد أنَّ أهم ما قاد هذه الظاهرة هو ما يمكن تسميته بمؤاخذة الآخر بلوازم  
كلامه رغم أنَّ هذا الآخر لا يؤمن بهذه الملازمة مطلقاً.  
فقد يُدعي كفراً الخوارج علياً (ع) معتقدين أنَّ لازم موقفه من التحكيم كفره والعياذ بآله.  
فقد ذكروا آله شك في نفسه حين قال للحكمين:

«انظرا فإنَّ كان معاوية أحق بها فأنبأناه، وإنْ كنت أولى بها فانبئناي» فإذا هو شك  
في نفسه ولم يدر أهو أحق أم معاوية فتحن فيه أشد شكأ».

وروى الإمام عليهم بقوله: «فإنَّ ذلك لم يكن شكأ مني، ولكن انتصف في القول، قال  
آله تعالى: (وَإِنَّا أَوْ إِنَّكُمْ لَعَلَى هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)<sup>(٣)</sup>. ولم يكن ذلك شكأ وقد علم  
آله أنَّ نبيه على الحق»<sup>(٤)</sup>.

وبعد عصر الأئمة دبت هذه الحالة بوتيرة أوسع وذلك كما لاحظناه في الاختلاف

(١) ذكرتها الصحاح في أول ما ذكرته من روایات وجمعها صاحب جمع الفوائد في مطلع كتابه.

(٢) الكافي ج ٢، ص ٢٥.

(٣) سبا: ٢٤.

(٤) الاحتجاج للعلامة الطبرسي ج ١، ص ٤٤٤.

حول (زيادة الصفات على الذات الإلهية) و(التحسين والتقبيل العقلين) حيث رأى الطرفان المتنازعان أنَّ الطرف الآخر يقوده رأيه إلى الكفر وهكذا نجد هذه الظاهرة في قضايا كثيرة من قبيل (التوسل) و(الشفاعة) و(البداء) وحتى في مثل (الاستحسان) و(القياس) و(المصالح المرسلة) وغيرها. في حين لواحتكم الجميع إلى الحوار المنطقى لاكتشافوا على الأقل لدى الطرف الآخر ما يبرر له الإيغاثة بهذه القضية أو تلك وربما اكتشفوا أنَّ الزاعم لنقطى لا حقيقة له.

وزاد الجهل والتعصب الطين بلة حيث يدخل في عملية الفتوى من ليس أهلاً لها فيفتقى بغير ما أنزل الله. وهذا ما شهدناه بكل وضوح في الحركات التكفيرية في عصرنا مما أدى إلى سفك الدماء البريئة على نطاق واسع باسم الدفاع عن الدين والأمة وهذا من هذه الحالة براء.

#### رابعاً: التشكيك في نوايا الداخلين في الحوار

لا يتحقق التشكيك الجو المادى المطلوب، ويدفع نوع من التهرب أو المماطلة أو تلمس العثرات مما يمنع من تحقيق النتيجة المطلوبة. وهذا ما شهدناه نظيره في عمليات الحوار بين أتباع الأديان نتيجة ما يحمله كل طرف من تراكمات ذهنية عن الآخر فالطرف المسيحي مثلاً يحمل أحقاده الصلبة وبإعمامات المستشرقين بما يسمونه بالهرطقة الإسلامية) وما يدور في نفسه من هوا جس الصحوة الإسلامية التي تأسس مشروعه في السيطرة، في حين يحمل الطرف الإسلامي سوابق ذهنية كبيرة عن خدمة التبشير المسيحي للاستعمار على مدى قرون.

ولكن العمل الجاد والتوجه للتعليمات الإسلامية المادية والداعية لحسن الظن في الأخ المسلم يمنع من أن يلعب هذا العامل دوره في المسع من التقرب خصوصاً إذا تم على مستوى العلماء العاملين الذين خبر بعضهم بعضًا في مجالات العلم والأخلاص والعمل في سبيل الأمة بمجموعها.

#### خامساً: التهويل والتضخيم واستحضار الماضي والتهجم على المقدسات وعدم احترام الآخر

وكلَّ واحد من هذه الأمور يمكن أن يشكل بنفسه مانعاً من تحقيق الحوار المطلوب

وبالتالي الوصول إلى التقرير، وقد وجدنا النصوص الإسلامية تتفاوت في المعنى من هذه الأمور:

قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةً أَنْ تَكُونُوا لِلَّهِ مُتْنَىٰ وَفَرَادِيٌّ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا يَصْحِبُكُمْ مِنْ جِنَّةٍ) <sup>(١)</sup>. يمنع من الموارد في الأجزاء الانفعالية المصطنعة.

وقوله تعالى: (قُلْ لَا تُسْتَأْنِلُونَ عَنَّا أَجْرَمَنَا وَلَا تُسْتَأْنِلُ عَنَّا تَعْمَلُونَ) <sup>(٢)</sup> يمنع من الاتساع بالماضي ويفرض احترام الآخر وذلك أيضاً واضح في الآية التي تنهي حتى عن سب آلة المشركين.

#### سادساً: الاختلاف في المنهاج

اضف إلى كل ذلك أن اختلاف مناهج الاستدلال وطرق الاستباط يمنع من التقارب في النتائج فينبغي السعي إلى ما يأتي:

- ١ - الفراغ من المفروضات المسبقة قبل بدء عملية الموارد.
- ٢ - الاتفاق على منهج واحد للاستباط وليس هذا الاتفاق أمراً صعباً.
- ٣ - تحقيق محل الموارد بدقة لئلا ينظر كل طرف إلى قضية ومفهوم لا ينظر ومفهوم لا ينظر إليه الطرف الآخر.

وهناك موائع أخرى من قبيل:

- ١ - اعتبار القول الشاذ علامة على المذهب كله.
- ٢ -أخذ تصويرات المذهب من أقوال خصومه.
- ٣ -دخول من ليس أهلاً في عملية الموارد.
- ٤ - اتباع الأساليب الملتوية للظرف بالأخر.

وغير ذلك مما لا يسعنا المجال للتعرض له ولكن يجب حذفه حتى نصل إلى التقرير المطلوب بل الضرورة في عالمنا الم��ب.

(١) سـ: ٤٦.

(٢) سـ: ٢٥.

## تنوع المذاهب بين الماضي والحاضر

### انتشار المذاهب بين الماضي والحاضر

لقد تغيرت الخارطة المذهبية على مرّ التاريخ نتيجة عوامل كثيرة، ويكفي أن نقارن بين نصين ذكرها الشيخ أسد حيدر<sup>(١)</sup> أحددهما للقدسي وهو يتحدث عن انتشار المذاهب في القرن الرابع الهجري فيقول: «سود صنعاء ونواحها مع سود عمان شرارة غالبية، وبقية المحجاز وأهل الرأي بعمان وجهر وصعدة شيعة، والفالب على صنعاء أصحاب أبي حنيفة والجواعيم بآيديهم، وفي نواحى نجد واليمن مذهب سفيان. وفي العراق الغلبية ببغداد للحنابلة والشيعة، وبه مالكية وأشعرية، وبالكوفة الشيعة إلا الكناية فإنها سنة، وأكثر أهل البصرة قدرية (وشيعة) وثم حنابلة.

... إقليم أبور وهو اليوم شمال العراق - أي الموصل ونواحها - مذهبهم سنة وجماعة، إلا عانة فإنها كثيرة المعتزلة ولا ترى في الرأي غير مذهب أبي حنيفة والشافعى، وفيها حنابلة وجبلة للشيعة، وأقليم الشام مذاهبهم مستقيمة أهل جماعة وسنة، وأهل طبرية ونصف نابلس وأكثر عمان شيعة ولا ترى فيه مالكياً، والعمل كان فيه على مذهب أصحاب الحديث.

إقليم مصر على مذهب أهل الشام، غير أنَّ أكثر فقهائهم مالكيون.... وأعلى القصبة شيعة وسائر المذاهب في القسطاط موجودة ظاهرية.

وإقليم المغرب، فالمذاهب على ثلاثة أقسام، وأما في الاندلس فمذهب مالك، وقراءة نافع، وهم يقولون: لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك، وبسائر المغرب إلى مصر لا يعرفون مذهب الشافعى إلا مذهب أبي حنيفة ومالك.

... إقليم جانب خراسان للشيعة والمعزلة والغلبة لأصحاب أبي حنيفة إلا في كورة الشاش فإليهم شوافع وفيهم قوم على مذهب عبدالله السرخي، وأقليم الرحالب مذاهبهم مختلفة، فالغلبة للحنيفية وهم بخارية، وبالري حنابلة كثيرة، وأهل قم شيعة، وفي الدينور جبلة لمذهب سفيان الثوري.

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربع، ج. ١، ص ٢٩٢ طبعة مجمع أهل البيت.

إقليم خوزستان مذاهبهم مختلفة، أكثر أهل الأهواز ورامهرمز والدورق حنابلة، ونصف الأهواز شيعة، وبه من أصحاب أبي حنيفة كثير وهم قهاء وبالأهواز مالكيون. إقليم فارس، العمل فيه على أصحاب الحديث، وأصحاب أبي حنيفة، وللدادية دروس ومحالس وغبة، ويقتلون القضاة والأعمال. إقليم كرمان المذاهب الغالبة للشافعى.

إقليم السند مذاهبهم أكثرها أصحاب حدیث. ورأیت القاضي أبا محمد المنصور دادياً إماماً في مذهبة وأهل المغان (شيعة يجعلون في الأذان ويشنون في الاقامة) ولا تخلو القصبات من قهاء على مذهب أبي حنيفة وليس بهم مالكية، ولا معتزلة، ولا عمل للحنابلة<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أنَّ هذه الجغرافيا المذهبية تغيرت بشكل كبير حتى في القرن الرابع والخامس تقسيماً.

أما عن القرن الثالث عشر الهجري فيحدثنا العلامة أحمد تيمور<sup>(٢)</sup> بما يلى: المغرب الأقصى يغلب عليه - الآن - المذهب المالكي. وعلى الجزائر وتونس أيضاً. (طرابلس) المذهب المالكي. بكثرة، والحنفي بقلة، وهو من بقايا الأسر التركية، وأكثرها في تونس، ومنهم أفراد بيت الإمارة بها، وهذا امتاز حاضرتها بالقضاء الحنفي مشاركاً للقضاء المالكي، وأما سائر أعمالها فقضاتها مالكية، وفي الحاضرة كبير المفتين وبلقب بشيخ الإسلام، وله التقدُّم والزعامة والمعنوية على الجميع، والمالكي وله المقام الثاني، وقد تساهلوا - الآن - في تلقيه بشيخ الإسلام أيضاً. ومع قلة المقلدين للمذهب الحنفي، فإنَّ من السنن المتبعه عندهم أن يكون نصف مدرسي جامع الزيتونة حنفية، والنصف الآخر مالكية. وإنما امتاز الحنفي بذلك لكونه مذهب الأسرة المالكة. (مصر) الشافعى والمالكى، ويغلب الأول في الريف والثانى في الصعيد والسودان، ويكثر الحنفى وهو مذهب الدولة، والمتبع في الفتاوى والقضاء الحنفى قليل بل نادر.

(١) أحسن التقاسيم لشمس الدين محمد بن أحمدالمعروف بالشاري طبع سنة ١٩٠٩ م بطبعة بريل.

(٢) نظرة تاريخية لأحمد تيمور باشا ص ٤٢.

(الشام): المحنفي يشمل نصف أهل السنة بها والربع شافعية، والربع الآخر حنابلة.

(فلسطين): يغلب على مذاهب أهل السنة فيه الشافعي، ويليه الحنفي فالحنفي.

فالمالكي.

(العراق): يغلب المحنفي فيه على مذاهب أهل السنة، ويليه الشافعي وبه مالكية وحنابلة.

(الترك): المشمانيون والألبان وسكان بلاد البلقان، المذهب المحنفي.

(الاكراد): المذهب الشافعي وهو الغالب على بلاد أرمينية، لأنَّ مسلميها من أصل

تركماني أو كردي، والسننيون من أهل فارس أغبلهم شافعية وقليل منهم حنفية.

(الأفغان): المذهب المحنفي والشافعي، والحنيلي بقلة.

(تركتستان الغربية): التي منها بخارى المذهب المحنفي، وأما تركستان الشرقية فكان

الغالب عليها الشافعي، ثم تغلب المحنفي بسعى العلماء الواردین عليها من بخارى القفار

وما والاها المحنفي وفيهم شافعية.

(الهند): المحنفي والشافعي بقلة وفيها مذاهب أخرى.

(الهند الصينية): شافعية وكذلك مسلمو استرالية. وفي البرازيل من أميركا نحو ٢٥

الف مسلم حنفية.

(أميركا): فيها من المسلمين عدد ينوف على ١٤٠ ألفاً وهم مختلفو المذاهب.

(الحجاز): الشافعي والحنيلي وفيه حنفية ومالكية في المدن أهل عسير شافعية.

(اليمن): السننيون فيها وفي عدن، وحضرموت شافعية، وقد يوجد بنواحي عدن

حنفية، والغالب على عمان الأباشية، ولكنها لا تخلي من حنابلة وشافعية.

(قطر والبحرين): المالكي وفيهما حنابلة من الواردین عليهم من نجد.

(الإحساء): الغالب على أهل السنة فيها الحنيلي والماليكي.

(الكويت): المالكي.

ويعلق الشيخ أسد على هذا النص قائلاً:

«هذا ما ذكره العلامة أحمد تيمور باشا عن المذاهب الأربعية وانتشارها، ولم يتعرض

لانتشار المذهب الشيعي في الأقطار الإسلامية في العصر الحاضر...»

ولابد من ملاحظة عامل الزمن والتغيرات السياسية. كما لا يعني أن تقسيمات تيمور واحصاءاته هي من الدقة بحيث لا تقبل الاختلاف في الأسماء والزيادة في العدد<sup>(١)</sup>. وهذا صحيح فاستعاصاؤه غير مستوعب؛ لأنّه لم يتعرض مثلاً للبلاد الافريقية السوداء، ولا للمسلمين في الصين وروسيا وغيرها.

ورغم أننا نرفض تقسيم المسلمين إلى أكثرية وأقلية إلا أن الواقع يفرض نفسه، وهنا نجد أنَّ الأكثرية في العالم الإسلامي سنية وعلى اختلاف في البلدان من حيث كثرة أتباع أحد المذاهب الأربع (الشافعي والحنفي والحنبلاني والمالكى) والأقلية شيعية بلا ريب. (اتا عشرية أو زيدية وغيرها) ويوجد أتباع المذهب الأباضي بشكل أكثرية في عمان كما تواجه أقليات إباضية في شمال افريقيا.

فإذا ركزنا على كلَّ دولةرأينا هذه الحقيقة قائمة في أغلب الدول في حين تقلب النسبة في دول كالعراق والبحرين وأذربيجان وتساُدَل تقريباً في لبنان كما أنَّ نوع العلاقات متباين.

فالأمور في دول جنوب آسيا ووسطها وأفريقيا وأميركا والدول الخليجية تسير نحو الوئام ومنح حقوق المواطن للجميع مع وجود خلل في بعض هذه الدول نرجو أن يزول من خلال سعي هذه الدول لتحقيق حالة ديمقراطية مناسبة لها وسيطرة الاتجاه العقلي والمحواري على الاتجاه الطائفي المتطرف.

ولكنه متثنج تماماً في العراق نظراً لتدخل المصالح الاستكبارية أولاً وضعف الحكم المركزي ثانياً وانتشار السلاح بيد الجموعات الطائفية ثالثاً وتلامح الجموعات الإرهابية التكفيرية مع بقايا النظام البائد رابعاً ونورة النزعات العشائرية والطائفية واتجاهات التأثر المضاد في المرحلة الخامسة.

إلا أنني متأذل بمقابل أفضل يعيد للنسيج العراقي لحمته الطبيعية وللعراق دوره الظاهري في القضايا الإقليمية والإسلامية العالمية. وتفاؤلي هذا ناتج من خبرة لابأس بها بالتركيبة العراقية والأوضاع الإقليمية العالمية.

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربع ج ١، ص ٢٩٤

إن إيمان الأغلبية الساحقة للشعب بالحل الإسلامي، ووجود الكوادر الإسلامية التمرسّة التي عركتها المحنّة الطويلة، وتوفّر العلماء الأنقياء التقربيين كلّ ذلك سوف يساهم في الوصول إلى القد الأفضل.

وإني أعتقد أنَّ عملية التوعية الجماهيرية وقيام العلماء بدورهم الوحدوي وأداء الدول الإسلامية والغربية دورها المطلوب في رأب الصدع سوف يؤدي إلى تحقيق المصالحة الوطنية المنشودة.

أما الأمر في لبنان فلا يمكن أن يصنف في حقل الصراع الطائفي وإن سعى البعض إلى ذلك. وإنما هو صراع سياسي محض نسأل الله تعالى أن يوفق الشعب اللبناني لحلّه بأفضل وجه.

وعدا هذه الموارد فإنّي لا أجده أية حالة يؤبه لها في العالم الإسلامي إلا في باكستان ولكلها حالات فردية عابرة.

وفي الختام أسأل الله جلّ وعلا أن يمن علينا جميعاً بالعزّة والوحدة والتلاحم لمواجهة التحدّيات المصيرية التي تستدف تقافتنا بل وجودنا على مستوى العالم الإسلامي كله.  
 (وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرِي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) <sup>(١)</sup>.

(٥)

## الهوية بين تهديد التنميـط وتداعيات التفريـط

متى ينطـرخ السـؤـال؟

عندما تهاجم أمة ذات وعي و موقف من الكون والتاريخ والإنسان ولها إيديولوجيا حيـاتـية مـسـتوـعـةـ مما يـتـجـعـ تـاسـكـاـ هوـ منـ صـمـيمـ فـكـرـهاـ وـشـخـصـيـتهاـ،ـ فـيرـادـ لهاـ أنـ تـفـرـقـ فيـ الـلـأـبـالـيـةـ،ـ وـيـسـتـهـدـفـ تـاسـكـهاـ،ـ وـعـنـدـماـ يـتـمـ الـعـلـمـ عـلـىـ فـصـلـ الـوـاقـعـ عـنـ جـذـورـةـ الـتـارـيخـيـةـ الـعـرـيقـةـ وـمـبـانـيـهـ الـعـقـائـدـيـةـ،ـ وـخـصـوصـيـاتـهـ الـمـحـدـدةـ،ـ وـعـنـدـماـ يـخـطـطـ الأـعـدـاءـ كـيـ يـيـتـواـ الـعـقـلـ الجـمـعـيـ وـالتـارـيقـةـ الـعـامـةـ وـالـتـرـابـطـ الشـعـورـيـ وـالتـاسـقـ السـلوـكـيـ،ـ

وـعـنـدـماـ يـرـادـ قـهـرـ الـإـرـادـةـ وـنـفـيـتـ الـوـحدـةـ وـكـرـ المـقاـومةـ.

وـعـنـدـماـ يـعـلـمـ عـلـىـ دـفـعـ أـمـةـ لـتـرـدـيـ فـيـ وـهـدـةـ الـحـالـةـ الـفـولـكـلـورـيـةـ وـالـسـطـحـيـةـ لـيـتـجـعـ منـ ذـلـكـ إـمـاـ التـسـجـيدـ وـالـنـرجـسـيـةـ الـفـارـغـةـ أـوـ التـعـصـبـ وـالـعـنـصـرـيـةـ (وـفـيـ كـلـاـ الـحـالـتـيـنـ سـتـكونـ النـتـيـجـةـ هـيـ التـقـهـرـ الـهـوـوـيـ وـالـتـرـاجـعـيـ وـالـتـطـرـفـ فـكـرـأـ وـقـافـةـ وـاجـتـمـاعـيـاـ كـمـاـ يـعـبرـ الدـكـتـورـ فـتحـيـ التـرـيـكـيـ<sup>(١)</sup>ـ،ـ

نعمـعـنـدـماـ يـتـأـمـرـ العـدـوـ عـلـىـ أـمـةـ ماـ يـبـرـزـ سـؤـالـ (ـالـهـوـيـةـ)ـ أـوـ (ـالـهـوـهـوـيـةـ)ـ كـمـاـ يـعـبرـ بـعـضـ الـفـلـاسـفـةـ.

وـالـهـدـفـ الـوـاقـعـيـ هـوـ مـعـرـفـةـ حـقـيـقـةـ الـأـمـةـ كـمـاـ هـيـ وـمـعـرـفـةـ حـدـودـ هـذـهـ الـحـقـيـقـةـ

ومشخصاتها دوناً إغراق في التعميم والتنطيط بحيث تحول إلى حقيقة سَيَّالة وجود منفتح، ولا تغrip بعالم الشخصية وتضيع لفرديتها وتشخصها الذي ينبعها ما تمتاز به على غيرها.

### ما هي الهوية على صعيد الأمة؟

يطرح الفلاسفة حقيقة لا ريب فيها هي أن المفاهيم الكلية تبقى ذهنية فإذا أردت لها أن تدخل عالم الوجود تشخصت بحدودها وتعينت بعيميزاتها الوجودية ولكنها على أي حال لها هويتها في المرحلتين وهي تطرح في الإجابة على سؤال ما هي أو ما هو؟ بل لا يمكن أن تتحقق من كون هذا الذي وجد هو مصدق لذلك المفهوم إلا إذا كنا نعرف أبعاد المفهوم نفسه.

ولذا يكون السؤال ما هي أبعاد مفهومنا عن ماهية الأمة الإسلامية نظرياً؟ له الأسبقية على سؤال ما هو واقع هذه الأمة ومدى انسجامه مع الصورة النظرية؟ وما تصوره لهذه الأمة نظرياً يتأطر بالإطار التالي:

أولاً: تجمع بشري يؤمن بتميز الإنسان عن سائر الموجودات الحية بخصائص فطرية لا توفر بمجموعها فيها هي:

أ - العقل بأحكامه النظرية والعملية، وقدرته على التخلص من سيطرة الواقع الحسي وتأثيراته من خلال إدراكاته المتخيلة، والموهومة والمستبطة بالإضافة لمحوساته التي يتتجاوزها لتكوين المفاهيم الكلية التي يسرح بينها ليعود إلى الواقع المحسوس ويدرسه ويلاحظ نقاط القوة والضعف فيه وليفترض صورة جديدة تخلص من نقاط الضعف وتحتفظ بنقاط القوة، وليرسم لنفسه خارطة توصله للصورة النموذج، وحيثند تبدأ عملية التغيير من خلال دوافع العلة الغائنة ولذا يمكن أن يمتاز الإنسان بكونه المغير.

ب - الغرائز والميول، وهي دوافع عمiale تشاركه في بعضها الأحياء الأخرى وينحصر هو بعبول متعالية (الاشواق إلى الكمال وحب الاستطلاع والتدين وأمثال ذلك).

ج - الإرادة الحرة التي تقرر الموقف بمسؤولية مهما اشتدت الضغوط العقلية والعاطفية.

ثانياً: ويؤمن بالله تعالى خالقاً للكون مدبراً له وبكل صفاته الحسنى الجمالية والجلالية، وبالأنبياء والرسل وأخرهم الرسول الأكرم محمدٌ الذي جاء بالرسالة الخاتمة الخالدة قادة للتاريخ الإنساني ومبليغين لشرايع الله الهادية إلى مدارج الكمال، وبالقيامة معاداً لهذه المسيرة مما يعطيها هدفية ومعنى ولكل هذه المعتقدات فروع كثيرة تستفاد منها منطقياً.

ثالثاً: ويؤمن برسالة إسلامية تنظم الحياة وتبني المجتمع وتربي العقل والعواطف وتوجه السلوك كلّه نحو الكمال وتصف بالواقعية الأخلاقية والتوازن والمرونة والشمول والعدالة والوسطية إلى ما هناك من صفات منسجمة.

رابعاً: ويؤمن بضرورة المساهمة في المسيرة الحضارية الإنسانية وامتلاك دور طليعي فيها، عبر افتتاح على الحضارات والثقافات وتشجيع على التقدم، واتخاذ منهج حواري منطقي مع الآخر، وتعاون عالمي في كلّ ما يخدم الصالح الإنساني العام ويدفع الظلم والعدوان على الحقوق وينصر المستضعفين ويحقق السلام العادل.

## **موارد العنف**

وفي مجال تحديد المسوية يجب الحذر من الجوانب السلبية وأهمها:

أ - السقوط في مفهوم ذاتي متعال، ونرجسية تصعيبية لا يبرر لها، ونطية تهدى كل أنواع المخوار وتنظر لنفسها على أنها نهاية التاريخ ومتنهى التقدم تماماً كما نشهده عند الليبرالية الديقراطية ومنظريها اليوم، فهم مهما اختلفوا في الوسائل، أهي الصراع أو التنافس، يتفقون على أنَّ المسار الحضاري يجب أن تتجه بوصلته نحو (الليبرالية الديقراطية) لا غير وحتى أولئك الذين يبدون مرونة في التعامل مع الآخر الإسلامي، فهم يبقون على المدفوع ويعنفون من قسوة الوسائل.

إنَّ الهوية الإسلامية رغم قيمها الثابتة الفطرية تفتح المجال للاجتهداد الإنساني أن يقدم إبداعاته التفصيلية، وحكمته العملية التنظيمية الإبداعية، ورغبتها الاجتماعية المتغيرة.

ب - السقوط في هاوية التغريط بالقيم الإنسانية الثابتة، وهو مرض قاتل للحضارة يعصف بالقيم والعقل والمنطق والحقيقة والمعرفة، وهو تماماً ما سقطت فيه حالة ما بعد الحداثة الغربية.

إنَّ الواقع الإنساني يحوي ثوابت قيمة هي سر انطباع أية مسيرة بشرية بالطابع الإنساني ومتغيرات طبيعية من قبيل بعض علاقات الإنسان بأخيه الإنسان أو بالطبيعة وإذا كان التعامل مع القيم ثابتاً فإنَّ التعامل مع الجانب المتغير يتضمن بطابع المرونة. وعلىه، فتحن ندعو للمرونة الواقعية ونرفض الميوعة المفرطة، يقول الأستاذ الشهيد

الصدر:

«فالتحرك الصائم بدون مطلق تحرك عشوائي كريشة في مهب الريح، تفعل بالعوامل من حولها ولا تؤثر فيها. وما من إبداع وعطاء في مسيرة الإنسان الكبرى على مرَّ التاريخ إلا وهو مرتبط بالاستناد إلى مطلق، والالتحام معه في سير هادف» غير أنَّ هذا الارتباط نفسه يواجه من ناحية أخرى الجانب الآخر من المشكلة، أي مشكلة الفلو في الاتمام بتحويل النسي إلى مطلق وهي مشكلة تواجه الإنسان باستمرار إذ ينسج ولاه قضية لكي يعده هذا الولاء بالقدرة على الحركة ومواصلة السير، إلا أنَّ هذا الولاء يتجمد بالتدریج ويتجزء عن ظروفه النسبية التي كان صحيحاً ضمنها، ويتنزع الذهن البشري منه مطلقاً لا حد له للاستجابة إلى مطالبه، وبالتعبير الديني يتحول إلى إله يبعد بدلاً من حاجة يستجاب لإشباعها»<sup>(١)</sup>.

ويقول الأستاذ التريكي: «والفهم الموضوعي (قضية الموية في قبال الفهم الذاتي) يحاول إقرار تناظر وتناسق بين الموية والعقل في صبغته المفتوحة والكونية في الآن نفسه، وهو يأخذ بعين الاعتبار ثوابت الوجود ومتغيراته ويفتح الوجود على الحياة بتغييراتها ومفاجأتها ونضالها وتوتراتها، فالذات في هذا الفهم مؤسسة للعقل والوعي المتحرك»<sup>(١)</sup>.

### السلوك الرشيد

ومن هنا فإنَّ من اللازم علينا - ونحن نعمل على تلافي تهديد التمكين وتداعيات التغريب - الالتزام بسلوك متوازن رشيد ومن أنماطه ما يلي:

- ١ - أن تمتلك الأمة نظرة عالمية إنسانية تستمد فلسفتها من وحدة الفطرة ووحدة المسيرة وضرورة التعاون الدولي في نظام عادل يعطي كلَّ ذي حق حقه ويحترم المخصوصيات الثقافية كما يحترم حقوق الإنسان وحررياته دوغا اعتدائه.
- وحيثند يجب التنبه والحذر من الواقع في جانبي هذه العولمة المجنونة التي تعتمد الميمنة الثقافية والسياسية والاقتصادية على الآخرين، وهي في الواقع إعادة إنتاج لظام الميمنة الرأسمالية القديمة مع تغيير في الأسلوب والوسيلة.
- إننا لا نستطيع أن نخطط لأية قضية حتى ولو كانت تبدو لأول وهلة داخلية بمحنة - من قبيل قضايا التربية والإعلام والبيئة الداخلية وحركة الطاقة الداخلية والمسيرة الزراعية والتنمية العلمية، وحتى المناسبات والقناعات الفولكلورية - إلا إذا لاحظنا المسيرة العالمية للعولمة في كلَّ هذه الحالات وإنْ فيكون خطيبنا ناقصاً تواجهه موانع بعد ملاحظة الفضاء العالمي والنفوذ العميق لثقافة العولمة إلى كلَّ مجالات حياتنا شتناً أم أيينا.

وتلك بنفسها مشكلة تضفي على أنماط خطيباتنا.

(١) المحدثة وما بعد المحدثة ص ٢٠١

ثمَّ أنَّ مفهوم الدولة وقدرتها بدأ يهتزُّ بشدةً وبالتالي راح دور الضغط الخارجي، والمراقبة الكونية يزداد. وربما كان هذا ذا أثرٍ إيجابيٍ في مجال تقي الأسلوب الديكتاتوريه والقمعية وإدانة انتهاك حقوق الإنسان، إلاَّ أنَّا نعلم كون العولمة لا تستخدم هذه العناوين البراقة إلاَّ لتربر تدخلها لتحقيق مصالحها الضيقة، فإذا رأت أنَّ تدخلها ينقلب على أهدافه المخفية تحملت عنه، وهو بالضبط ما رأيناه من تحذلَّ أمريكا عن مشاريعها في الشرق الأوسط الكبير والجديد، بل وحتى عن عمالاتها الذين ثارت بوجههم الشعوب.

٢ - أن تعتمد الأسلوب الوسطي المتوازن في مختلف تعاملاتها مع الواقع وتجنب الإفراط والتغريط، فكلَّا هما يهدُّ خروجاً عن الجادة المستقيمة. ويذكرنا أنَّ تؤكِّدُ أنهما إذا ركزاً على أيِّ شيءٍ أفسداه حتى العلم والدين والمعرفة فإذا أصبت هذه الأمور بالإفراط مثلاً تحولت إلى مسارات خطيرة ومنزلقات واسعة.

٣ - أن تجعل عملية الحوار مع الآخر الداخلي والخارجي منطقها قبل أي خطوة أخرى. وهذا هو القرآن يتحدث لنا عن أساليب من الحوار جرت و يمكن أن تجري بين أطراف متعددة ويرسم لنا أحسن الطرق في الحوار حتى أنا لنعتقد أنَّ في القرآن نظرية متكاملة للحوار المنطقي السليم. ويخطئ من يتصور أنَّ الحوار لغة العاجزين، بل هو على العكس لغة الأقوياء في منظمهم، المطمئنين إلى أصالتهم، الواقفين من هويتهم، الموضوعين في تعاملهم. نعم إذا أراد الآخرون استغلال الحوار لكسب الوقت وتبنيد الخطط المهنية أو لبث الشبهات المزعقة والظلم للوجدان الاجتماعي فإنَّهم هم الذين يسدُّون باب الحوار.

٤ - أن تعتمد الأمة منهج التغيير المستمر بهدف الوصول إلى الأفضل طبعاً مع الاحتفاظ بالتوابيت الإسلامية التي هي جزء من الهوية. وتعمل على تعبئة كلَّ طاقاتها المادية والمعنوية للتخلص من حالة التخلف الاقتصادي والعلمي والاجتماعي والتقني والتربيوي والإعلامي وغير ذلك ول يكن المنهج التغييري سمة عامة وفق ما أراده الإسلام كما أشرنا إلى ذلك.

إن التجديد حتى في أساليب الاستباطة الدينية، والتحريك في عملية الوعي، يشكل منه على الأمة كما تذكرة الروايات.

٥ - أن تمتلك الأمة المانعة الكاملة ضد التأمر على هويتها التقنية وتقافتها الاجتماعية من خلال التأثيرات التي تركها احتكار المؤتمرات الدولية والجيو الإعلامي من قبل قوى التأمر.

وهذا المعنى ينسحب على عملية التقني والتشريع الثقافي والاجتماعي؛ فهنا نحن نشهد مؤتمرات التنمية والسكان والمرأة تسعى جاهدة لتعزيز الثقافة الفريدة والتصورات الاجتماعية المترفة باسم (الحقوق الجنسية) والحرية الفردية للمرأة (وأمثال ذلك)، مضمنة ذلك في خانة حقوق الإنسان، وهي الباب الواسع الذي تنفذ منه العولمة إلى جميع المجالات.

كما أثنا نشهد تدخل العولمة الإعلامية من خلال الجو المخانق للمعلومات المتداولة عبر مئات المخطوطات الفضائية والإنترنت لتغير الحقائق، وتبسيط المهم وتبيح الشائعات وتزكي الأوصار، وتغيير الصورات وتشكك في القناعات وتخليق المزارات. وهذه أمامنا المؤامرة الضخمة التي تعمل على أن يختلط العالم الإسلامي عدوه الحقيقي ويتجه إلى أعداء وهبيين، بعد تحريك الكوامن الطائفية والقومية والمغراهية والتاريخية فيه.

وعلى نفس الوتر نذكر بالشكلة الأخلاقية التي جلبها لنا إعلام العولمة فجعل الرذيلة والمعري والتحلل وكل المحرمات مباحة معروضة في العلن أمام شبابنا وكل من تحرّك فيهم الأهواء. والأأنكى أنه خلق له قواعد ومحطّات داخلية تصب جميعها على الترابط الخلقي بين مجتمعاتنا فلا يستطيع المخربون أن يصلحوا الأمر.

وقد ابتنينا أخيراً بالتدخلات العسكرية الأمريكية تحت غطاء العولمة ومساهمة القوى العظمى في دفع الأخطار عن البشرية ومحاربة الإرهاب، بعد أن سقط لفاهيم عولمية خطيرة من قبيل مفهوم (الحرب الاستباقية) وأمثال ذلك.

وكانت التدخلات الخطيرة في أفغانستان والعراق ولبنان، والقائمة متدة، بالإضافة للعدوان الصهيوني المستمر في تطبيق الأجندة الغربية المتدة.

ولاريب أنَّ العالم كله قد شهد ما تركه هذه التدخلات من آثار ثقافية واجتماعية واقتصادية مدمرة عانت منها مجتمعاتنا كثيراً.

وربما كان من سخرية الميراث اليوم أن نجد نظماً حاكمة تذرع بالدفاع عن شخصية الأمة ووحدتها وصمودها في قبال العولمة بتشديد الرقابة وزيادة القيود على الحرية وتكميم الأفواه ونشر الاستبداد، فت تكون بذلك من قبيل المستجير من الرمضاء بالنار. وما هي في الواقع إلا ذريعة للثبيت بالحكم والسلطة وقد توافقها دول العولمة؛ لأنها تومن لها نفوذها وهيمنتها وهو المقصود الأول في كل عملية العولمة.

٦- يجب أن تقوم الأمة بالنظر إلى المستقبل والعمل له دون الفرق في الطبوابية ودون أن تهمل تاريخها؛ لأنه أيضاً جزء من هويتها والذي يجب توظيفه لصالح التغيير التكاملي بدلاً من البقاء في أسر أحداته المتلاطمة. إنه يجب أن يكون عبرة لاعتبار واحدة للتخيير وأحياناً للاختلاف المير.

إن الطوباوية في النظرة المستقبلية مثلها مثل الذاتية التخديرية في النظرة التاريخية تضرُّ بالمسيرة أياً اضرار.

٧ - يجب أن ت تلك الأمة موقف الأمل بالله مع الاطمئنان ببقاء السنن الكونية.  
فإنه على ضوء إيمان المسلم بطلاقة الشيئه الإلهية ينشد بالله تعالى في حالاته،  
ويتعلّق بفضله، ولا يأس من روح الله تعالى في أشد حالات المرج. ومهما استعنت  
الظروف وبدالله أنها لن تترجف فهو معتقد بقدرة الله على تغييرها، هذا من جهة،  
ومن جهة أخرى فهو يعمل على سلوك السبيل الطبيعي الذي يحقق المهدى، نظراً لأنه  
يعتقد بأنَّ الله «أبى أن تجري الأمور إلاً بالأسباب» وهاتان الجهتان: عدم اليأس،  
وسلوك السبيل الطبيعي، تشكّلان عنصرتين مهمتين توازن بهما الشخصية الإنسانية.  
فعدم اليأس يبقى الدافع الأصيل ويحافظ على رباطة الجأش، ولا يدع القوى تفتت.

سلوك السبيل يرتفع بالإنسان عن العيش في الخيال، ويجعل منه إنساناً واعياً يتعامل مع الواقع كما يطلبه الواقع.

٨ - على الأمة أن توازن بين موقف التوكل على الله وموقف الثقة بالنفس.  
ولعل هذا النوع من التوازن يرتبط كل ارتباطاً بما قبله، فإن اعتقاد المسلم بالإرادة الإلهية المطلقة يجعله يوكل أموره إلى الله، ويعتقد أنه لا يملك من أمره شيئاً إلا بإذن الله تعالى فلا هداية إلا من الله تعالى، ولا توفيق إلا به تعالى، مما يركز النظر عليه في كل تأثير... إلا أن هذا التوكل على الله لا يفقده الثقة بنفسه وبقدراته على التغيير، بل يمنحه أعظم الثقة بنفسه، ذلك لأنّه يتصور أن الله تعالى منحه سلطان التغيير، وجعله خليقه على الأرض، يعمرها وينشئ فيها حضارة السماء أي الحضارة التي تشكل تعالى السماء روحها، وأوكل إليه عملية التغيير الكبير.

فهو إذن إنسان يعقل ويتوكل، يغير ونظره مركز على السماء، يبني وهو يعلم أن المدد الحقيقي من الله تعالى. وما أروع الثقة المنبعثة في النفس التي تتوكل على الله تعالى خالق الكون فتحتمن الصعب وتقدم التضحيات.

٩ - وعليها أن تقف موقف العلو على المشاكل التاريخية مع تقدير دور كل عامل.  
فبعد إياعان المسلم بأن العوامل المحركة للتاريخ مختلفة تتراوح بين القوانين الكونية والحركة وغير المحسوسة إلى القطرة بغرائزها، وفوق كل ذلك الإرادة الإنسانية التي تهيي للإنسان مجال التحكم في مسيره... يكون قد علا على المشاكل التاريخية، بعد أن علم بأن له اختيار تنظيم حياته، وبهذه صنع حضارته، فليست المشكلة التاريخية مفروضة عليه من الأعلى بحيث لا يمكنه أن يتحرك تجاهها، وإنما يمكنه - متى لاحظ عدم صلاح واقعه - أن يغيره.

وهذا التصور يعطي حركيّة دائمة على التطوير والتقدم التكنولوجي، كما تعمل على التكامل المعنوي والفكري، كل ذلك ضمن مخطيط ساوي رائد يوضح له ما يجب أن يريده ويرشهده تلاً يضل، ويعين له المهد الذي يجب أن يسوق التغيير باتجاهه.

ومن هنا فهو ليس عبداً لعامل تاريخي معين، ولا لكل العوامل، بل كل العوامل التاريخية مسخة لصالحه، وكل القوانين التكوينية المحسوس منها المحسوس قشت لصالحه، ويستطيع أن يستفيد منها في صنع حضارته ورقمه، تماماً كما يستفيد من قوانين: الضغط، والإزاحة، والجاذبية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو يحسب لكل عامل حسابه على ضوء التشريع الإلهي، فلا ينسى مثلاً دور العامل الاقتصادي ولا دور العامل الجغرافي أو العامل الغرزي الجنسي وغير ذلك، وهو يستهدف التشريع ليستمر هذه العوامل لصالحه.

فهو هنا - إذن - يوازن تقدير عمل العوامل والملوّ على جميع المشاكل التاريخية، فيكون واقعاً في سلوكه.

١٠ - وعلى الأمة أن تتفق موقف الدقة في اختيار سبل الخير مع المذدر من سبل الشر وذلك، لأنّه لما كانت السبل كثيرة، والإغراءات متوفّرة، والشيطان يقصد للإنسان بكل مرصد فإنّ الإنسان المسلم يصم على خوض تجربة الحياة.. ويتأكّد بين المدين والآخر من صحة اختياره متسلحاً بسلاح الوعي مستعملاً لإرشادات الوحي، متوجّباً مزالق الضلال، مطمئناً بأنه ليس للشيطان عليه أي سلطان، وأن سعادته تكمن في رجمه ورجم كلّ ما يمثّله. وتأتي التعاليم الإسلامية فتذكرة بطرق الخير دائمًا وأهمّها العبادات التي تشدّه شدّة باهثه تعالى، وتتركّ على أن ينفي الشر عن حياته، وهذا ما يبدو بوضوح في رجم الجمرات مثلاً.

وعليها بالتالي أن تتفق موقف المخوف والرجاء.

ويكاد هذا النمط من التوازن يشكّل معلماً بارزاً من معالم الشخصية المسلمة. فمن الصادق(ع) أنه قال: «كان أبي يقول: ليس من عبد مؤمن، إلا وفي قلبه نوران، نور خيفة، ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا»<sup>(١)</sup>.

فالرجل العظيم برحمة الله تعالى يدفع الإنسان المسلم نحو الحياة ويفتح قلبه للمستقبل، والخوف العظيم من عقابه يدفعه لأن يحقق مقتضيات الرحمة الإلهية.

ويرتفع مقياس الخوف والرجل العظيم كلما تعمقا في النفس الإنسانية وجعلت لديها المقولات فقربت من عالم الحس ومن ثم انعكست على السلوك الخارجي.

كما يقول الإمام الصادق (ع): «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو»<sup>(١)</sup>

والملاحظ هنا - كما لاحظ ذلك بعض الكتاب<sup>(٢)</sup> - أن الإسلام قبل أن يستفيد من خاصيتي الخوف والرجاء والتأثير بهما في النفس الإنسانية، جلب إلى توجيههما الوجهة الصحيحة، فنفي كل متعلقاتهما الباطلة التي تحرف النفس عن الهدف، بل وتشكل مصدراً للقلق المزق للنفس الإنسانية، المبيع لكل عasaki وتوازن فيها، وهو الداء الذي ابتلي به الماديون فقدوا توازنهم الروحي وعاشوا مع الخوف حتى من الأمور الوهبية.

نعم، نفي الإسلام تعلق الخوف بأمور لا ينبغي الخوف منها، إلا في حدود الخوف من الأمر الصحيح. كما نفي الرجاء ولم يسمح له أن يتعلق إلا في حدود الرجاء للأمر الذي ينبغي أن يرجى.

وبتعبير آخر: إن الخوف الحقيقي يجب أن يكون من عذاب الله وغضبه، والرجل الحقيقي يكون لرضا الله ورحمته، فكل خوف أو رجاء لا يؤطره هذان الأمرين لا قيمة له في الحساب القرآني ويجب أن ينفي من حياة الإنسان؛ لأنه مصدر قلق بعد أن تعلق بأمور غير منضبطة بل وخرافية أحياناً.

(١) الوسائل ج ١١، ص ١٧.

(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية، ص ١٥٧.

## **المقال الثاني**

---

---

**الصحوة والتفير**



## الصحوة والتغيير<sup>(١)</sup>

قد لا نأتي بجديد لو تحدثنا عن أهمية إعادة النظر المستمرة في مضامين الفكر الإسلامي وصيغه، بهدف تجديدها وتفعيل العناصر الساكنة فيها؛ لأنَّ استشعار هذه الأهمية من قبل أصحاب الفكر والاختصاص بات من البدويات التي لا تحتاج إلى دليل.

وحسينا أنَّ الواقع المتغير والمواد المستجدة وسرعة التطور التي نعيشها بشكل يومي، تحملنا في مواجهة دائمة و مباشرة مع ضرورة التجديد في الفكر الإسلامي. وبالتالي رفد مسيرة الصحوة الإسلامية وعصرتها باستمرار. وهذا لا يعني أنَّ الضرورة تبيح لنا فتح الباب على مصراعيه أمام كلَّ دعوة للتجديد أو كلَّ منها يهدف إلى التجديد، بل على العكس، فإنَّ تزايد تلك الأهمية تناسب طردياً مع تزايد الحاجة إلى ضبط عملية التجديد وتقنيتها بالطريقة التي تحمل من التجديد وسيلة تكُن الفكر الإسلامي من استيعاب كلَّ مجالات الحياة، وتحمل الاجتهداد أداة لاخضاع الواقع للشريعة، وحيثها لا يكون التجديد هدفاً بذاته، بل وسيلة لبلوغ الغاية التي يحقق الدين من خلاها مقاصده وأهدافه.

وأعتقد أنَّ عقد المؤتمرات والملتقيات يمثل - في جانب منه - حرصاً من قادة الفكر

---

(١) الذي في مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي المنعقد في القاهرة بتاريخ ١ ربيع الاول ١٤٢٢هـ الموافق ٣١ مايو ٢٠٠١م.

الإسلامي على حماية هذه الفكرة من موجات الاستهداف المباشر وغير المباشر، والتي ترفع ألواناً مختلفة ومتعددة من الشعارات البراقة أحياناً والقائمة أحياناً أخرى. الأمر الذي يجعلنا حر يصين على استمرار عملية التجديد بالمقدار نفسه الذي نخرص فيه على سلامة مناهج التجديد وأصالتها.

إنَّ عملية التجديد التي تقصدناها تتمثل في إيجاد صيغ فكرية جديدة تعتمد المصادر الإسلامية المقدسة، سواء كانت هذه الصيغة جديدة في موضوعاتها أو أنها معالجات لموضوعات قديمة أو أنها إعادة لتنظيم أفكار موروثة. والمهم هو أن تكون هذه الصيغ قادرة على الإجابة على التساؤلات الجديدة، وقدرة أيضاً على تلبية الحاجات المتغيرة التي تفرضها تحولات الزمان والمكان.

وعلى هذا الأساس فإنَّ الاجتهداد لصيق بعملية التجديد، فهو أداتها والمولُد الذي يتتجزء مواد التجديد. ويرغم أنَّ الاجتهداد يعني اصطلاحاً - على وفق الفهم الموروث - القابلية على استبطاط الحكم الشرعي من مصادر التشريع الإسلامي، إلا أنَّ تعيمه ليشمل كلَّ مجالات الحياة، أو بالأحرى كلَّ مجالات الفكر الإسلامي التي تتدخل في كلِّ زوايا الحياة، سيجعل الاجتهداد منسجماً مع أهداف الشريعة نفسها، والتي هي قانون الحياة. إذن، فالاجتهداد هو أداة التجديد في فقه الأفراد، وأداة التجديد في فقه المجتمع وفي الفكر الاقتصادي والفكر السياسي والفكر الاجتماعي وغيرها، فضلاً عن قضايا علم الكلام، وأدوات الاستبطاط وأدوات فهم المصادر الإسلامية المقدسة، فهذه كلها تحتاج إلى الاجتهداد والتجدد. وهذا ما يجعل عملية التجديد ضرورية وخطيرة في الوقت نفسه. وتكون خطورتها في حساسيتها البالغة وألياتها الدقيقة وطريقها الصعب؛ لأنَّ أي تهاون أو أخراط فيها - لا قدر الله - سيؤدي إلى تنتائج كارثية لا توقف آثارها على المجدَّد أو المجتهد أو الفكر وحده؛ بل تعمده إلى الامامة بأكملها أو إلى فصل شريحة منها. ولا يبالغ إذا قلنا بأنَّ المفكِّر داعية التجديد يمسي على حد السيف خلال عمله، وبالتالي فاي خطأ سينجم عنه منظومة كاملة من الأخطاء.

وتطلق عملية التجديد من قاعدة المرونة أو عنصر المرونة في الإسلام، فنصر المرونة هذا هو الذي أعطى للاجتهداد شرعيته، وخلق منه أداةً للتجدد في الفكر

الإسلامي. ومن هنا، ففهم عملية التجديد تبدأ من فهم عنصر المرونة في الشريعة الإسلامية ومظاهرها وتطبيقاتها. وهو ما سنحله إلى محاور البحث.

### **بين التجديد والمرونة**

التمييز بين التجديد في الفكر الإسلامي وعنصر المرونة في الإسلام يُشَّل مدخلاً للتعرف على حقائق التجديد، ومدخلاً أيضاً لاكتشاف مظاهر المرونة وتطبيقاتها. ويترتب هذا التمييز عبر أساسين:

الأول: أنَّ الفكر هو تصور مستقى من الإسلام، أي أنه نتاج فهم المفكر للمصادر الإسلامية المقدسة عبر الأدوات الشرعية للفهم. وهذا الفهم – الذي يبذل فيه المفكر كلَّ جهده ليكون النتاج الفكري أكثر قرابةً من مراد الشارع المقدس – له علاقة أيضاً بطبيعة فهم المفكر للواقع. ومن هنا فإنَّ الفكر المنشَّج يتأثر بثقافة المفكر ومعرفته بالعلوم ذات المدخلية بموضوع الفكر، فضلاً عن بيئة المفكر واستجاباته لعوامل الاختلاف ونوعيته وإحاطته بمحاذيب الموضوع. وهذه العوامل متغيرة من مفكر لأخر، الأمر الذي يؤدي إلى بروز نوع من الاختلاف بين النتاجات الفكرية، فإنَّ عملية الاستبساط هذه أو الفهم هي الحيز البشري في الفكر الإسلامي، وبالتالي فالتجدد الفكري يتأثر بجمل هذه الحقائق؛ لكنه غاية المفكر التي يستخدم من أجل الوصول إليها فهمه للأصول المقدسة وللواقع أيضاً. وهو الذي يعبر عنه بالاجتهاد.

أما الإسلام فهو نظام شامل ومتكمَّل، ويُعَبِّر عن التوابت التي لا تقبل التجديد بذاتها. وللإسلام أساليب ثابتة في التعامل مع الجانب الثابت في الحياة الإنسانية، وله أيضاً أساليب مرنة في التعامل مع الجانب المُتغيَّر، أي أنَّ مرونة الإسلام وشرعنته السمحاء تقصر على معالجة المتغيرات، التي تُشَّل المساحة التي تحرَّك فيها عملية التجديد.

الثاني: أنَّ مرونة الشريعة تخلق مساحة مفتوحة من المتغيرات، وهي مساحة

مشروعه تتدخل فيها الاجتهادات أو تصورات المفکر والعوامل المتغيرة في شخصيته وفي فهمه، والتي يعمل المفکر في إطارها على تنظيم الجوانب التقنية (الشرعية والتنفيذية) للحياة، بهدف اخضاع الحياة للشريعة. ومن هنا فإنَّ بعد المرن في الشريعة هو الذي يحدد مجالات التجديد في الفكر الإسلامي ومساحاته. وهذه المساحات تسمى كلما ازدادت متغيرات العصر وضغوطاته وتحدياته.

### **مظاهر المرونة في الشريعة**

لا تعني المرونة التنازل المبدئي أو الميوعة التنظيمية، فإنَّ كلاً منها يتنافى مع عقائدية المبدأ المرن وواقعته العملية؛ ذلك أنَّ العقائدية والواقعية توجبان ثبات الأسس العقائدية والمفاهيم التصورية وثبات النظم والبناء العلوي الذي يقوم على أساس من ذلك التصور الرصين، فالمرونة – إذن – تعني التكثيك والتدرج الواقعي الذي يلحظ ضغوط الواقع، ويستهدف تعميق التصور الأصيل، والوصول إلى تطبيق الصورة التنظيمية المثلثي. كما تعني قدرة النظام على استيعاب التحولات الزمانية والمكانية والتعقيدات الاجتماعية كلها، ووضع العلاج الواقعي لها في إطار الاطر وحة العامة للتنظيم. وبالتالي فالمرونة هي اتخاذ موقف مؤقت يتغير بتغير الحالة بهدف المحافظة على الموقف العام.

والعقيدة لا تخضع لعامل المرونة، فهي الثابت – بالطلاق – الذي لا يخضع للمساومة تحت ضغط الواقع. في حين أنَّ التشريع وأساليب التطبيق والتبلیغ فيما جوانب متغيرة، ولذلك فإنَّ لنصر المرونة مدخلية في صياغاتها ونظمها. وهنا يمكن سر خلود الإسلام وبقائه وقابليته على استيعاب كلَّ ألوان التطور والتحدي. وتتمثل أهم مظاهر المرونة في الشريعة الإسلامية بما يلي:

- ١- مقاصد الشريعة وقواعدها الفرعية، وهي – كما يقول علماء أصول الفقه – على نوعين: مقاصد عامة، وترتبط بالغايات العامة للشريعة، والتي من شأن حكماتها الكلية تحقيق مصالح الأمة، ومقاصد خاصة ترتبط بغايات باب محمد من التشريعات التي تحقق مصلحة معينة من مصالح الناس. والمقاصد الخاصة فيها أيضاً جزئية ترتبط بحكم شرعي معين.

وقد اختلف الفقهاء والأصوليون في تحديد أنواع المقاصد العامة للشريعة، ولكنهم اتفقوا على خطوط عامة تدخل في إطار تحكيم العدالة وتحكيم الأخوة وحفظ الدين وحفظ النفس والعرض وحفظ النسل وحفظ المال وحفظ العقل وغيرها. وبما أن قضية المقاصد ترتبط بتحقيق المصالح ودرء المفاسد، فإن الخشية من الوقع في ملابسات الظنون الفردية التي تتغاذب الأفراد، تجعلنا نخيل هذه القضية في المجالات الفردية إلى قطع المعنى فقط، أما بالنسبة للمجال الاجتماعي أو أمر الأمة فتحال إلى ولي أمر الأمة الشرعي، لتكون جزءاً من اختصاصاته في عملية التقنين، وهي وبالتالي مساحة مرنّة في الشريعة ترتبط باجتهاد ولي الأمر وتشخيصه المصلحة التي تتحقق مقصود الشريعة، كما سبق.

٢- الأحكام الشرعية التي تحدد موضوعاتها الأعراف وأهل الخبرة، وهو ما يمكن أن نعبر عنه بتأثير الزمان والمكان في الاجتهاد ونوعية التأثير هذه لها مدخلية في موضوع المرونة؛ لأنَّ تأثير الزمان والمكان في موضوع الحكم الشرعي هو الذي يحدد مضمون الحكم الشرعي وشكله. ومن مظاهر ذلك اختلاف مصاديق المفاهيم من مكان لآخر، كطبيعة الإسراف والغنى والاحترام وإعداد القوة وغيرها. كما أنَّ مطلبات الزمان والمكان قد تتطلب - أحياناً - تعطيل حكم ما أو نظام ما لفترة معينة؛ نتيجة التزاحم بين ضرورة تطبيق الحكم والآثار السيئة التي قد تجم عن التطبيق في ظل ظروف معينة قاهرة. وإذا كان الحكم يرتبط بعمل الأمة فلا بد من إيكال تشخيص التزاحم وتقديم الأهم لولي الأمر أيضاً.

النصي في إطار منهجية لصيقة بالشريعة. ومثال ذلك المسائل المستحدثة والجوانب التنظيمية الجديدة، سواء على مستوى فقه الأفراد أو فقه المجتمع، ككثير من قضايا العلوم التطبيقية والقضايا الداخلة في الأمور الحسية، كنظم المرور والتسيير والتعليم، وقضايا الإعلام والاتصالات والفنون والأداب وغيرها.

والحقيقة أنَّ النصوص التي تركتها مصادر التشريع تحديدًا (القرآن الكريم والسنّة الشريفة) تتناول قضايا الواقع المرتبط بفترة الصدور، وتتناول أيضًا الخطوط العامة للنظم الإسلامية، إضافة إلى بعض الأحكام التي تستمر موضوعاتها مع الزمان والمكان. وال الحال أنَّ كلَّ يوم يُرَى على البشرية يحمل معه قضايا وموضوعات جديدة، لا تعجز الشريعة مطلقاً عن تحديد أحكامها، وذلك من خلال نافذة الاجتهاد، هذه المكرمة العلمية التي منحتها الشريعة للأمة (من خلال مجدها)، لكي تبقى قادرة على إخضاع واقعها لأحكام الدين الحنيف. وبالطبع فإنَّ موضوع الاجتهاد يشتمل على تحديد دور العقل في عملية الاستنباط، كإدراك المصالح العامة أو إدراك التلازم بين أحكامه وأحكام الشرع.

ومن البديهي أن يرفض الشرع المقدس - خلال ممارسة عملية الاجتهاد - القواعد الطنية التي لم يقم على اعتبارها دليل قطعي، بل يحدد الاجتهاد في إطار القواعد التي قام على اعتبارها دليل قطعي؛ لأنَّ الشارع لا يسمح للتفكير البشري المغض أن يضيف من ذاتياته للإسلام. وهذا الأمر دليل على دقة عملية الاجتهاد، وكونها لا تترك للمجتهد اختراع منهجية أو قواعد وأصول غريبة عن جنس الشريعة، أي لا تفتح الباب على مصراعيه للمجتهد بأن يجدد ويصلح ويطور في الشريعة كيما شاء، هنا فضلاً عن غير المجتهد، فذلك من باب أولى بآن لا يتدخل في هذه الامور التي لا تعدُّ من اختصاصه.

**٤ - تشريع الأحكام (الشرعية) الثانوية في الحالات الطارئة. فالحكم الشرعي -**  
لاعتبارات مختلفة - ينقسم إلى حكم أولى وحكم ثانوي وحكم ولائي. وما يهمنا هنا هو الحكم الثنائي، ويمكن أن نعرفه: بأنه الحكم المعمول للموضوع بلحاظ ما يطرأ عليه من عناوين خاصة تقتضي تغير حكمه الأولي. وهذه الحالات الطارئة هي من قبيل:

(الضرر)، ((العسر والمرج))، ((العجز))، ((الإكراه))، ((الخوف))، ((المرض))، ((ترابح الحكم عند تنفيذه مع حكم أهله منه)). وقوع الحكم مقدمة لحكم آخر، إضافة إلى تحول الأحكام الوجوبية الكافية إلى تعينية إذا انحصرت بشخص واحد. ومن هنا فالحكم الثانوي يعبر عن مرونة تشريعية؛ لأنَّ المرونة هنا تعني الاستجابة للحالة الضاغطة بقدر ما تحمله من ضغط. والحالة الضاغطة هنا ليست دائمة، بل إنها استثنائية، فمثلاً في حالة ((الاضطرار)) نستدل بالآية الكريمة: (... فَمَنْ اضطُرَّ غَيْرَ بَاغِ ولا عَادَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ)<sup>(١)</sup> وفي باب تحرير الميزة والدم ولحم المخزير وغيرها.

وكذا في حالة ((المرج))، فإنَّ الآية الكريمة تقول: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)<sup>(٢)</sup> وغيرها. ولا بد أن نؤكد هنا على أنَّ الأحكام الثانوية تختلف عن الأحكام الولائية (أحكامولي الأمر)، لأنَّ الأحكام الثانوية هي أحكام شرعية وضعت للعناوين الطارئة، وتحصر عناوينها فيما ذكر في القرآن الكريم والسنّة الشريفة، فهي ترتكز عليها، بينما ترتكز الأحكام الولائية على المصلحة العامة ومتطلبات الوضع العام للمجتمع، ويصدرهاولي الأمر منطلق صلاحياته، وهو الذي يجددها، بينما يستطيع الفرد تحديد الأحكام الثانوية في إطار الضوابط والشروط المنصوص عليها.

٥ـ المساحة التي ينفذ فيها حكمولي الأمر، أو ما يصطدح عليه فقهياً بـ((الأحكام الولائية)) أو ((الحكومية)) أو ((السلطانية))، وهي مساحة من الأحكام خاصة بولي الأمر الشرعي، أي الذي تولى أمر المسلمين في إطار ضوابط الشريعة، ومنها قابلته على استئمار هذه المساحة من الأحكام الشرعية، وهي القابلية التي ترافق القابلية على الاستبساط. بالإضافة إلى قدراته الإدارية وتشاوره مع الإحصائيين وملاحظته للأوضاعية الكاشفة التي هيأها الشارع المقدس له.

(١) البقرة: ١٧٣.

(٢) المح: ٧٨.

ونعرف الحكم الولائي بأنه: الاعتبار الصادر من المحاكم الشرعية بقتضى صلاحيته الشرعية، والمتعلق بأفعال العباد، وهو يشتمل على الأحكام التكليفية والوضعية. وهذه الأحكام لا تطلق لكل مجتهد، فذلك ما يؤدي إلى تعدد الإرادات الاجتهادية، وبالتالي تفتت وحدة الأمة وتدمير كيانها، وهو ما يتناقض مع مقاصد الشريعة وروحها وغايتها، بل إنها تحضر في الولي الذي حددت الشريعة مبانيه ولاليته، أي الولي المحاكم.

ومن هنا فالأحكام الولائية تختلف عن الأحكام الأولية والثانوية التي يحددها جميع القفهاء، شريطة أن لا يكون فيها تناطع مع الأحكام الولائية، كما أنها محددة بموضوعات معينة هي مساحة المباحثات في الشريعة، وتشمل أساليب تطبيق الشريعة الإسلامية، كأساليب تطبيق النظام المالي والاقتصادي، أو أساليب تطبيق مبدأ الشورى. وتدخل الأحكام القضائية في هذا الباب. وباختصار فإنَّ ولِي الأمر يصدر الأحكام الولائية في إطار الكليات الشرعية ومقاصد الشريعة، وليس له في هذا المجال - كما يقول الإمام الخميني - أن يستبدل بالأمر، بل عليه أن يستشير ذوي الخبرة والاختصاص، ثم ينتهي إلى الحكم الشرعي في ضوء:

١- مصلحة الأمة، وهنا تسمح الشريعة لولي الأمر بالنظر في المصالح وتحديدها عبر استشارة المتخصصين.

٢- الأضوية الكاشفة - كما يعبر عنها الإمام محمد باقر الصدر - وهي التي أعطته إياها الشريعة لسلطتها على الواقع ويشخص الحكم المطلوب . ومن هذه الأضوية الأحكام الولائية التي أصدرها الرسول العظيم بصفته ولِيًّا للأمر، وهذا باب واسع لا نستطيع تفصيله هنا.

٣- الأولويات، وهي التي يواجه بها المساحة التي تزاحم فيها الأحكام فيقدم الأهم على المهم، أو في إطار الاحتياط لقضية معينة، فيصدر حكمًا يستيقن فيه وقوعها أو مضاعفاتها، كما هو الحال في مجال سد الذرائع التي يظن أنها تؤدي إلى المفسدة، أما الذرائع القطعية الأداء فهي محمرة بالعنوان الشانوي الذي يشخصه المكلف نفسه ولا تحتاج لحكم ولِي الأمر في المجالات الفردية.

وهنا لا بد أن أوضح نقطة التقاء مهمة بين المدرستين الفقهيتين الكبيرتين: مدرسة أهل البيت(ع) ومدرسة أهل السنة، وتمثل في ساح مدرسة أهل البيت(ع) لولي الأمر باستخدام قواعد المصالح المرسلة وسد الذرائع وغيرها، وهي القواعد التي لا يسمح الفقه الإمامي باستخدامها في عملية الاجتهد بالنسبة لمجمل الفقهاء. وعلى مستوى التطبيق فإن الجمهورية الإسلامية الإيرانية وضعت أعلى مجلس استشاري في الدولة هو (جمع تشخيص المصلحة)، أي اكتشاف مصلحة الأمة وتحديدتها، ثم تقديم القرار لولي الأمر بعد دراسة دقيقة. ثم يقوم ولـي الأمر بإصدار الحكم الشرعي المناسب. ونرى أن هذا الجمع بيتُ في الخلاف - على مستوى التقنين - بين مجلس الشورى ومجلس حماية الدستور، إذ يتخذ القرار بتحديد القانون المناسب الذي ينظر فيه لمصلحة الأمة والدولة.

### **مناذف الفكر البشري إلى المساحة المشروعة**

لا شكَّ أنَّ هناك مساحات في الفكر الإسلامي لها علاقة بالفهم البشري ومدارك الإنسان وطبيعة نظرته للواقع ورؤيته لنهاية الناتج الفكري، وهي المساحات التي يمكن أن ندعها بشرية، وهذه المساحات تنتصر على المتغيرات، أي المساحات المستقرة في الفكر الإسلامي. ولا تتمدد إلى الثوابت؛ لأنَّ هذه الثوابت مقدسة، وهي الدين بعينه. ويمكن تحديد مناذف الفكر البشري إلى الفكر الإسلامي في الحالات التالية:

١- فهم مقاصد الشريعة، العامة والخاصة أو الجزئية، فهذا الفهم متغير من مفكـر آخر، وهنا قد تختلف النتائج التي يخرج بها المفكرون والفقهاء بالنسبة لواقـعة واحدة، مما يشير إلى بشرية هذه المساحة. وبالطبع يتأثـر هذا الفهم بعوامل متغيرة بشرية أيضاً. كاملاً لثقافة الواقع والعصر، وعمق النظرة وبعدها وشموليتها وغيرها.

٢- فهم المصاديق، أي تطبيق الكلمات على جزئياتها وتطبيق المفاهيم على مصاديقها. وهكذا تتدخل ذهنية الفقيه والمفكر في نوعية التطبيق وفي اكتشاف المصاديق والجزئيات. وتدخل في هذا الإطار أيضاً محاولات المجهود للتخرير الفقهي للعقود

المجديدة، كالتامين مثلاً. وهذا الفهم والتخرير يخضع لعنوان بشرية الفكر.

٣- سير عملية الاستدلال لدى المجهدين وترتيب أدتهم.

٤- تحديد موارد الأحكام الثانوية، والظروف والتغيرات التي ينطلق منها في تجاوز الحكم الأولى إلى الحكم الثاني، وهي مساحة دقة ومحددة، ولكنها - في كل الأحوال

- تتدخل فيها طبيعة استيعاب المجهد وتشخيصه للموضوع، وبالتالي فهي مساحة تغيرة.

٥- تحديد ولِي الأمر لصلاحة الامة في قضية من القضايا، ونوعية تسلیطه الأضویة

الكافحة على الموضوعات والأحكام، ونظرته لتحديد الأهم والمهم في الأحكام أو في موارد الاحتياط، وهذه المساحات خاضعة هي الآخرى لطريقة تفكير ولِي الأمر

واستيعابه للواقع ودقته في تصريف الأمور وفي اختيار الرأي الصائب بعد استئمار مبدأ الشورى.

وفي جمل المساحات المذكورة تدخل عملية التأصيل والأسلمة والتجدد والاكتشاف والتي تهدف بجمعها إلى اختيار الاسلوب الأمثل لتطبيق النظم الإسلامية التي تتضمنها الشريعة، وهو ما يمكن أن نسميه بالقنين أو التشريع - مجازاً - وهي مساحات تسع لل الفكر البشري ليتحرك فيها بحرية عملية ترشدها الضوابط الشرعية ومقاصد الشريعة العامة.

ونشير هنا إلى أن عملية القنين لا تحول الحكم الشرعي إلى قانون بشري، وإن كان للتفكير البشري دور في صياغته وتشكيله، بل إن عملية القنين تمثل في اكتشاف الحكم الشرعي لموضع معين أو تحديد الاسلوب الشرعي لتطبيق هذا الحكم، وإذا تدخل الفكر البشري في صياغة الاسلوب أي تحويل الحكم الشرعي إلى قانون - وفقاً للمفهوم الوضعي للقانون - فلا يعني هذا أن القانون قد ألغى الشريعة وأنه أنزلها من السماء إلى الأرض، وبالتالي فهي عملية تكيف منضبط لمنهجية القنين بهدف خدمة الشريعة، وكذلك تكيف للواقع بهدف إخضاعه للشريعة.

٦- إعادة النظر في الأمور - وحتى المسلمات منها - وباستمرار، وتوجيه النقد للفكر

الديني السابق بكل موضوعية وانضباط. والتأكُّد من عدم تدخل الظروف النفسية والزمانية في عملية الاستباط.

### ملاحظات عامة

وجود القواعد التي تضبط عملية التجديد تشكّل ضرورة أساسية لا يمكن لعملية التجديد أن تتم بدونها. وهي في الواقع قواعد تفرضها الشريعة نفسها من خلال النصوص والثوابت الشرعية ومن خلال ما يحكم به العقل من أسس وأصول يتفق عليها العقول، وعليه فلنا هنا ملاحظات:

الأولى: التجديد ليس هدفاً بذاته، أي أنَّ التجديد ليس من أجل التجديد، بل هو وسيلة تهدف إلى تلبية حاجات المجتمع الجديدة وملائحة متغيرات العصر، والإجابة على التساؤلات الشرعية والعقدية الضاغطة للإنسان المعاصر، والنظر في قضايا الواقع وتكييفها طبقاً لمواصفات الشريعة، وبالتالي صياغة المشروع الإسلامي النهضوي الذي يستوعب متطلبات الحياة الإنسانية في حاضرها ومستقبلها، وتعبيد طريقها للوصول إلى الآخرة. أي أنَّ التجديد – بكلمة واحدة – هو معلول الحاجات العملية، وليس مجرد حركة نظرية منفصلة عن الواقع وعن ضوابط الشريعة.

الثانية: دواعي التجديد تتعدد بتنوع الحاجة إليه، فالتجديد المادف هو ستة الله في خلقه، وتوكّده النصوص المقدسة، مثل: «إنَّ الله يبعث هذه الأمة على رأس كلِّ مائة سنة من يجدد لها دينها»<sup>(١)</sup>. ثم إنَّ التجديد يكشف حقيقة أدعية التجديد الذين يتسبّون إلى تiarات تحريفية وتوفيقية وتغريبية، والذين يعملون على مسخ الشريعة بمحنة الاجتهاد والتجدد.

الثالثة: التجديد يقوم به أصحاب الاختصاص فقط، وهو مطلب شرعي وعلقي

(١) مسند أبي داود الملاحم ١.

(فاسألو أهل الذكر إن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ<sup>(١)</sup>، (فَإِنْ شَاءَتْ عَمَّ فِي شَيْءٍ فَرُدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)<sup>(٢)</sup>، وأصحاب الاختصاص هؤلاء لهم مواصفات محددة شأن كل اختصاصات الأخرى، فإذا احترمنا تخصص الطيب والمهندس والكيميائي والفلكي وعالم الاجتماع والصحافي، فلابد أن نحترم تخصص المعنى بعملية التجديد، وهذا التخصص يعني القابلية على الاستنباط من مصادر التشريع وعلى محكمة الفكر وتحقيقه، أي أن المعنى بالتجديد هو المجتهد المفكر الذي استوعب علوم القرآن تماماً وفهم الناسخ والنسوخ، والحكم والتشابه وأسباب النزول، إضافة إلى علوم الحديث والرجال، وعلوم العربية، وعلم الكلام والعقيدة وعلم الفقه وقواعديه وعلم الأصول وقواعديه، وهو تخصص عميق ودقيق.

وهذا لا يعني - مجال من الأحوال - وصاية على الفكر الإسلامي من قبل مجموعة من الناس، بل بالعكس هو إعطاء الحرية الكاملة للفكر الإسلامي ليتحرك في فضاءه الحقيقي، لا فضاء المزيف الذي يعرفه عن أصحابه، فكما ترك للطبيب حرية الحركة بمفرده في علم الطب ولا نسمح للفقيه والمفكر بالتدخل بشأنه وتخصصه، بل ونعطي للطبيب ولایة ووصاية على علم الطب وعلاج الأمراض، فمن الواجب أيضاً أن لا نسمح للطبيب والفيلسوف وعالم الاجتماع والأديب والكاتب أن يتدخلوا في غير اختصاصاتهم، ومنها قضايا الشريعة والتجديد في إطارها.

الرابعة: التجديد يتطلب مفكراً مجتهداً منفتحاً على الحياة والواقع، ويدرك ضغوطاتهما ومتطلباتهما، ملماً بقضايا مصر وأفكاره وثقافته، وبكلمة واحدة: المفكر المجتهد المتفق، وإنما المجتهد المنافق على الواقع والجامد على فهم الآخرين للنص، والبعيد عن ثقافات العصر ومتطلباته وتحدياته المتقددة والتتسارعة التي تفرضها الشورات التكاملة في

(١) النعل: ٤٣.

(٢) النساء: ٥٩.

الاتصالات والمواصلات والتكنولوجيا والطب والهندسة الورائية والبايولوجيا والاقتصاد وحركة المال والسياسة الدولية وغيرها، فضلاً عن التحديات التي تفرضها أساليب وسائل تطبيق الشريعة، بكل مجالاتها، هو شخص لا يمكنه الخوض في قضايا التجديد؛ لأنَّه سيعكس صورة سلبية منفَّرة عن الشريعة السمحاء والدين الحنيف. ومن هنا نرى أنَّ الإمام الخميني وضع شروطاً جديدة للاجتihad، أبرزها القابلية على تحديد حاجات المجتمع أو العصر وتحديد مصالح المجتمع وفهم الواقع.

الخامسة: فكرة القراءات المختلفة للدين والبنية على منهجيات علمية مستوردة، بعيدة عن ضوابط العقيدة وغريبة عن جنس الشريعة. كمنهجية المِرْمُونْطِيقَا (التأويل تسامحاً) والاركولوجيا (الحُفَرِيَّات) والتاريخانية وهي فكرة اعتباطية وفضفاضة وغير دقيقة من الناحية العلمية. ونحن لا ننكر الاختلاف في فهم النص وفي فهم الموضوع وفي اعتماد القواعد الفقهية والاصولية وفي قبول الحديث وغيرها، ولكنه اختلاف مؤطر بالضوابط التي تفرضها الشريعة، أي للمنهجية الخاصة بكل علم من العلوم الإسلامية، كما أنه اختلاف بين المفكرين والمجتهدين، وليس بين كتاب وصحافيين وعلماء اجتماع وفلسفه ورجال سياسة. وبالتالي فالمتعددية (بلوريالسم) لا توزع الحقيقة بحسب متوازنة على كلَّ صاحب رأي، بل إنَّ الحقيقة واحدة وثابتة. ويبقى أنَّ المفكرين والمجتهدين يبذلون كلَّ ما في وسعهم من جهد للوصول إليها من خلال الكشف عن الحكم أو الأسلوب الشرعي، في إطار المنهجية الإسلامية المستخرجة من جنس الشريعة وغايات الدين، وإلاً فهذا اللون الغربي الذي يطرح تحت شعار المتعددية والقراءات المتعددة وفي إطار منهجيات وضعت لعلوم أخرى وآخر عنها بيات آخر ومناخات علمية ودينية مختلفة عنَّا هي مثال صارخ للانقلابات الفكرية الذي يسمع لكل فرد من أفراد الأمة الإسلامية أن تكون له قراءته ورؤيته الخاصة بالدين، وبالتالي - إذا أذعنَّا لهذه المنهجيات - سأقِي اليوم الذي لا يبقى فيه من شريعة الله إلاَّ أشباح أحكام، أو معتقدات مسوخة مفصلة على مقاس كلَّ صاحب هو.

السادسة: التجديد لا يتناول الأطروحة الدينية أو الدين بعينه أو ثواب الدين، فهذه الثواب، (أي الأصول الإسلامية المقدسة) خالدة خلود الدين الخاتم، لأنَّ (حلال محمد حلال إلى يوم القيمة وحرامه حرام إلى يوم القيمة)، ولا يمكن تحت أي ذريعة من الذرائع الاجتهاد في مقابل الثواب وتجديد الأصول المقدسة، اللهم إلَّا في إطار القواعد الاستثنائية الزمنية التي حدتها الشريعة نفسها، وسبقت الإشارة إليها. أمَّا التجديد فمساحته الفكر الإسلامي والموروث والمعاصر، أي الاتجاه الفكري الإسلامي للمفكرين المجتهدين المقدمين والمتاخرين، وكذلك في فهم الثواب الإسلامية وقواعد وأصول هذا الفهم، وفي اكتشاف قضايا جديدة (مناهج، نظريات، علوم، رؤى) في المصادر المقدسة، وأخيراً في أسلمة بعض المناهج والنظريات التي وضعها الإنسان في الحقول المحاذدة العامة. وبالتالي فهي مساحة متغيرات يأكلها.

السابعة: للتجديد والاجتهد مرجمة ثابتة لصيغة بها، وهذه المرجمة يتم الرجوع إليها عند الاختلاف في الفهم والنتائج، والأَفَالتجدد لا يتحرك في الفراغ ولا ينطلق من فراغ، بل إنَّ له فضاءً الذي يجول فيه، وهذا الفضاء هو مرجمة التجديد والاجتهد المتمثلة في القرآن الكريم والصحيح من السنة الشريفة، وفي أدوات فهم الأصول المقدسة والكشف عن حقائقها كالعقل والإجماع وغيرهما.

الثامنة: من الطبيعي أن يطرح هنا بحث عن الموانع أو الامور التي تقف عقبة في وجه التغيير، أو تمنع القادة من التفكير فيه. وبتعبير آخر فإنَّها تعمل على عدم انتراح مقتضي التغيير. وهي كثيرة نشير منها إلى ما يلي:

١ - غياب القدرة والاستعداد الذاتي والامكانيات العلمية للتجديد، وهو عمل ليس سهلاً.

٢ - غياب عنصر التخطيط للمستقبل في جامعاتنا الدينية.

٣ - الخوف من تبعات التغيير وهي كثيرة. فإنَّ التغيير ربما أثار العوام من المسلمين أو حرك بعض المصلحين لإثارتهم واستغلالهم، وربما حرك المتعصبين للقديم أو أولئك

الذين ستضرر مصالحهم بذلك. وقد يؤدي - بشكل موضوعي أو في تصور المغيرين على الأقل - إلى افتتاح باب التجربة على المقدسات الدينية أو انهيار المسلمات الأخرى. وربما أدى أحياناً - وهذا ما حدث كثيراً - إلى رمي المجددين بالزندقة والمرطة وأمثالها.

### **في الطريق إلى التجديد**

في ضوء التصورات التي طرحتها هذه الدراسة، يطرح السؤال التالي نفسه: ما العمل لتحقيق التجديد المنشود؟ وللإجابة على هذا السؤال نرى أنَّ من الضروري تحقيق وهي أشمل وأدق للإسلام من أداته الأصلية، وادرأوا أكثر تحديداً لحقيقة مقاصده وغاياته. ولابدَّ أنْ نعيد فتح باب الاجتهد على مصراعيه، في إطار ضوابطه. وعلى أصحاب الاختصاص في علوم الدين (المفكِّرين والمجهدين) أن لا يسمحوا لنفس المخصوصين بالعبث في شريعة الله ومعتقدات الإسلام تحت ذريعة الاجتهد والتتجدد أو ذريعة تفصيل الدين على مقاس العصر، أو التضحية بالأصالة على مذبح العاصرة، والتضحية بالتراث في مذبح التجديد، والتضحية بالشريعة على مذبح التعددية، والتضحية بالدين على مذبح العلم، فهذه الزرائع أو الثنائيات المستوردة لا وجود لها في مبادئ الإسلام الخالدة، لأنَّها ثنائيات أنتجتها العقلية الغربية في المصور التي أعقبت ما يسمى بالنهضة الأوروبية، بهدف إقصاء الدين عن الحياة، وهي إشكالية نابعة من الصراع بين الكنيسة ودعاة العلمانية.

وبالنظر لاتساع دائرة التغيير في الحياة وسرعة التطور، نرى أنَّ قابلية التجدد على استيعاب هذا الواقع تتطلب آليتين:

الأولى: آلية الاجتهد الجماعي، وتلتخص في تشكيل لجان اجتهادية من مجموعة من المفكِّرين المجهدين لبحث موضوع أو جملة مواضيع، ثم تكامل نظرائهم ورؤاهم بعد التداول والمناقشة للخروج بحكم شرعي أو نظرية أو نظام إسلامي في مجال معين. وهناك تجربة مجمع الفقه الإسلامي بمدحه، الذي نأمل أن تكون فيه لجان اجتهادية ثابتة تؤدي عملها على مدار السنة؛ للاحتجاج الطورات الهائلة المسارعة التي تشهدها البشرية. ومن

شأن الاجتهداد الجماعي استيعاب كل الم الموضوعات و اختصار الزمن والخروج بأفضل الآراء.

الثانية: آلية التكامل بين المفكرين المجهدين وأصحاب الاختصاصات العلمية والمهنية الأخرى، من خلال استشارة المفكرين المجهدين لمؤلفات المتخصصين في الموضوعات الجديدة، والاستعانة بهم في فهم العلوم والمناهج الجديدة، وقضايا الواقع المتنوعة والمعقدة، وفي تحديد مصالح الأمة والدولة، إذ يتم تداول هذه الموضوعات في لجان أو مجالس مشتركة، ثم الخروج بالرأي أو الاجتهداد الأفضل الذي يحقق مصالح الأمة ويكيّف الواقع لينسجم مع غايات الشريعة. وهذه الآلية تَمَّتْ تجربتها في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ولا زالت تُؤْقِي ثمارها، وتتمثل في (جمع تحديد المصلحة) الذي يتكون من فقهاء وختصاصين في مختلف المجالات، ويتلون النخبة التي تخطّط للسياسات العامة للأمة والدولة، ثم يعرضونها على ولي الأمر (القائد) لإقرارها.

ولابد من إخضاع تجارب تطبيق الشريعة والنظم الإسلامية في بلداننا للتقييم المستمر، أي القيام بعملية رصد علمية لنتائج هذه التجارب (على الطبيعة)، مثل تجارب تطبيق الاقتصاد الإسلامي والبنك الإسلامي والنظام القضائي والنظام السياسي ونظم التكامل والتعاون الاجتماعي والنظام التعليمي وغيرها. وستكون نتيجة هذا الرصد العلمي، من خلال الدراسات والبحوث، وضع مناهج ومبادئ وتفاصيل علوم إسلامية اجتماعية، كعلم الاقتصاد الإسلامي وعلم الاجتماع الإسلامي وعلم النفس الإسلامي وغيرها.

### **التجديد للمستقبل**

لا شك أنَّ التاريخ الإسلامي شهد ظهور مجددين عظام، بل وموجات رائدة من التجديد، وكانت كلَّ حركة تجديد فكري تختص بها بواقعها وظروفها، أي أنها حركة تجديد لزمانها. وهكذا فإنَّ المحاولات الحالية للتتجديد الفكري التي تقوم بها الطليعة المتنورة من المفكّرين المجهدين، هي تجديد لزماننا هذا، ويبقى للمستقبل تجديده ورجاله.

ولكن في الوقت نفسه فإنَّ المخططات الكبرى في مجالات السياسة الدولية والإعلام والاقتصاد والثقافة وغيرها، والتي يعدها من يعبرون عن أنفسهم بـ(سادة العالم) (ادعاء الفتوح)، وتسرُّع الأحداث وترانيم المتغيرات والطفرات المتلاحقة في مجال العلم والتكنولوجيا، تجعل الحاضر لحظة غير محسوسة، وتجعل البشرية تعيش في المستقبل دائمًا؛ إذ أنَّ ما تكشف عنه الدراسات المستقبلية الغربية، يضعنا في حيرة مما سيحدث الآن وفي المستقبل، وهو ما يعبر عنه أحد مفكري الغرب بـ(خدمة المستقبل)، لأنَّ ما تم التخطيط له قبل عشرين عامًا ظهرت نتائجه الآن، وما يتم التخطيط له الآن سينظُر نتائجه بعد عشرين أو خمسين عامًا. وحيال ذلك فلابدَّ أن يكون للإسلام وللتفكير الإسلامي موقفه مما سيحدث في المستقبل أو مما يتم الإعداد له من الآن. ويتمثل هذا الموقف في استعداد الفكر الإسلامي للمستقبل، ومحاولة امتصاص مفاجئاته وصدماته، وهو موقف ندعو إليه.

ولهذا فأنا أدعو لتدارس موضوعية الفكر الإسلامي المستقبلي الذي ينطلق من إشكاليات الحاضر وحيثياته، ويستشرف المستقبل وتحدياته وخياراته، ثم ينخذه له في محاولة لاكتشاف بذاته المنشودة وبنائه والتحكم به. فمتلاًّ نظم الحاضر التي أعدَّها الآخرون، كالعزلة والأنسنة، ستبلور بعور الزمان وتظهر نتائجها النهائية في المستقبل، وكذلك الكثير من الاكتشافات، كما يحدث في علم الجزيك (الهندسة الوراثية)، فإنَّ نتائجه سينظُر في المستقبل. وهكذا فإنَّ الشريعة والفقه وعلم الكلام الإسلامي لا بدَّ أن يكون لها رأيها في كلِّ ذلك، وتسعدُ له، لتكون بمُستوى تحديات المستقبل وضغوطاته. وعلى هذا الأساس فإنَّ منهجيات وأفكار ورؤى تطرح الآن، وهدفها وضع الفكر الإسلامي بمُستوى قضايا المستقبل، كفلسفة الفقه وفقه المقادس وفقه الأولويات وعلم الكلام الجديد والتحول في الاجتهاد وأسلمة أو تأصيل العلوم الاجتماعية والانسانية، وحتى التطبيقية، وغيرها، هي بأكملها مطروحة للبحث والتداول والمدارسة بين دعاء التجديد الأصيل في الفكر الإسلامي، بهدف نقل الفكر الإسلامي من المعاصر إلى المستقبل، وبذلك تقدُّم الخدمة المثلثة للجيل الإسلامي الذي ينشأ اليوم وسيمسك بزمام

المستقبل، حين نعد له الأحكام والنظم والنظريات التي تستوعب عصره. وهي في الواقع - وقبل كل شيء - خدمة للجيل الحاضر، الذي يرى تحديات المستقبل مائة أمام عينه ويستشعر ضغوطاتها وألامها؛ لأنَّ الحاضر هو المستقبل، بعد أن أخذت البشرية تفقد إحساسها بالزمن الحاضر. وهذه الدعوة لا تعني - بأي حال من الأحوال - المروب إلى الأمام وحرق المراحل والعبور على الأزمة، بل على العكس، هي دعوة للاندراك بالواقع واستحضار السنن الكونية والعمل بالتصوّص الإسلامي المقدّسة.

### **المقال الثالث**

---

**الصحوة والإعلام**



(أ)

## الفزو الفكري وأساليب المواجهة

إذا شئنا أن نتوسيع كلَّ المِساحة الثقافية - من خلال المنظور الإنساني الإسلامي - فمن المُحتمَم القول بأنَّها تنتدُّ إلى حيث تنتدُّ التراثية الإنسانية نفسها، وهذا يعني شمولها للجوانب الإنسانية الثلاثة التالية:

- ١ - الجانب التصوري والعقائدي: بما يشمل كلَّ المفاهيم التي يملكونها الإنسان عن الكون والحياة والإنسان، وبالشكل الذي يتناول السنن التاريخية والقوانين الحاكمة كلَّها.
- ٢ - الجانب الاحساسي العاطفي: بما يشمل الغرائز والميول الأصلية والمعدالة تبعاً للتربية الخاصة، وتكوين المصاديق المتعالية، كتحويل حبَّ الذات الضيقة إلى حبٍ للذات المسعة الحالدة من خلال الإبهام بالآخرة.
- ٣ - الجانب السلوكي العملي: وهو بطبيعة الحال يشمل كلَّ موقف يتَّخذه الإنسان، حتى فيما بينه وبين نفسه، كما أنه متَّأثر بالجوانين السابقتين قام التأثير، وخصوصاً بالجانب الثاني، حيث فسرَ المخلدون النفسيون الإرادة الإنسانية بالشوق المؤكَّد، بالرغم من أنَّ الشوق المؤكَّد هو المرحلة الأخيرة التي تسبق تصميم الإنسان على العمل - كما نعتقد - فإنَّ الإنسان يبقى يمتلك الحرية في أخرج الصفوط العاطفية.

### الترابط بين المساحات الثلاث

وإذا قبلنا هذه الحقيقة فلربما أن نؤمن بالكل التفافي المترابط، وأن نعتبر أي انتقال بين الأجزاء آنفة الذكر عملية مؤقتة، وأي قول بالفصل الدائم بين المساحات مجازفة يكذبها الوجودان والنصوص الشريفة. كما أنَّ هذا الإيمان والقول يفتح أمامنا باباً تربوياً وإعلامياً واسعاً، تنفذ من خلاله إلى المقصود أولاً، ونكتشف أيضاً - عبره - التأثير الإعلامي على الوجود التفافي ثانياً.

ولمثلاً إذا تأملنا واقعنا الوجوداني رأينا حقيقتين مهمتين:

الأولى: هذا الترابط الحكم بين أبعاد الكل التفافي الإنساني بما يمكن أن يرجع كلَّ الإنسان إلى المور الواحد المسيطر وهو النفس الإنسانية، فهي التي تستقي في الواقع، وإن كانت المسارب أو المظاهر متفاوتة.

الثانية: أنه ونتيجة لهذا الترابط وهذه الوحدة الوجودانية فإنَّ أي تناقض بين جزئين منها يعُدُّ أمراً طارئاً على التركيبة الطبيعية الإنسانية سرعان ما تغلب عليه لتحقيق الانسجام الكامل. ومن هنا نستطيع أن نفترض الكثير من النصوص القرآنية من قبيل:

قوله تعالى: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْبَيْتَمِ) <sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: (إِنَّمَا كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَأُوا السُّوءَ أَنَّ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) <sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) <sup>(٣)</sup>.

... وغيرها من النصوص الشريفة.

وفي ضوء هاتين الحقائقين، علينا أن نعالج تناقضنا على كلِّ الصُّمُد، ولنلاحظ مدى التفوه الغربي فيها.

(١) الماعون: ١ و ٢.

(٢) الروم: ١٠.

(٣) فاطر: ١٠.

## العلو يستهدف كل الجوانب

ويبدو أنَّ العدو - في حملته التفافية - استهدف الجوانب الثلاثة بشكل عَرَضيٍّ وفي آن واحد، إدراكاً منه لهذا الترابط، وتحقيقاً لمهمته الرئيسة، وهي قتل الشخصية الإسلامية في وجود الفرد والأمة، وبالتالي تحقيق الأرضية السهلة لعملية الاستغلال الكبرى.

فعلى الصعيد التصوري: عمل الإعلام الغربي والأفضل أن نسميه بالإعلام الاستكباري العالمي - نظراً لطبيعته ودواجه المُحْقِيقَة الكامنة في طفاف الميوبانية والمادية في وجوده - على التغريب التقافي عن العقيدة والصورات الأصلية مستغلًا فترات الجهل، والاتجاهات القشرية الحالية من روح الإسلام، والمرتكزة على جوانب جزئية عابرة، مكثبة إياها، وجاعلة هذه الجوانب هي محور الصراع وتضارب الآراء، عاملة - وبالتالي - على نسيان التصورات الإسلامية التغييرية الكبرى، وترك الميدان الاجتماعي لكل المبادئ المدعية للعدالة والإصلاح، وهي في الواقع ضد ذلك.

ومن هنا رأينا اتجاه كثير من جيلنا الشاب نحو المبادئ التي احتلت زوراً موقع البطولة التورية، والمطالبة بالقضاء على الظلم بعد أن أخلت هذه الآراء القشرية ذهنية جيلنا المسلم من المبادئ الإسلامية، والاسلام هو دين الصراع ضد الفرعون والفراعنة والطفاة، وهو دين المهاجر المتواصل ضد أي غلط من أغاط الظلم والاستبداد والاستغلال. ثم إنَّ العدو، وتأكيداً لعملية التغريب الآتقة، راح يزرع الشبهات تلو الشبهات في النفوس تجاه الإسلام عقيدةً ونظاماً، وتجاه إمكان تطبيق الإسلام، وهو دين المجتمع القبلي - كما يدعون - فكيف يمكن تطبيقه في مجتمع القرن العشرين؟!

ولم تكن الشبهات عادية وإنما هي تشمل المقول الفلسفية والمنطقية، تماماً كما تشمل الجوانب العملية. وهذه الشبهات عندما تصبُّ في روح الشباب الفارغ فإنهما تعصف ببرؤيته ومفاهيمه، وإذا تمَّ ذلك ضَعَنَ الاستكبار انحراف الإحساس فالعمل بلا ريس. وإذا تمَّ تهَمَّدُ السبيل للتفوز الغريب جاء دور بث الفكر الالحادي المسموم لتحقيق المرحلة النهاية من العملية، ليصوغ الإنسان المسلم بشَرَّاً للماركسية بقيمها الواطنة أو الرأسمالية بجعلها ولؤمهَا، وعلى أي حال، يندو عدواً للأمة وعميلاً للأجانب الأعداء.

وأما على الصعيد العاطفي، فإن خطته الخبيثة يمكن أن تخلص بعمليتين: الأولى: عملية إضعاف الروح الأخوية الإسلامية، روح إحساس المسلم أيها كان بألم المسلم الآخر، وإحلال الروح المحلية، والقطريّة، والقوميّة، وحتى الوطنية الضيقة وغيرها.

أما العملية الثانية فهي عملية توجيه العواطف والدوافع نحو المادية السلوكية، الأمر الذي يترك أثره على الجانبين العقائدي والعملي بكل قوّة، فتحول المادية العاطفية إلى مادية عقائدية.

وقد استغل الاستكبار الغربي كل الوسائل لتحقيق هذا الهدف وما زال يستخدمها حتى يومنا هذا في أرضنا الإسلامية، ونذكر منها: النماذج الخلائقية المنحطّة، والمجلات والصحف الخليعية، والإذاعة المسروعة والمرئية، والسينما والمسارح، و محلات الدعاارة وبيوتها، والملاهي والمرافق، والمحفلات المجانية، ومعسكرات الشباب ومنظماته، (البلاغات) وال السابع المشتركة والرياضة وتعاطي المخمور، والتشجيع على استهلاك وسائل التجميل، والتشجيع على ارتكاب الجرائم، ودفع المجتمع نحو المخدرات واستغلال الابداعات والأعمال الفنية لهذا الغرض. ومن تلك الفنون المستفلة: الزخرفة والرسم والموسيقى، واستغلال النتاجات الأدبية كالقصة والشعر، وتروية الشعب على تقليد الغرب الخليع في مختلف الشؤون كاللباس والسكن والسلوك، وفتح المجال للجمعيات والمعاصر المندسة من: الصهابية والبهائية والمسؤولية، ورواد نوادي الروتاري والملحدين، ليساعدوا في إذكاء نار الفساد، وترويج الأفلام الخلاعية عبر أجهزة (الفيديو)، وإشاعة عملية المراسلة غير التزهية بين الجنسين، وتشجيع عمليات المقامرة في المقاهي العامة الكبيرة منها والصغرى، وفي المسابقات الرياضية، وسباق الخيل من قبل المفترجين، وغير ذلك الكبير الكثير من الأساليب الرخيصة. ونؤكّد هنا أنَّ الكثير من هذه الوسائل الإعلامية اكتسبت ضعتها من أهدافها الوضيعة لا من طبيعتها كوسائل إعلامية مجردة.

وبالتالي فعل الصعيد العملي، كان هدفه المرحلي هو إبعاد النظام الإسلامي عن توجيه الحياة الإنسانية، وإحلال النظم الغربية المادية محله، بشكل كلي، أو في غالب

الأحوال، وهنا أيضاً تنوّعت الأفكار التي مهدّ بها هذه العملية، فشملت:

- فكرة فصل الدين عن السياسة، وقصر الحياة الدينية على الشؤون الشخصية والعبادية، وترك الشؤون الاجتماعية للفكر التنظيمي الغربي.
- وترويج الاتجاه الليبرالي المتحرر من التقييد بالتوجيهات الدينية.
- وتحبيذ العلمانية في الحكم بكلّ صراحة، أو بشيء دستوري يذكر الإسلام كدين للدولة تويهها، في حين يحجر عليه أن يصوغ بجمل الحياة الاجتماعية إلا بما لا يتعارض مع المصالح الغربية والشخصية الضيقة.

وقد مهدّت هذه الفكرة أفكار أخرى مخادعة من قبيل: فكرة تعقد الحياة، ولزوم التطوير في كل مجالاتها، وعدم قدرة النظم الدينية على مواكبة هذا التطور، باعتبارها تؤمن بالطلقات التشريعية، وهذه الطلقات لا تسجم مع عملية التغيير المستمر، وكذلك فكرة التخويف من الحكومة الدينية، أو ما يسمونه بالاستبداد الديني، مذكرين بما جرى في القرون الوسطى من الظلم الكئسي، وكيف وقت الكنيسة إلى جانب الاقطاع المستبد، وأنّ هذا لا ينسجم مع الدولة الديمقراطية الحديثة، وغير ذلك من الأفكار التي مهدّت - كما قلنا - للعلمانية، فإذا بنا نجد الأرض الإسلامية تضج من وجود الحكم العلماني المفلّف، دون أن يشعر أكثر الأفراد بعدى الجريمة التي ترتكب عبر ذلك.

والأنكى والأمر من ذلك أن بعض الناس من علماء الغرب ووسائله الإعلامية المحلية

العميلة راحت تدعو لإعادة النظر في الإسلام نفسه!!

فهناك من يدعى أنّ الإسلام قد استفاد أغراضه التاريخية.

وهناك من يرفع نداءه طارحاً فكرة (البروتستانتية الإسلامية).

وهناك من يطرح النظم الغربية أساساً يجب أن يحور الإسلام نفسه بحيث ينسجم معها، فتجد شيوخ تعبيرات: (الديمقراطية الإسلامية، والاشتراكية الإسلامية.. الخ).

ولما لم يجد آذاناً صاغية راح بعض الأفراد يطرح الأفكار التلقينية التي تأخذ من هذا ضغناً ومن ذاك ضغناً وقدمه على أساس أنه الإسلام الماكم لسيرة الطور!!

وهذا القسم الأخير هو أشدَّ الأقسام خطورة على جيلنا الإسلامي الناشئ ونحن في إيران عانينا من كلَّ الأفكار الماضية كثيراً، لأنَّ الاتجاه التلقيلي بشكله الغربي أو الشرقي كان يشكل العقبة الكادحة في عملية أسلمة الحياة الاجتماعية أسلمةً كاملةً، لكن الثورة الإسلامية تخلصت من كلِّ المنحرفين بعد أن تأمروا على كلِّ المكاسب الإسلامية.

### **خطوط المواجهة الإعلامية للفزو الثقافي**

ونستطيع أن نميز - في مجال مواجهة الفزو الثقافي الآتف على الصعيد الثقافي والإعلامي - خطوطاً، أهمُّها خطان:

#### **أولاً: الخط الإعلامي الثوري البناء**

وقد امتاز هذا الخط بميزات منها:

أ - وعيه للإسلام وعيَا نافذاً، وإدراكه العميق الأحصيل لنظرته الحياتية التغييرية الشاملة.

ب - إدراكه لأبعاد الفزو الثقافي ومساريه ومظاهره.

ج - تركيزه على محور المشكلة دون إهمال جوانبها وفروعها وتفاصيلها، وبالتالي دعوته للتغيير الثوري والاصلاحي في آن واحد.

د - تقديم الطروحات الإسلامية للجيل، وبعث حركة ثقافية جديدة.

هـ - تحريك الحس الإسلامي الحماسي المطلوب وعدم الاكتفاء بالتنظير الفكري الجاف. وهذا النوع هو الذي استطاع أن يقدم خدمات جلَّى على صعيد المواجهة وأن ينقذ الأمة من وحدتها.

#### **ثانياً: الخط الإعلامي السطحي**

والذي تميَّز بما يلي:

أ - بطرح الإسلام شعاراً برأساً، والذكر بالأمجاد دوفاً عمل على تقديم الطروحات الحياتية.

- ب - بتحييد الإصلاحات الجانبيّة وغضّ النظر عن الكثيّر منها خوفاً من الانفلات.
- ج - باتّباع أسلوب المساومة السياسي مع الحكّام المرتبطين، مهما بلغ بهم الارتباط، والإكفاء منهم ببعض الظواهر الكاذبة.

ولهذا نجد جاهيرنا المسلمة تجّأ هذا الأسلوب، وترفض التعامل معه كإعلام إسلامي، مما أفقده تأثيره لا على صعيد الواجهة فحسب، بل وحتى على صعيد التأثير الجزئي، فلم يعد يتحقق حتى ما يتوصّل إليه تحدير وتفطية، وأمامنا تجذّب حديثة جداً، حاول فيها أمثال هؤلاء التمويه وتشويه الإرادة الإسلامية من خلال إعلام واسع الأنبعاد وعلى الصعيد العالمي، فكذبّته الجماهير المسلمة وأسقطته من فوق عروشه العاجية.

### **الإعلام القرآني جوهر النبوة**

وإذا أردنا أن ننهض في مجال الإعلام المواجه والمرتّي في آن واحد، فليس لنا من سبل إلا سبل القرآن والدعوة القرآنية، إنّا مسلمون قبل كلّ شيء، لذا تصوراتنا ونماذجنا الخاصة بنا، والمستقاة من خالق الكون العليم بما يصلحه، والقرآن هو غوذجنا الأساسي في شئّ المجالات، فهو: (الكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع) وهو: (ناطق لا يعي لسانه، وبيت لا تهدم أركانه، وعزّلا تهزم أغوانه) وهو: (كتاب الله، تبصرون به وتتطقون به، وتسمعون به) فعلينا أن نعطّف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي، فهو: (البحر الذي لا يدرك قعره)<sup>(١)</sup>.

إنه كتاب التوعية، والتوعية في الإسلام تسبق أيّة خطوة أخرى، الإسلام دين التوعية والتربيّة، وهو بمقدسيّة واقفيته ونظريته يقرّ لزوم أن ينذر المرء إلى عمقه، انه يعرض جوهرته التعبينة، لأنه يعلم أنّ قيمته ستكتشف بكلّ وضوح للجميع، ولذا فهو يرفض أي تقليد من العقيدة ويدعو للبحث والبرهنة: (قُلْ هَأْتُمْ بِرُهَانَكُمْ)<sup>(٢)</sup>. وهو

(١) نصوص مترفة عن الإمام علي (عليه السلام) - تلذّذ القرآن وتلميذ الرسول المعوّث بالقرآن - في (نجع البلاغة).

(٢) القراءة: ١١١

يرفض أية عملية إكراه عقائدي (لا إكراه في الدين)<sup>(١)</sup>، كما يريد من الأئمة أن تكون من أولى الأيدي والأبصار، قوية بصرها وبصيرتها. وفي مجال التعامل مع الآخرين يأمر الإسلام بالدعوة البينة الواضحة قبل كل شيء. يقول القرآن الكريم:

(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بما تبيه هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)<sup>(٢)</sup>.  
(فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تشبع أهواهم)<sup>(٣)</sup>.  
(ومن أحسن قول من دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين)<sup>(٤)</sup>.  
(قل هذه سبلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركيين)<sup>(٥)</sup>.

وفي هذا يقول آية الله السيد الصدر في كتابه (اقتصادنا).  
«والامر الآخر: أن يبدأ الدعاة الاسلاميون - قبل كل شيء - بالإعلان عن رسالتهم الاسلامية، وإيصال معالمها الرئيسية، معززة بالحجج والبراهين، حتى إذا آتت للإسلام حجتها، ولم يبق للآخرين مجال للنقاش المنطقي السليم، وظلوا بالرغم من ذلك مصرفين على رفض النور، عند ذلك لا يوجد أمام الدعاة الاسلامية - بصفتها دعوة عالمية تتبنى المصالح الحقيقة للإنسانية - إلا أن تشق طريقها بالقوى المادية، بالجهاد المسلح»<sup>(٦)</sup>. وقد جاء في كتاب (الكافي) للمرحوم الكليني عن الصادق (عليه السلام) قوله: «وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): يعنی رسول الله (صلى الله عليه وآلله وسلم) إلى اليعن، فقال: يا علي لا تقاتلن أحدا حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله لن يهدى الله عز

(١) الفقرة: ٢٥٦.

(٢) العمل: ١٢٥.

(٣) الشورى: ١٥.

(٤) فصل: ٣٣.

(٥) يوسف: ١٠٨.

(٦) ص ٢٧٥ ج ١.

وجل على يديك رجالاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغابت، ولنك ولازه يا  
عليٰ<sup>(١)</sup>».

إنه أسلوب القرآن قبل كل شيء، الذي علمه الله سبحانه لموسى وهارون عليه  
السلام: (اذها إلى فرعون إله طغي. قولا له قوله ليناً لعله يتذكر أو يخشى)<sup>(٢)</sup>.

إبها الدعوة - حتى عند مواجهة الطاغية - عسى أن يهتدوا إلى الحق.

وها نحن نجد الرسول العظيم يكرر عبارة: (أدعوك بداعية الإسلام) في رسالته إلى  
كرى أنسيروان، وقيصر امبراطور الروم، تطبيقاً لهذا التعليم الإسلامي السامي. وهكذا  
راح الدعوة يبتون الدُّعَوة إلى الأقطار. وقد ذكرت أسماء بعض الدعاة الأوائل الذين  
أرسلا ل لتحقيق واجب الدعوة إلى الله، ومنهم:

- عبد الله بن حذافة السهمي : مبعوث الرسول إلى إيران.

- حاطب بن أبي بلتعة : مبعوث الرسول إلى مصر لدعوة المقوس.

- دحية الكلبي : مبعوث الرسول إلى روما.

- عمرو بن أمية : مبعوث الرسول إلى اليمامة.

- حرملة بن زيد : مع وفد معه إلى مدينة (أيلة) الواقعة على ساحل البحر الأحمر.

- المهاجر بن أبي أمية : مبعوث الرسول إلى همدان.

- علي بن أبي طالب عليه السلام : مبعونه الثاني إلى هذه المدينة.

- حذيفة بن اليمان : مبعوث الرسول إلى الهند.

- عبد الله بن عوسجة : مبعوث الرسول إلى قبيلة حارثة بن قريظ.

- جرير بن عبد الله البجلي : مبعوث الرسول إلى قبائل ذي الكلاع الحميري.

... وغيرهم من حل مهمة الدعوة إلى الشعوب.

وإذا أردنا أن نجد التطبيقات السياسية لهذا الأصل في التعامل الدولي، أمكننا أن  
نلحظها في الوفود والبعثات السياسية المرسلة من هنا إلى هناك، وفي أساليب توضيح

(١) الكافي (الكلبي) ج. ٥، ص. ٢٨.

(٢) ط: ٤٣ و ٤٤.

الحقيقة عبر الوسائل السمعية والبصرية، وفي مذكرات الإيضاح الموجهة، والمذكرات التفسيرية المقدمة إلى المؤتمرات الدولية.

وما تتميز به العلاقات الدولية الإسلامية: إنها تنظر لعملية التوعية والإيضاح - كرسالة إلهية ومبدأ ضروري - يجب الالتزام به لأن يتم اعتماد هذه السياسة التوضيحية، باعتبارها مناورة سياسية، فإذا لزم الأمر، قلبت الحقائق وتغيرت الموازين.

### **الهدف الرئيس والأهداف المرحلية للإعلام الإسلامي**

المَدْفُ الرَّئِيسُ - بكل اختصار - هو تعبيد الأرض شَهْ تعالى، وإيجاد المجتمع المؤمن العابد الحق خلافة الله في الأرض. وإذا وجد مثل هذا المجتمع، فإنه سيكون الأمة الوسط التي تطمع الأمم للوصول إلى مسواها، والأمة الشاهدة على البشرية جماء، باعتبار ما لها من علو حضاري، نفسي ومادي، وحيثـنـذـ سيكون الدين كله الله، ويتحقق هـدـفـ الخـلـقـةـ الإـسـلـانـيـةـ: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّـاـنـ وَالإـنـسـاـنـ إـلـاـ يـعـبـدـونـ) <sup>(١)</sup>.

ويجب أن تصب كل التشريعات والسلوكيات والأقوال والأفعال وتسمّر كل الأحداث بهذا المَدْفُ الكبير الكبير، و تسترخص الغواي لتحقيقه. إنه عظيم ترخيص في قباله دماء الأنبياء والطاهرين، وجهود الصالحين عبر التاريخ.

إلا أن هناك أهدافاً مرحلية (تنتهي إلى ذلك المَدْفُ الكبير) يعمل الإعلام الإسلامي على الوصول إليها بشتى الوسائل الممكنة، فما هي؟

نستطيع أن نذكر أهم هذه الأهداف المرحلية في النقاط التالية:

الأولى: ترشيد إنسانية الإنسان: ذلك أن للإنسانية خصائص ومعالم إذا رشدت وغيت ضمنت للإنسان مسيرة متوازنة. أما إذا تلاشت من على سطح الوجود الإنساني، فحيثـنـذـ يكون الفسق عن السبيل القويم، وحيثـنـذـ تكون المسيرة المكبة على وجهها، وعندهـنـذـ يتوقع الاجرام كله، وهذه المعالم باختصار هي: (العقل السليم، والإرادة الحسنة، والخلقية الفطرية، والدّوافع النضبطة)، وإذا لم نكن هنا بصدّ عرض البرنامج الإسلامي،

الواسع الأبعاد، لترشيد هذه الجوانب فإنَّ من الطبيعي الإشارة إلى بعض مكوناته حينما تتحدث عن الأساليب الإعلامية.

الثانية: التوعية بالإسلام عقيدة ومفاهيم وتشريعًا، باعتباره السبيل الوحيد للوصول إلى ذلك الهدف الكبير، وكلما تعمق وعي الأفراد بهذه الرسالة، وطروحاتها وخططها وحلوها للمشاكل الإنسانية، واتضحت معالم الفرق بينها وبين المبادئ الوضعية وبانت خصائصها الرئيسية، استطاع المجتمع المسلم أن يخوض على طريق الهدف الكبير خطى أسرع وأثبت في نفس الوقت.

الثالثة: التوعية بكل ما يحيط بالأمة من أحداث وظواهر ومؤامرات وتفاعلات لها كلَّها أثرها على تعين المواقف المبدئية والمتحركة.

الرابعة: إيجاد الأرضية الصالحة لتطبيق الإسلام، في كلِّ الأرض الإسلامية، وبالتالي في شتَّي أنحاء العالم، ويشمل هذا الجانب أموراً تتحدث عنها في الأساليب التفصيلية.

الخامسة: تحقيق معالم الفرد المسلم والأمة المسلمة.

### العدة المطلوبة والأسلوب الأمثل

أما العدة المطلوبة للإعلام الإسلامي العامل على النهوض والمقاومة فيمكن تلخيصها بما يلي:

الأول: القدرة العلمية والثقافية إلى الحد المستوِّب لكلَّ جوانب الإسلام وأهدافه العامة. فليس من المعقول أن يطلب من الإعلام تحقيق الأهداف السالفَة الذكر دون أن يكون مزوًّداً بعُقل هذه القدرة، ويعكَّرنا أن نزَّدَ الكثير من نقاط الضعف الإعلامية إلى افتقارها، وتواجه الطحية في النهم.

الثاني: الاستيعاب اللازم للفهم الاجتماعي العام، ومعرفة التحرُّك العالمي السياسي والاجتماعي وأساليبه ومحاروه، وتوفُّر الخبراء المأذفين والمحققين بكلِّ جدارة.

الثالث: معرفة أساليب العرض، أو ما يمكن أن يُطلق عليه بفن الإعلام المناسب، وهو بالضبط ما كان قدماًًونا يطلقون عليه اسم: (معرفة حال المخاطب)، فيجب أن تُعرَّفَ من

نخاطب، وكيف نخاطب، وأنى يتم ذلك، وهذا هو مضمون التحلّي بالحكمة في مجال الدعوة إلى الله.

الرابع: الإياع العميق الوعي بالإسلام وأهدافه الكبرى، وتأصّل ذلك في نفوس الإعلاميين إلى الحد الذي يحملهم على التضحية بكل غال ورخيص في سبيل بلوغ المدّ السامي.

الخامس: التخلّص من كلّ تبعية، أو ضيق أفق، أو مصلحة شخصية، والتجرّد من كلّ ذلك لصالح الحقيقة.

والواقع أنّا نعتقد أنه يمكن في هذه النقطة أحد أهم شروط النهضة الإعلامية، وأنّ إعلامنا الإسلامي اليوم مبني في الكثير من مقولاته بالتبعية للحكومات المسلطة على شعوبها بال الحديد والنار، فهو لا يعدو أن يكون دمية تحرك بإرادة الحاكم الفرم، وباتجاه تحقيق مصالحة. وإنّا فمادا نسمّي إعلاماً ينتمي للإسلام وهو يسكت عن كلّ اغتراب الخيانة الأخلاقية، أو الخيانة الاقتصادية، أو الأخراف السياسي والعملية المفضوحة، أو الإسلام للعدو الصهيوني الفاشي، أو يردد نفس تهم الاستكبار العالمي ضدّ أبطال المقاومة الإسلامية، أو يدعو للتستر على الجرائم. وربما بلغ من النذالة إلى الحد الذي يعلن فيه أنّ فكرة الحكم الإسلامي فكرة لا إسلامية! لا لشيء إلا لرضي الحكم المسلط على رقاب الشعب، وإليارك قبضة الجلاد التي تشدد المحنّاك على رقبة الجيل المسلم المتوب. أو قد يبلغ بهم الأمر إلى مهاجمة الأنبياء كداود وسليمان عليهم السلام لأغراض قومية وما إلى ذلك. أو ربما اتجهوا إلى التأكيد على اللغات غير العربية مع إهانة العربية نفسها أو المحلية العامية تنفيذاً للمأرب الاستعمارية.

السادس: ملاحظة الأرضية الإياعية المتوفّرة في أوساط الأمة الإسلامية، فإنّها خير مساعد وعده على انطلاق الإعلامي في مجاله المناسب، وتتجلى لنا أهمية هذا النصر حينما ندرك أنه بنفسه شكّل سداً مقاومة الرئيس أمام الهجوم الإعلامي الغريب حيث تخلّى عن الساحة حتى أولياؤهم الفكريون والسياسيون.

السابع: التمتع بالخصائص القرآنية الإعلامية: وهذه الخصائص واسعة الأبعاد قد لا

يمكن الاحاطة بها إلا من خلال دراسة تجريبية عميقة، ومن هنا فإننا نكتفي بالإشارة لبعضها بما يتناسب وحجم هذا الحديث، وما نذكره منها يتلخص فيما يلي:

أولاً: استحضار النظرة الغبية إلى جانب المسايب المادية، وذلك في كل تحليل أو توقع مستقبلني والابتعاد عن النظرة المادية الحسائية الجافة فإنَّ التصورات القرآنية المعلنة تؤكد كون المسيرة المشجعة مع العدل تتسم معها القوى الطبيعية القائمة في خلقها على الأساس نفسه، في حين لا يتوفّر الانسجام المطلوب مع الانحراف، وهو ما تلخصه الآيات الكريمة التالية:

(فَاكْفُرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رِبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ) <sup>(١)</sup>.

(اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَمْدُدُكُمْ بِاِمْوَالٍ وَيَبْنِنَ  
وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا) <sup>(٢)</sup>.

ويشمل ذلك كلَّ النظارات الإسلامية في التاريخ والحياة والإنسان، ومن ذلك ما قلناه من الترابط بين أجزاء التركيبة الإنسانية.

ثانياً: الموضوعية والاتصال بروح التجربة للحقيقة - أيًّا كانت - وحتى لو خالفت مصلحة شخصية، أو استدعت التضحية الفالية. ويبالغ القرآن في تحقيق الروح الموضوعية، وعدم النظر إلى الواقع الموضوعي من خلال رؤية مسبقة إلى المد الذي يدعو فيه الخصم إلى افتراض نقطة الصفر في الموار، وعدم الإيمان بشيء، والانطلاق منها إلى الحقيقة الموضوعية فيقول مخاطباً الكفار: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) <sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: المدفأة في كل خطوة، ذلك أنَّ المدفأة لا تتفق مطلقاً مع الموضوعية في التصور الإسلامي؛ لأنَّ المؤمن مطمئن تمام الاطمئنان أنَّ الحقيقة الموضوعية - مهما كانت - تشكّل آية من آيات الله تعالى وهدى إليه سبحانه.

(١) الفجر: ١٢ - ١٣

(٢) نوح: ١٠ - ١٢

(٣) سبا: ٢٤

وإذا انعكست الهدفية على حياة الداعية العامل، صرف النظر عن كل أنماط اللهو السخيف، والتضييع الوقتي فيما لا طائل تمنه - وبالتالي لا تجد في غاذجنا الإعلامية ما يهدى هذا الوقت الشعين.

إثنا نلحظ الهدفية القرآنية في كل قصة، وفي كل مثل، وفي كل عبارة. ففي كل موضوع عبرة، ومع كل حديث اعتبار، وكل شيء يعبر عن مادة للدراسة وخدمة المدف من خالها:

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِزَّةٌ لَا وُلِيَ الْأَلَابِ...<sup>(١)</sup>)

ويكفي أن نتابع أية قصة قرآنية لنكتشف الهدفية التي تتجلى أروع تجل. رابعاً: التنسيق والانسجام بين كل المخطوطات والجوانب وذلك انعكاساً للتنسيق القرآني، فإن الصورة المشعبة تسودها روح واحدة. وهذه الخاصية نتيجة للخصائص السابقة، وخصوصاً الهدفية، بعد افتراض وحدة المدف وشموله كل جوانب التصور، وأي اختلال فيها يعني الانقلاب على المدف.

(كَبَرَ مَقْتُنًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ<sup>(٢)</sup>)

في حين تتضاعف السرعة إلى المدف عند التاسق (...إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الطَّيْبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...<sup>(٣)</sup>). وإذا لاحظنا ضرورة هذه الخاصية للتأثير المطلوب أدركنا سرّ ضياع الكثير من الأفكار الصحيحة المطروحة في إعلامنا - اليوم - لأنها تكذبها الأعمال والأطر المغافقة والمساوية، والأقوال الأخرى من صاحب الفكرة نفسه. خامساً: الواقعية والتفاعل المستمر مع الأحداث الاجتماعية. وعدم الغرق في تصورات طوبائية، وهذا من خصائص القرآن الكريم. إنه بالرغم من كونه دستوراً عاماً لكل المسيرة البشرية، ينسجم مع ما يبدوا من ظواهر ويعالجها على ضوء تلك التصورات العامة الأصلية: (أَذْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرُكُمَا...<sup>(٤)</sup>).

(١) يوسف: ١١١.

(٢) الصاف: ٣.

(٣) فاطر: ٨٠.

(٤) الجادلة: ١.

(وَإِذْ يَعْدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنْهَا لَكُمْ وَتَوَدُونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعِقِّبَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) <sup>(١)</sup>.

وبينفي هنا أن نذكر بأننا نقصد بالواقعيه هنا: ملاحظة الواقع والعمل على تطويره إلى المفروض، لا ما يbedo أحياناً من تفسيرات تتجه بالواقعيه إلى عملية الاذعان للواقع، والتلوّن وفق متطلباته اذعناناً واستسلاماً له. والواقعيه تتطلب أن تطرح الأساليب البديلة الصحيحة عند العمل لاصلاح ظاهرة منحرفة، وذلك نظير ما نلحظه في الآية الكريمه على لسان لوط عليه السلام: (...هُؤُلَاءِ بَنَانِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ...) <sup>(٢)</sup>.

وما نجده في تعبير الإمام علي - عليه السلام - حين يعلم على محـو التصبـ القبلي المقـيتـ، يـطـرح التصبـ لـكـارـمـ الخـلـاقـ حينـ يقولـ:

«وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مَرْفَةِ الْأَمْمِ، فَتَعْصِبُوا لِآتَارِ مَوْعِدِ النَّعْمِ فَقَالُوا: (نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعْذِبِنِ) فَإِنْ كَانَ لَابْدُ مِنِ الْعَصِيَّةِ فَلِكَيْنَ تَعْصِبُكُمْ لِكَارِمِ الْخَصَالِ، وَحَمَدِ الْأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ الْأَمْرُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَّاهُ وَالْتَّجَدَّاهُ مِنْ بَيْوتَاتِ الْعَرَبِ، وَيَعَسِّبُ الْقَبَائِلَ ...) <sup>(٣)</sup>.

سادساً: المنطقية في العرض والابتعاد عن السطحية، إنَّ القرآن يربّي المسلم على التأمل والبرهنة والتعقل واستقراء الأدلة القوية ومن ثمَّ اصدار الحكم.

(قُلْ هَاتُوا بِرُهَائِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) <sup>(٤)</sup>.

أما الاتهامات الواهية، أو حتى التوقعات التي لا تمتلك دليلاً من الواقع، وطرح الآراء ونسبتها إلى الإسلام فهو الإنحراف الكبير (...قُلْ أَللَّهُ أَذْنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَقْرُنُونَ) <sup>(٥)</sup>.

(١) الأنفال: ٧.

(٢) هود: ٧٨.

(٣) سجـ الـلـاغـةـ .٢٩٥.

(٤) البقرة: ١١١.

(٥) يونس: ٥٩.

ومن هنا يتخلص الاعلام الإسلامي من ركام المقالات والتحليلات الواهية، التي ترك أثراً سلبياً على الأفكار، وتلقي ببعضها على كواهل هؤلاء الكتاب والمحللين. ولا يستطيع هنا تحديد المساحة التي يجب أن تمحى من الاعلام المتداول في مناطقنا الإسلامية - حين تطبق هذا الشرط - إلا أنني متأنٍ من لزوم حذف المساحة الكبيرة مما ينشر الآن بلا ريب.

سابعاً: التفاعل الوجدي الحراري العاطفي مع المهد وحمل هم الرسالة للعمل على زرع الحماس الإسلامي للقضية الإسلامية من خلال ذلك. إن كلام الداعية يجب أن يكشف للسامعين عن تأله لقضيته وحماسه لأهدافه، وخشوعه أمام ربه وكلماته العليا وتفاعلاته معها، وهو أمر يربّيه القرآن في نفوس اتباعه.

(...كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَتَانِي تَكُشُّرَ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ...).<sup>(١)</sup>  
 (الَّمَّا يَأْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَعْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا تَرْكَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُوْنُوا كَالَّذِينَ أَوْثَوْا الْجَنَابَ مِنْ قَبْلِ فُطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ قَسَّتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ).<sup>(٢)</sup>

ثامناً: الأخلاقية الإعلامية، وتعني بها الالتزام الكامل بالأخلاق الإسلامية في المجال الإعلامي، فلا يلقي القول على عواهنه، ولا تُشَاع الفاحشة، ولا يُتَهَمُ المؤمن، ولا يُبرَأُ على القضاء، ولا تُتَمَّيَ روح التحاسد والبغض والتحاقد، ولا تُستَخدَمُ الألفاظ التي تمجّها الأخلاقية الإسلامية. وإنما يعمل الإعلام الإسلامي على توفير البيئة الصالحة التي تفتح فيها الفطرة عن طاقاتها المبدعة، وبالتالي: تسير بالإنسان نحو أهدافه الأصلية. يقول القرآن الكريم واصفاً المؤمنين:

(١) الزمر: ٢٣.

(٢) الحمدः ١٦.

(وَعَبادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا وَإِذَا خَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا \*  
وَالَّذِينَ يَبْيَسُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَدًا وَقِيَاماً \* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرَفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ  
عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً \* إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقْرَأَةً وَمَقَاماً \* وَالَّذِينَ إِذَا أَنْقَوْا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ  
يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَواماً \* وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفَسَ  
الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْهُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَنَّا مَا \* يُضَاعِفُ لَهُ الْعَذَابُ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُذُ فِيهِ مُهَاجِراً \* إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ  
اللَّهُ سِيَّاتِهِمْ حَسَنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا \* وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يُشَوَّبُ  
إِلَيْهِ اللَّهِ مَتَابًا \* وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزَّورَ وَإِذَا مَرَوَا بِاللُّغُورِ مَرَوَا كَرَامًا \* وَالَّذِينَ إِذَا  
ذَكَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صُمًا وَعَمْيَانًا \* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ  
أَزْوَاجِنَا وَذَرْبَاتِنَا قُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَعِنِّينَ إِمامًا) <sup>(١)</sup>.

تاسعاً: توعي الأسلوب الإعلامية، وهو في الواقع - مقتضى تطبيق مبدأي الحكمة،  
والموعدة الحسنة، والحديث عن توع الأسلوب القرآنية بالذات حديث واسع، فالقرآن  
بأساليبه الرائعة استطاع أن يصوغ أمة هي في طبيعة البشر من شراذم متخلفة، كانت  
تعثر خلف المسيرة البشرية، ويكتفي هنا أن نشير - مثلاً - إلى روعة الاستفادة من  
أسلوب الجمل المترضة أو العبارات في الحديث لتحقيق المدف المطلوب، وتبدو لنا هذه  
الروعه إذا تأملنا كلمة (سبحانه) في الآية الشريفة: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ  
مَا يَشْتَهِنُونَ) <sup>(٢)</sup> والحديث هنا - كما قلنا - واسع الأبعاد.

عاشرأ: العالمية في الاهتمام، وذلك انطلاقاً من عالمية الإسلام نفسه، وسعيه لحل  
مشكلات الإنسانية جماعة، ومن هنا فإنَّ آية دراسة أو اهتمام محلي يجب أن تتم في هذا  
الإطار العالمي العام، وعلى ضوء ذلك يجب أن يهتم الإعلام الإسلامي بقضايا المظلومين  
والمحرومين والمستضعفين، ويفاعل معها بكل حرارة، في حين يقف أمام كلَّ حركة  
استكبارية يقوم بها الطغاة المجرمون.

(١) الفرقان: ٦٣ - ٧٤

(٢) النعل:

حادي عشر: رصد التحركات التآمرية للشياطين على وجود الأمة الإسلامية، والعمل على توعية الأمة بها بشكل دائم. إنها إذن المراقبة الدائمة في هذا المجال، والمراقبة: عمل جهادي يندب القرآن الأمة إليه، وإنه المذر الدائم (...إِنَّهُ يَرَكُمْ هُوَ وَقَبْلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ...)<sup>(١)</sup> وهي مهمة جسمية يجب أن ينهض بها الإعلام الإسلامي.

ثاني عشر: التأكيد على النقاط المشتركة الجامعة، ومن ثم الاتجاه لحل الخلافات في النقاط المختلف عليها، وهذا أحد أساليب الحكمة في الدعوة:  
 (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابَ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ يَبَثُّنَا وَيَنْبَثُّنَا إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُنَا بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَغَيَّرُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ<sup>(٢)</sup>).

وأخيراً فإنَّ ما أشرنا إليه من خصائص لا يستوعب حتى الجزء الأكبر من الخصائص الإعلامية للمعجزة الإعلامية (القرآن الكريم) وإنما ذكرنا ما يفتح الأبواب أمام دراسة موسعة في هذا المجال.

(١) الأعراف: ٢٧.

(٢) آل عمران: ٦٤.

(ب)

## عناصر الضعف في الإعلام الإسلامي

إذا رَكَّزْنا على نوعية الأهداف السامية التي أُلقيت على عاتق الإعلام الإسلامي وجدناها على النحو التالي:

أولاً: أن يقوم بتبليل رسالة الله إلى العالم، وتوضيح معالمها، وإبراز العناصر القادرة على سوق البشرية إلى كمالها المطلوب.

ثانياً: رفع المستوى الحضاري للأمة، بحيث يؤهلها لأن تكون الأمة الوسط، والأمة الشاهد، والأمة الطليعة.

ثالثاً: العمل على تجلية الفطرة في الأمة، وتعزيز الروح الإسلامية فيها، وبث الروح النشطة الأصلية التي حملها الإسلام إلى النفوس.

رابعاً: العمل على تحقيق الوحدة الإسلامية المنشودة على الصعيد السياسي والفكري والعاطفي، لتنهض بهام النهضة الإسلامية الكبرى التي أرادها الله للإنسانية، والتي تفجرت آنئذ ثم خدت جذورها، ثم عادت اليوم كأقوى ما تكون، إيماناً و عملاً في سبيل تطبيق حكم الله في الأرض.

خامساً: التصدي للمؤامرات الاستعمارية الكافرة ضد أمتنا الإسلامية وعقيدتها ونظمها السماوي، وفضح مخططاتها، والتبيه على عناصرها الخفية والظاهرة.

إذا رَكَّزْنا على هذا الجانب، وأدركنا إلى جنبه أننا نغلق قطعاً من دور الأنبياء عبر التاريخ بإبلاغ رسالة الله للعالمين، ولاحظنا من جانب ثالث مدى ما أعدَّنا من جزاء

- إما سلباً أو إيجاباً - نتيجة هذه المهمة الضخمة وخصوصاً إذا لاحظنا أنَّ هذا الجزء قد ينعكس لا على موقفنا يوم الحساب فحسب بل وحتى على موقفنا العالمي اليوم، فقد يتربَّ على عملنا انفاذ أمة وقد يجرنا إلى تضييع امتنا وأنفسنا بالتالي - نعم - إذا لاحظنا هذه الجوانب فستتضح لنا موارد التصور في اعلامنا الإسلامي، ونوعية العقبات التي تقف في وجه تحقيق المهمة الإعلامية الكبرى.

وهذا الضعف الإعلامي قد يكون - تارة - نتيجة تقصير مسبق، وأخرى لظروف خارجة عن إرادة المشرفين على الجانب الإعلامي وال媿جهين لسيرته.

ونستطيع هنا أن نلخص هذا الضعف أو نركِّز منه على عنصر عدم مواكبته للمسيرة الإسلامية العالمية. وسنرى من خلال تبيين نقاط الضعف أنَّ هذا الجانب هو الداء العضال لعلامتنا. إنه إعلامٌ مختلف، بطيء، نفعي، متزاول، موضعٍ لا يهتم بالكلِّ الإسلامي، ومادي. وأقصد من قولي إنه مادي: أنه يهمل صفة الإسلام وارتباطه الرباني، وينسى أنَّ المسلم يؤمن بوجود ترابط حتمي بين النتائج المادية والمقدمات المعنوية، كالترابط بين استفخار أمة وشيوخ الرخاء المادي فيها، وظلم أمة أخرى، وانهزامها، وتدميرها الحتمي نتيجة إرادة الله وسته.

قال تعالى: (وَأَنْ لَوْ أَسْتَقْأَمُوا عَلَى الظَّرِيقَةِ لَا سَقَنَا هُمْ مَاءً غَدَقَا<sup>(١)</sup>).

(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رِبَّهُمْ لَا كُلُّوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَعْتَذَرَ أَرْجُلَهُمْ<sup>(٢)</sup>).

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْيَ آمَنُوا وَأَتَوْا لَنَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوَا فَأَخْذَنَا هُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ<sup>(٣)</sup>).

(١) الجن: ١٦.

(٢) المائدَة: ٦٦.

(٣) الأعراف: ٩٦.

وعلى نفس هذا الفرار ورد الوعد الإلهي القرآني الرائع: (وَتَرِيدُ أَنْ تُمْنَأَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَتَجْعَلَهُمْ أُولَارِثِينَ<sup>(١)</sup>)."

إنَّ إعلامنا يكاد ينسى كلَّ هذا وينطلق ضعيفاً متخاذلاً أمام إعلام الاستكبار العالمي، وربما وجد نفسه في النهاية في فخ الاستعمار، فراح يتبع عمله وكأنَّ شيئاً لم يحدث، إما استسلاماً وإما انتهازاً وإما غير ذلك.

والقصير المبيق هذا يمكن أن يُنْسَب إلى شخص بعينه، كما يمكن أن يُنْسَب لمجهة بعينها، ولكن أكبر التقصيرات من هؤلاء الذين سلمتهم الظروف - وأربأ بالآلة أن تكون هي التي سلمتهم - مهمة الإعلام الإسلامي العالمي بشكل رسمي، كما يمكن أن يقال: إنَّ ذنب أولئك الذين كان من المفروض بهم أن يعذوا الإعلام بالوعي لا يقل مطلقاً عن ذنب الفئات السابقة بل يربو عليه.

وموارد الضعف الإعلامي ترجع في الغالب إلى عدم التخطيط الواعي والشامل، والاهماز، ويمكن أن نلخصها كالتالي:

أولاً: الفردية وضيق الأفق عند المستقلين والتبعية والعمالة - غالباً - عند المرتبطين بمحكمائهم أو بالجهات المولدة لهم.

فإذا لاحظنا الإعلام الإسلامي القائم اليوم وجدناه إما نتيجة جهد فردي ضيق الأفق، أو ضيق التمويل، أو ضيق القدرة على التعبير، ضيق المصادر الفكرية والخبرية والسياسية، وإنما يقوم على أساس تحُّس فردي خاص بالدعوة وضرورتها ولزوم ابلاغ صوت الإسلام إلى العالم ومثل هذا الإعلام مبني ب نقاط ضعفه الكثيرة، ويظلّ يعيَّر عن وجهة نظر ضيقة قد لا تتجاوز رأي الشخص المسؤول عنه تجاه القضايا العامة

دون أي تخطيط أو تشاور أو تعبير صحيح عن شعور إسلامي عام. وهذا يؤدي - باحتمال كبير - إلى خطأ في تقدير الموقف نتيجة الجهل بعناصره المكونة مما يوقع الجماهير الإسلامية والمعاطفة في حيرة من أمرها وتناقض في تصورها. وأعود فأؤكد أنَّ مسألة الإعلام ليست مسألة شخصية أو موضعية ضيقة أو حكراً على فرد خاص، إنما مسألة الأمة والرسالة فيجب أن لا نستهين بها إلى هذا الحد.

هذا في الإعلام الفردي. أما في الإعلام الرسمي فإنَّ القلب يكاد ينفرط له دماً تماماً كما ينفرط عندما يتذكر أنَّ بعض مقدرات هذه الأمة - على الصعيد السياسي والاجتماعي - سُلِّمت لأناس أقل ما يقال عنهم أنهم ليسوا بمستوى المسؤولية، أنساب استمرأوا حياة الذل وراحوا يكرعون من آنية العدو الكافر، ويردون موارد الفكر المادي الهزيل، والتعمّد المادي القاتل الجاف، ويتسكعون على الموائد الاستعمارية، ويترضون أنبيابها القاطعة ووحشيتها الكاسرة، وينضمون إما إلى معسكر شرقي أو معسكر غربي، وكلما المعكرين مما أمرنا ديننا وشرعيتنا ووجودنا وشرفنا حتى مصلحتنا الحقيقة أن نبتعد عنهما، ونشي على صراط مستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم لا صراط المضطوب عليهم ولا الضالين.

فلا قيمة للرسالة لديهم إلا بقدر ما تحقق لهم من مصالح، ولا تقييم لرأي الشعب إلا بقدر ما يُمكّنه من المطالبة بوجود المحاسب.

ومن هنا نعرف حال الإعلام الإسلامي، إنه إعلام تابع - شعر أم لم يشعر - للمصالح الشخصية. إنَّ مثل هذا الإعلام تحصر وظيفته في تغريب عملية التخدير المطلوبة، وبث روح الجفاف والكسل في أبناء أمّة، وتحويل أنظارهم عن مسيرة النهضة الإسلامية الصاعدة، وعرض الإسلام من وجهة نظر الجهة التي تحمي وتعوله، وتحليل القضايا العامة تحليلاً يناسب للإسلام ظاهراً ويقوم واقعاً لتحقيق مصالح الجهة المصدرة له.

إنَّ مثل هذا الإعلام في الواقع يفقد تأثيره بعد وقت قصير لدى جماهير النهضة

الإسلامية؛ لأنَّ سرعان ما يتكشف زيفه، ويتحول في نظر جاهير الأمة إلى إعلام مكرر مزيف مخدر لا قيمة له، تستمع إليه الأمة المغلوبة على أمرها مستهينة به.

إنَّ الأمة ستنظر إليه على أساس كونه جزءاً من المخطط الاستعماري الكافر، وهذا بالضبط ما حدث لشعبنا الإيراني المسلم وهو يتبع الإعلام الذي انتسب إلى الإسلام في عهد الشاه المقبور. لقد كانت الكلمة هناك تفعل فعلها المعكوس في الشعب، ولقد كان مجرد التعامل معه جريمة لا تغفر لدى شعبنا المغلوب آنذاك، في حين راح يعيش بكل وجوده مع الإعلام الإسلامي الذي ينطق اليوم من أعماقه، ويحمل رسالة الإسلام الصافية إلى العالم.

أما علاج هذه الحالة فهو ما أودُّ التركيز عليه.

ثانياً: التفكك المقيت بين أوجه الإعلام فكريأً وعمليأً.

إعلامنا الإسلامي لا يساير مشاعر أمتنا ولا يعيش مشاكلها، بل هو عن كل ذلك غريب غارق في مشاكل مختربعة من قبله، وكأنَّه يريد أن يصدق قول القائل (ما الله له وما لا يقدر لغيره)! وإلا فتى رأينا إعلامنا هذا - اللهم إلا القليل - يتصدى للخطط الاستعمارية الكبرى فيقتدها. ومتي رأينا يثير الروح النشطة في الأمة لكي تقف بصلابة أمام من امتهنوا وجودها وسلبوها حقها المفترض. ومتي رأينا يبحث مدى انتباط واقع حياتنا الاجتماعية السياسية المعاصرة مع القرآن؟ ولو كان فعل لما ابتلينا بهذه الحالة المخزية، ولما فقد هو مركزه الموجه لدى الجماهير.

إنَّ من مظاهر التفكك أن لا تتناسب الحلول مع المشاكل، أو يتم التركيز على جانب في حين يُهمل الجانب الآخر، وهو أكثر أهمية منه، ويتم الانشغال بأمور تافهة وترك المسائل المصيرية.

ثالثاً: التخلف عن التخطيط الإعلامي للإسلام نفسه.

إنَّ المتبع لتشريعات الإسلام والملاحظ لأهدافها يجد كون الإسلام اهتمَّ بهذا الجانب

أياماً اهتمام، لكي يوجد التلامم بين تلقّي العلم واعطائه أولاً، وبين كلَّ أفراد الأمة وقضایاها الكبرى ثانياً، ولكن يبعث الحرارة باستمرار في أوصالها، فلا تبعد عن هدف سام أو تقاعس أو تسى. فهناك تشريعات لها جانب إعلامي ضخم، كتشريع صلاة الجمعة، والعيدين، والحج نفسه، وتشريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الإسلام وغيرها ولكننا نجد الإعلام الإسلامي متخلقاً عن كلِّ ذلك.

بعض صلوات الجمعة عادت تحوي خطباً مكتوبة مقررة من الأعلى، وعاد أنتمتها موظفين حكوميين يقرؤون ما يُكتب لهم، لا يملكون أن يضيفوا من عندهم كلمة واحدة، فهل لكم أن تحدّنوا عن أهدافها؟ وهل هي كما ألتُ إليها هذه الصلاة العظيمة في إيران. إنَّ صلاة الجمعة في إيران - مثلاً - تقوم بأعظم الأدوار الإعلامية الإسلامية، إذ يتولّها المسؤولون المتدربون، ويطرحون فيها مشاكل الأمة وبناقشون بصراحة كلَّ شيء، لا يخافون فيها أحداً إلاَّ الله تعالى، ولذا تجد صلاة الجمعة في طهران - مثلاً - قد يحضرها مئات الآلاف أحياناً نظراً لمعطياتها الكبرى.

أما العيدان فقد تحولا إلى يومي تهاني رسمية، وفرح وجذوة باهته، وربما غطت عليها الأعياد الرسمية والوطنية وأمثالها، بل إنّا نلحظ - للأسف الشديد - أنَّ وسائل الإعلام المرئية والمسموعة في الكثير من الدول الإسلامية تكشف - فيما - من البرامج التي تساعد على ترسيخ وإشاعة ظاهرة التحلل الاجتماعي والمجون، وتصور للمستمع والشاهد القلم قد رفع عنه في هاتين المناسبتين، فتعرّف فلسفة وعلل الابتهاج - بخلوهما - ليتحول من ابتهاج عبادي يعمق الارتباط باقه شعوراً وأسلوباً، إلى ابتهاج ماجن يعبر عن سطحية وتحلل.

أما الحج فقد حُوّل إلى مجرد شعائر باهته جامدة جافة، ودعوات شخصية، وطقوس ميتة، ورفعت فيه الشعارات غير الإسلامية عليناً وأنَّ السياسة يجب أن لا تختلط بالحج! أفلهذا دعا الإسلام أهل الأرض لأنْ يُرسلوا وفودهم إلى بيت الله وفي ضياقته؟! لم يكن

من الممكن أن تخرب طقوس مشابهة في مختلف البلدان؟ إنَّ المحجَّ عملية عبادية سياسية اجتماعية، ومن الإجرام أن تُفقد روحها الكبri، هل فكرنا في جميع المسلمين هناك وطرح مشاكلهم السياسية والاقتصادية وتعيين حلولها؟ أم ترانا نخاف أن تتكلم الشعوب الإسلامية؟ وهكذا قل عن باقي التشريعات الإسلامية الأخرى.

رابعاً: عدم الاستفادة الإعلامية من الخدمات الاجتماعية، فإنَّ هناك بعض أغطاث الخدمات الاجتماعية التي تقوم بها الدول التي تحكم البلدان الإسلامية، ولكنها كلَّها تقدم باسم رئيس الدولة ولأغراض سياسية بحتة، في حين كان الأولى بها أن تقدم للشعوب باسم الإسلام، خصوصاً وأنَّها ملك له وشرعه لا هؤلام. فإذا أمكن أن نؤمن هذا الأمرَ استطعنا أن نوفر جواً عاطفياً جيلاً بين المسلمين، ونشدُّهم إلى إسلامهم، واستطعنا أن ندعو غيرنا إلى حياتنا هذه.

وهناك مساوىٌ ونواقص أخرى لابدَ من الإشارة إليها: منها: إهمال بعض المقول الإعلامية أو التقليل من شأنها كحفل المرأة المسلمة، والطفل المسلم، والشاب المسلم، والعامل وأمثال ذلك، فلا نجد إعلاماً قد وفَّها أدنى حقها.

ومنها: انزالت ذوي الطاقات الفكرية الأصلية عن المجال الإعلامي، وهذا الأمر مغزىً دقيق مهم.

ومنها: أيضاً عدم تنويع الأساليب.

ومنها: الإهمال المقيت للفلم السينمائي والمسرح والتلفزة وغيرها مما يجسم المعنى أمام المشاهدين.

كلَّ هنا، والعدو الكافر يملك إمكانات إعلامية ضخمة وعناصر متدرية ومتخصصة، ويحتلَّ كلَّ رقعة من أراضي المسلميناحتلالاً إعلامياً، ممهداً للاحتلال الاستعماري (وإن

كان ذلك بالنحو الامبريالي الجديد) بما فيه الاحتلال الفكري والنفسى وحتى العسكرى. فهل أدركنا هذه النقاط المائلة من الضعف؟ وهل عملنا على تلافيها؟! إننى أؤكد كون الإسلام سيظل يستمر في وجود هذه الأمة، وسيظل ينتشر في المجتمع البشري كلّه، حتى لو لم نكن نحن بمستوى مسؤولياتنا الكبرى، ولكننا لو أصلحنا أنفسنا الإصلاح اللازم استطعنا أن نساعد في دفع عجلة مسيرته، وأن نقدم لسيرته خدمات جلّى، وأن نقرب اليوم الموعود يوم تطهر الأرض من كلّ الطواغيت وأذنابهم وعملائهم ونظمهم وأخلاقهم، يوم تطبق شرعة الله الصافية الأصيلة على الأرض كلّ الأرض.

وللارتفاع بمستوى الإعلام الإسلامي نسجل هنا بعض الاقتراحات:

#### **الاقتراح الأول:**

- تشكيل مجمع إعلامي باسم - مجمع الإعلام الإسلامي - مهمته:
- أ - القيام بإيصال المفاهيم الإسلامية الأصيلة في مختلف المجالات القائمة والتنظيمية إلى أوسع قطاع في الأمة، وبأفضل أسلوب.
  - ب - المساعدة العملية في التجربة الاجتماعية التي يقودها الإسلام لبناء أمة إسلامية متماسكة ذات شخصية متميزة المعالم.
  - ج - قول الحق أمام كلّ الطواغيت وأذنابهم، وعرض الواقع بكلّ صراحة أمام الأمة.
  - د - حمل الإسلام إلى العالم، وذلك عبر الإشراف الكامل على محمل النشاط الإسلامي بأوجهه المختلفة، وتمويل وسائل الإعلام المختلفة بالفكر الأصيل على مختلف الصعد.

على أن يتم تشكيل هذا المجمع من علماء إسلاميين معروفين بغيرتهم على الإسلام، واستقلالهم في آرائهم، وتكون له فروع في كلّ قطر إسلامي تُثْلِّ مواصفاته وتعكس مواقفه وتؤدي وظائفه.

**الاقتراح الثاني:**

الاتصال المستمر بين العلماء والشخصيات الإسلامية لئلا يقعوا فريسة للتضليل الدعائي والتعمويه الإعلامي المعادي.

**الاقتراح الثالث:**

المبادرة إلى تشكيل لجنة باسم (هيئة الخدمات الاجتماعية الإسلامية) تكون مهمتها توزيع الخدمات باسم الإسلام بدلاً عن تقديمها باسم هذا الرئيس أو ذاك الملك.

**الاقتراح الرابع:**

العمل والتخطيط لرفع المستوى السياسي والثقافي والإعلامي لدى أبناء الأمة الإسلامية عبر الوسائل المتاحة، ومنها إقامة الندوات المفتوحة الحرة كما أنَّ من أهمَّها إذاعة جلسات مجالس الشورى والبرلمانات مباشرة على الهواء لكي تعيش الأمة قضياتها.

**الاقتراح الخامس:**

دعوة جميع الحكومات القائمة في البلدان الإسلامية للعمل الخفيث الدؤوب على منع وإزالة المظاهر الطاغوتية كالترف وأمثاله ومظاهر العضارة المادية والانحراف الأخلاقي، ومنع إصدار وتوزيع مجلات الخلاعة والبنس المفروم، ومجلات الفكر العلماني الخفيث.

**الاقتراح السادس:**

دعوة جميع أنشطة الإعلام الإسلامي إلى التأكيد على قضايا المستضعفين في الأرض وحمل لواء الدفاع عنهم استجابة لرؤية الإسلام.

**الاقتراح السابع:**

ابدأع أسلوب الإذاعات الموجهة نحو الشعوب الإسلامية التي ترزخ تحت نير  
الخلافات والنزاعات المنافية لتعاليم الإسلام.

(جـ)

## النقد الذاتي لحركة المفكرين الإسلاميين اليوم

تحتفل النّفوس من حيث الموضعية وسعة الأفق إلى حد كبير، فيين من لا يأبه لأىّ قد شخصي مهما كان حاداً عنيناً، وبين من تجرّه كلمة ناقدة مهما كانت موضوعية بناءة، إلا أنَّ نقد الحركة والاتجاه الفكري أمر طبيعي، وكثيراً ما يدعو الأفراد للتأمّل وإعادة النظر دون أن يصحب ذلك تاجُّ حماسي بليد، أو عاطفة جريحة ضاربة تسدّ السبل على التفكير الهايدي.. وتلك هي سورة القصّب الطافح عن حده. وما خواوله هنا هو تحريك حسِّ النقد الذاتي لسيرة الفكر الإسلامي السائد اليوم في عالمنا الإسلامي المعاصر، والذي يطالعنا بشكل كتاب، أو مقال، أو محاضرة تطرح منفردة أو تتضمّن إلى مجموعة تطلق عليها عنوان ندوة أو مؤتمر فكري.

على أنَّ منهاجنا في هذا البحث لا يتوجّه بالإشارة الصريحة إلى الرموز الفكرية التي تطالعنا أسماؤها في هذه الصحيفة الإسلامية أو تلك، وإنما يطرح بعض الأمراض والتناقض التي لا يشك أحد في ماهيتها المرضية، ثم يترك للقارئ الكريم أن يطبق بنفسه فيكشف المصاديق، إن وُجدت، أو بالأحرى يترك للمفكر نفسه أن يتجرّد من دوافعه الذاتية - والمفترض أنه يعمل مخلصاً في سبيل اعلاه كلمة الله - فينظر هل تمسَّه لفحة من هذا اللهيّب، أو تدنس ثوبه لونه من هذا القاتم؟

و قبل أن نطرح بعض هذه الأنماط المرضية نركّز على حقيقتين موضوعيتين هما:

أولاً: وجود بعض المفكّرين الوعيين الذين منحهم الله تعالى القدرة على التحليق الفكري المفرد، والاخلاص له - جل شأنه - الأمر الذي جبّهم الوقوع في المزالق، وجعلهم في مهبط الهدى الإلهي.

ثانياً: توقع التغيير الشامل للحركة الفكرية الإسلامية، وانسجامها بالتالي مع التغيير الشامل الذي يسري كالعافية الإلهية إلى أوصال عالمنا الإسلامي الكبير.. فتحن إذن إلى التفاؤل أقرب مما إلى التشاؤم.. بل إننا لنجدنا نحمل أملاً قريباً في طلوع فجر إسلامي فكري مشرق، يغمر الأرض نوراً يجده عالمه تعالى وقوته.

أما وقد ركّزنا على هاتين الحقيقتين، نود أن نستعرض - بما يتناسب وحجم هذا المقال - بعض نقاط الضعف، والحالات المرضية التي قد يُبتلي بها الفكر، أو فلنقل يبتلي بها المفكرون.

وأوها - بكل صراحة - التبعية المكتملة للأفراد، والتي غالباً ما تظهر على شكل تبعية للحكام الطغاة.. وهذه التبعية المقيدة قد تفرضها ظروف الطفيان المسيطر، كما قد يُلجمن الفكر إليها ضعفه النفسي وحاجته الاقتصادية أو النفسية إلى مثل هذه التبعية.

ويكفي أن نفترض هذه البقعة من آثار السوء الشيء الكثير، فقد تبدأ بعنصر الجamaة، وعدم التعرّض لما يُغضِّب السلاطين، وتنتهي إلى عملية التزيف المتمدّد بعد أن تكتفى البطون من المحرام، وتستغْنَى الأدواء من دماء المستضعفين المقهورين. وبين تلك البداية وهذه النهاية يمكن تصنيف الكثير الكثير مما يكتب أو يلقى في عالمنا الإسلامي وباسم الإسلام، والتربية، والتوعية !!

فهل يفكر بهذا الأمر أولئك الذين باعوا أنفسهم جوهرة في الحياة وهي (الحياة المعقولة) للشياطين الصغار التافهين، فراحوا يتذمرون جاهلاً لا يعقل ما ينطق، ولا يلمس من مؤهلات الحكم والسيطرة إلا عمالته لسيده الأجنبي، وكم هناك من مؤشرات حاول فيها بعض هؤلاء الأقزام أن يقرأوا ما كُتب لهم بخطٍ واضحٍ وحروف كبيرة لكنهم كانوا يغشون حتى في نظفهم، في حين كان المؤتر يَعْتَبِرُ ما قالوا وثيقه مهمة من وثائق الفكر الإسلامي المعاصر!!

ولا ننسى هنا أن نشير إلى أن للعمالة درجات، وأن الإناث المقبوسة متفاوتة إلا أن

بع ذرة من الدين بالدنيا وما فيها يعتبر بلا ريب من أكبر العمليات الخاسرة. ولتسائج العمالة درجات، فعنها ما لا يتجاوز الإعراض عن ذكر ما يغضب الحاكمين، والاقتصر على التوعية البعيدة عن تحريك أبناء الأمة ضد الظلم. في حين نجد المظاهر الأخرى تصل إلى حد توسيع ما يفعله هؤلاء الطغاة حتى ولو كان قد بلغ من الوضوح ما تبلغه الجريمة نفسها. ألا نرى بأم أيقنا من يجد بعض المدعين لقيادة الأمة وهو يرى بأم عينه ظلمه وفساده وكونه جسراً لعبور إسرائيل إلى العالم الإسلامي.. وما صورة النميري وأمثاله عنا بعيدة.

والعينة المرَّبة الأخرى - على الصعيد الفكري - هذا التكرار المرض للتفكير دوغماً وإبداع وابتکار لا في مجال الموضوع ولا على صعيد الحلول، والاستبطاط.. وأنه لما يجلب القلب المألاً نجد من يرفع الخطوة التالية خطوة رفعها مفكِّر كبير هو المرحوم آية الله الشهيد الصدر (قدس سره) في مجال الفكر الاقتصادي وذلك بالرغم من مرور ربع قرن على هذه التجربة من جهة، وال الحاجة الماسة لمثل هذه الخطط الفكرية الكبرى. وأمامنا الساحة الفكرية فلنسر فيها، ولننصر هذه المظاهر، ونعمل بالتالي على إدانتها بأي شكل كانت.

أما نقطة الضعف الأخرى والتي تبدو للعيان فهي مسألة عدم التعامل مع الواقع، والابتعاد - إلا لاماً - عن المشاكل الواقعية للأمة لعوامل كثيرة، منها ما سلف من عدم التعرض لما يغضب السلاطين، ومنها عدم الإحساس بألم الجماهير بعد تمام عملية التخدير، وغير ذلك. وإن فكم هي الكتابات التي نشهد لها من علماء الغرب في منطقتنا وفي بقية أنحاء العالم؟ وهل من كتب عن الأرضية المناسبة لتطبيق الإسلام كله في إطار وحدة إسلامية شاملة تتاسي الحدود والمصالح الضيقة؟ وهل توفر الدراسات الكافية للمبادئ الكافرة التي تسود عالمنا الإسلامي كالقومية، والاتجاه العنصري العقلي، والماركسية، والأفكار الرأسمالية وغير ذلك، مع أنها مشاكل يعاني منها جسم الأمة وفكر شبابها الناهض؟

واستطراداً في هذا المجال نجد الفراغ الهائل في الدراسات الجامعية الإسلامية، فـأين هي المناهج التي تشبع هذا النهم؟ وهل استطعنا العمل على تلبية هذا الشوق الجامعي

المطلع للإسلام وهو واقع قائم لا شك فيه، فماذا نحن في قبالة فاعلون؟ وإذا أردنا أن نستمر في عرضنا لنقطات الضعف فإننا سنجده أمامنا مثلاً: ضعف العرض وقلة التجديد في ذلك، وإهمال مسألة الإنارة الحماسية القائمة على أساس الفكر الأصيل، وهي جانب قرآنِي أهملناه في بحوثنا.. وغير ذلك كثير.

ونعود فنكرر ما قلناه آنفاً من أنَّ هذه الآفات قد تكون غير عامة ولكنها - على أي حال - تتلک مواضعها في وجودنا الفكري، الأمر الذي يتطلب تقدماً ذاتياً موضوعياً يقوم به كلَّ فرد، وكلَّ مجموعة، مستهدفين القيام بالواجب الإلهي التاريخي، عاملين على المراقبة - على الأقل - لسيرة تطلعات الأمة، والتي تطوي المسافات الطويلة لتبلغ الهدف الكبير حيث يكون الدين كله لله، وفي الأرض كلَّ الأرض بعونه تعالى، وآله على كلِّ شيء قادر.

(١)

## الخطوط الإعلامية الفريضة

### لتوحيد العمل التبليلي في العالم الإسلامي

إننا نعتقد أنَّ للأمة الإسلامية دوراً حضارياً بارزاً، لا باعتبار كونها جزءاً عظيماً من الوجود البشري العام فحسب، بل باعتبار ما تحمله من رسالة إنسانية تعلن أنها الرسالة المقدمة الوحيدة للإنسانية، الرسالة التي أعدَّها خالق البشر لتشكيل المنهاج الفريد لسير الإنسان نحو تكامله الفردي والاجتماعي. وكذلك نؤمن بأنَّ الدعوة الإسلامية هي من صميم الواجبات على كلِّ مسلم ملتزم بتعاليم الإسلام، وهذه الدعوة لا يحدُّها زمان أو مكان، فتشمل كلَّ الأرض على مدى الأزمان إلى أن يأذن الله للساعة أن تفوت.

ونرى أنَّ من صميم واجباتنا العمل على طريق إرجاع خصائص الأمة المفقودة إليها، ومن خصائصها المسلمة أنها أمَّة داعية إلى الله: (وَلَتَكُنْ مِّنَ الْمُدْعَوْنَ إِلَىٰ<sup>(١)</sup>). كما أنه من الطبيعي أن يكون لتغير الزمان والمكان أثر كبير في توسيع أساليب الدعوة، لا بل وتحفيز مضمونها، بما يتلامم ونوع الهجوم الذي تتعرض له الأمة بأساليب جديدة من قبل أعدائها.

إضافة إلى ما سبق: فإنَّ الأساليب غير المدرستة للدعوة ربما تؤدي إلى نتائج

عكسيّة دوغاً قدّم من أصحابها، في حين نجد عناصر متسللةً غربية طرحت نفسها في مجال الإعلام الإسلامي لأغراض دينية.

كل هذه الأمور تطلّب وضع استراتيجية إعلامية للدعوة الإسلامية تركّز بطبيعة الحال على الأهداف والمضامين والعناصر والأساليب والوسائل.

### **أولاً: أهداف الدعوة الإسلامية**

إذا قسمنا المساحات المخاطبة من قبل الإعلام الإسلامي أمكننا أن نطرح الدوائر المداخلة التالية:

- أ - الدائرة الإسلامية بما يشمل كلَّ المذاهب الإسلامية.
- ب - الدائرة الدينية بما يشمل كلَّ الأديان السماوية.
- ج - الدائرة الإنسانية العامة بما يشمل البشرية.

وحيثُنَّا فِيَنَطَّبِعُ أَنْ يَخْتَلِفُ الْحَطَابُ لِلْدَّائِرَةِ الْأَوْسَعِ عَنْهُ فِي الدَّوَائِرِ الْأَخْصَصِ مِنْهَا.

أ) فعلى صعيد الدائرة الإسلامية: يستهدف الإعلام والدعوة الإسلامية - فيما يستهدف - الأمور التالية:

- ١ - عرض الإسلام على أنه عقيدة ومفاهيم وتشريعات واطروحات حيّاتية تحمل المشكلات الاجتماعية، وتضمن السير نحو العلاج، وبالتالي تعميق الإيمان في الفوس.
- ٢ - العمل على نشر الأخلاق الإسلامية الأصلية، ونبذ المفاسد الأخلاقية.
- ٣ - العمل على تحقيق الخصائص القرآنية للأمة الإسلامية، وفي طليعتها مسألة الوحدة الإسلامية والترابط والتوازن.
- ٤ - العمل على تربية جيل إسلامي مؤمن قويَّ على أساس من تعاليم الإسلام، يعرف تاريخه، ويدرك واجبه الحضاري.
- ٥ - السعي الجاد لتهيئة الأرضية المناسبة لتطبيق الإسلام على واقع الحياة، مع تنظيم التبادل الحضاري في الحدود الملائمة للشريعة.

- ٦ - توعية المسلمين بالماوفق السياسية والاجتماعية التي يواجهونها وترشيدهم إلى المد الذي تقارب فيه الرؤى والمخطوطات العملية لديهم جيئاً.
- ٧ - توعية المسلمين بذخائرهم وطاقاتهم المادية والمعنوية لتحقيق التنمية والتوسعة المطلوبة في مختلف المجالات.
- ٨ - العمل على توسيعة دائرة معرفة اللغة العربية والناطقيين بها، وذلك بغية رفع مستوى القدرة على الاستفادة من النصوص الإسلامية، وكذلك مستوى شعور الأمة بالوحدة الإسلامية.
- ٩ - تحسيس قطاعات الأمة وأفرادها بنقاط الضعف والنقض الاجتماعي والاقتصادي، والعمل الجاد في سبيل تخطي نقاط العجز هذه - على الصعيد المحلي والإقليمي والعالمي - وتعريفهم بالمعدو والصديق.
- ١٠ - بث روح الحماس والعاطفة الإسلامية بين أفراد الأمة، ليقوموا بواجباتهم في الدفاع عن مقدسات الإسلام وقيمه السامية.
- ب) وعلى الصعيد الديني العام: يستهدف الإعلام الإسلامي ما يلي:
- ١ - توضيح حقيقة الدين الإسلامي وتصوراته، لمنع سوء الفهم والتصور الخاطئ عنه.
  - ٢ - الدعوة إلى كلمة سواء بين أتباع الأديان، وتبعد الجميع الله، واجتناب كلّ ما يمتدّ إلى الطاغوت بصلة.
  - ٣ - توضيح بعض الحقائق المتبعة عليهم، كقضية بنوة المسيح عليه السلام، وحقيقة التوحيد الإبراهيمي، وموضع هداية الدين للحياة كلها، وقدسية الأنبياء، ووحدة الأديان.
  - ٤ - تنسيق المجهود لمحاربة الإلحاد والكفر والشرك.
  - ٥ - العمل الجاد لتحقيق موقف موحد من آية إهانة أو تمجيد فيس الحقائق الثابتة المقدسة للأديان الإلهية، وخصوصاً تلك المقدسات المشتركة.
  - ٦ - السعي لإبعاد الجمعيات الدينية عن الانضواء تحت مراكز الظلم والطغيان والاستعمار، بل وجعلها مراكز إشعاع وخدمة لقضايا المغرومين والمستضعفين أفراداً وشعوبياً.

- ٧ - الدعوة لتحقيق الوئام والعيش المشترك، ونفي وسائل الخصم والتاحر الديني، وإشاعة روح الموار المنطقى بين أتباع الأديان.
- جـ) وعلى الصعيد الإنساني: يتخلص هدف الدعوة الإسلامية في ما يلى:
- ١ - تنمية الدوافع والركائز الدينية في الفوس.
  - ٢ - إشاعة الحس الخلقي الإسلامي، وتحريك الكوامن الأخلاقية.
  - ٣ - التعاون المشترك لنصرة قضية المستضعفين والمحرومين، والدفاع عن القضايا العادلة وإدانة الظلم أينما كان.
  - ٤ - الدعوة بالحسنى لتنهيم الدين عموماً ودوره في الحياة.
  - ٥ - السعي الجاد لتحقيق مجتمع دولي سليم على أساس من حقوق إنسانية مشتركة.

### **ثانياً: مضمون الدعوة الإسلامية وخصائصه**

- وعلى ضوء الأهداف السابقة تحدّد خصائص المضمون الدعوي الإسلامي على النحو التالي:
- ١ - فهو إعلام قرآنى نبوى، يعتمد في أهم مصادره على هذين المنبعين الأساسيين، ويعمل على الرجوع إليهما في شئ المجالات.
  - ٢ - وهو إعلام موضوعي ينأى عن التأثر بالمصالح الشخصية والفنوية والسلطوية وغيرها، وإنما ينبغي بيان الحقيقة لا غير.
  - ٣ - وهو إعلام أخلاقي يقتيد بالحدود الأخلاقية، ويتجنب كل ما ينافيها كالكذب وإشاعة الفاحشة وغير ذلك.
  - ٤ - وهو إعلام علمي متتطور في أساليبه، يعتمد آخر النتائج المتعلقة به، فهي كأنها من عناصر القوة المأمور بها في القرآن الكريم.
  - ٥ - وهو إعلام عالمي لا تحدده حدود قومية ضيقة ولا مناطق جغرافية معينة.
  - ٦ - وهو إعلام مستقل لا تؤثر عليه المصالح القومية والفوضوية والمقلبة المضرة، والعملية غير المخططة، وعوامل التمويه والتزوير وغيرها.
  - ٧ - وهو إعلام واقعي لا يسبح في الفراغ، وبهيم مع الخيال، ولا يطرح حلولاً وهيبة

أو يتعامل مع افتراضات غير واقعية. إنه يعيش مشكلات الحياة القائمة، ويلاحظ كل الامكانيات الإنسانية المتوفرة.

٨ - وهو إعلام متوازن، يلحظ في حركته مصالح الأمة، ومتضيّات الصدق، والأهداف الإسلامية العليا.

٩ - وهو إعلام رسالي يوظف كل طاقاته لخدمة الهدف الرسالي، وينبأ عن السفاسف، والمواضيع المنحطة والتافهة.

١٠ - وهو إعلام متراّبط ينظر للحياة بنظرة شاملة، وينسجم مع كل القطاعات الأخرى في طرحه للحلول.

١١ - وهو إعلام من لا يرسف في أغلال الجمود، ولا تخبره دواعي الأخلاص.

١٢ - وهو إعلام إنساني لا ينطلق من منطقيات قومية أو فتوى، وإنما يلحظ العناصر الفطرية المرتكزة، ويعمل خدمة للمجموع العام.

١٣ - وهو إعلام عقائدي يشكّل في كل أوجهه مدرسة تعليمية ترکز العقيدة وتعمق جذورها.

١٤ - وهو إعلام مربٌ يعرف أساليب التربية، ويعمل على تقديم النماذج العليا للأمة، مبتعداً عن النماذج المبتذلة.

١٥ - وهو إعلام موحد يبعد عن كل ما من شأنه شقّ عصا المسلمين، وفتتّيت قواهم، وإرباك مواقعهم.

١٦ - وهو إعلام راصد لكل تحركات أعداء الأمة، يعمل على توعية المسلمين بالمخاطر التي تحقّق بهم.

### **ثالثاً: عناصر الدعوة**

لا ريب في أنَّ من أهمَّ عناصر الدعوة الإسلامية حملتها ودعاتها، وإنْ كان كلَّ مسلم مكلفاً بقدر علمه بالدعوة.

وهؤلاء يجب أن يتصرفوا بكثير من الصفات وفي طليعتها:

- أ - المعرفة الدينية الشاملة للجوانب العقائدية والعملية، وذلك إلى الحد الذي يقربون فيه من الإجتهاد والتخصص، كما أنَّ عليهم التعرف على أفضل الأساليب البلاغية والتسلك منها، وكذلك معرفة مخاطبيهم على اختلاف مستوياتهم.
- ب - الإيغاثة النافذة إلى الأحساس فلا يكفي الإيغاثة العقلية المجردة، وإنما ينبغي أن يتمكن الإيغاثة من النفوس حتى يحرّك المشاعر.
- ج - التوفيق على الخلق الإسلامي الأصيل إلى حد رفيع بحيث يجب أن يرتفع عن الحد المتوسط للمسلم العادي في العمل بالمستحبات وترك المكرهات، وينسجم قوله مع عمله تماماً.
- د - الشجاعة وعدم الخشية إلا من الله تعالى.
- هـ - ترويض النفس على الجهاد والثابرة وتحمل المشاق.
- و - التوفيق على ملكة التعبير الحسن، والتصريف الحكيم المناسب.
- ز - إبراز المكانة الاجتماعية التي تؤهلهم للتأثير في الآخرين.
- ح - التوفيق على معرفة تاريخية عامة وخاصة للمسلمين، والوقوف على محل الاعتبار والمنطففات في هذا التاريخ.
- ط - التعرف على أفضل الأساليب البلاغية ومطالعة أحوال الدعوة والدعوة عبر التاريخ الإسلامي.
- ي - التمتع بخصائص التأثير المطلوب من قبل السماحة والمرونة، النصيحة، التواضع، التدبر والتأنة، التسوع والتتجديد، الاستفهام عن الآخرين، سعة الصدر، الاخلاص، النشاط الدائب، التخطيط، الرزء والحياة البسيطة، والعيش مع المرومين.
- ك - الابتعاد عن الصفات المنفرة، كالتكلف والتচمّع، والتمويه والتسرع والإفراط والتغريط، والتصبب والطائفية، والسلط والنفعية.
- ل - معرفة لغة المخاطبين.
- م - المظهر الجذاب المناسب.
- ن - التعرف على أساليب الحوار والجادلة الحسنة.

### رابعاً: أساليب الدعوة

وهي متنوعة جداً، إلا أننا نشير إلى بعضها مستعينين بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

أ - الأسلوب الفطري: ونعني به اتباع أسلوب أو توجيه أسلنته أو حكاية قصص توجّج كواهن الفطرة ونزاعاتها الفضلى، مما يترك آثره العميق في النفوس.

ب - التدرج: وهو سنة قرآنية وعمل نبوي شريف، فقد لا يمكن إعطاء الحقيقة دفعة واحدة، وإنما يحتاج الأمر إلى عامل الزمان الذي يؤهل كل مرحلة لتلقي تعاليم المرحلة التالية.

ج - التكرار والتأكيد والذكير المتواصل.

د - العيش مع الأمة، وتحمّل الخطر والمشاكل معها، والإحساس بالآلامها، والتضحية في سبيل أهدافها العليا، مما يترك أكبر الآثر في مجال الدعوة.

هـ - استخدام أساليب تدعامي المعاني، والتبلیغ المباشر عبر القصة، والفلم، والمسرحية، والمثل الجميل، والإشارة، وهو أسلوب أثبت نجاحه في مختلف المجالات.

و - تقديم النماذج العليا للمخاطبين، لكي يتأنّلوا، ويتعلّموا على السير نحوها، وتجسيدها في وجودهم.

ز - التخطيط لتوفير الأجهزة المناسبة للتأثير: من قبيل العمل على حذف سيطرة العقل الجمعي ليُفتح المجال للتفكير المادي كما في قوله تعالى: (فَلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاجْدَةِ  
إِنْ تَقُومُوا لَهُ مُثْقَنٌ وَفَرَادٍ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا يَصْحِحُكُمْ مِنْ جِئْنَةٍ)<sup>(١)</sup>.  
أو إيجاد جوّ قدسي مناسب كما في مستحبات ليلة القدر.

### خامساً: وسائل الدعوة

أ - وتدخل في هذا المجال كل الوسائل المشروعة التي يمكن استخدامها لتحقيق تلك

- الأهداف، كالطبعات والسموعات والمرئيات ووسائل الاتصال بشتى أنواعها.
- ب - كما تدخل فيه كل العناصر الفنية كالقصة، والمسرحية، والخط، والرسم وفنون السينما، والمسرح، والتسليليات وأمثالها.
- ج - ومن الأمور التي ينبغي إدخالها في عنصر التبليغ والدعوة بصفتها مراكز رائعة في تحقيق هذا الهدف: مراكز التعليم بشتى مراحله الابتدائية والمتوسطة والجامعية، والدراسات الكلاسيكية المسجدية وأمثالها.
- د - ومن أهم وسائل التبليغ: المنابر التي تقدّم مجالسها في المناسبات المختلفة، وخصوصاً منابر صلوات الجمعة والمحاجة والعيدين وأمثالها، فهي مناسبات تحمل كل العناصر الضرورية لتأثير التبليغ.
- هـ - وتعدّ الخدمات الاجتماعية أيضاً من أهم وسائل الدعوة تأثيراً.
- و - كما أنّ من وسائل العمل التبليغي تنظيم التشكيلات، والجمعيات، والمراكم الإسلامية، وإقامة المعسكرات الطلابية وغيرها.

## **المقال الرابع**

---

---

**الصحوة والغرب**



## مقدمة

العلاقة بين العالم الاسلامي والغرب بدأت مع ولادة الاسلام، ومطالعة الآيات الأولى من سورة الروم توضح أنَّ المسلمين - رغم قلة الاتصالات آنذاك - كانوا يراقبون الحوادث العالمية بكل قلق. وعلى الطرف الآخر كان المشركون أيضاً يراقبون. ولم تكن مسألة انتصار الفرس على الروم - كما يبدو - مسألة يمرُّ بها المسلمين والمشركون بشكل عادي، فيفرح هذا ويحزن ذاك، وإنما كان انتصار أي طرف يعني رجحان كفة الإيمان أو الشرك مما يكشف عن تصور الصراع على مستوى أوسع من الجغرافيا بלא رب. وهنا يبدأ التحدي والرهان - على ما تقوله بعض الروايات.<sup>(١)</sup> وينجلي صدق الوحي بأنَّ الروم - و كانوا في معسكر الإيمان؛ لأنهم من أهل الكتاب - بعد أن غلبهم الفرس المشركون سينتصرون في بضع سنين، وهذا ما حدث بإرادة الله تعالى.

ولكن لا الروم ولا الفرس كانوا ليشعرون بما يخفيه هم القدر من كيان سينطلق من رحم الصحراء ويكبر بعين الله وينقذ الأرض من وحدة الضياع. وربما سمعوا بذلك ولم يكرروا حتى جاءتهم الأنبياء بذكر هذا الوليد الصحراوي، ثم جاءتهم كتب الرسول الأكرم(ص) تطلب منهم الإسلام حق يسلموه.

فهذا كتاب إلى كسرى ملك الفرس يقول فيه: «ادعوك بدعاية الله فإني أنا رسول

---

(١)راجع مثلاً في تفسير الآيات المزبورة: الدر المتصور عن احمد والترمذى والنسانى وابن ابي حاتم والطبرانى والحاكم والبيهقي وغيرهم .

الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً وبحق القول على الكافرين. أسلم تسلم، فإن أبىت فعليك لعنة المبعوس» وهناك نصوص أخرى.<sup>(١)</sup>  
وراحت الكتب ترى إلى عمال كسرى.<sup>(٢)</sup>

وهذا كتاب إلى قيسار عظيم الروم جاء فيه: «أدعوك بدعابة الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الاريسيين، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء يتنا وبينكم لا تبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئاً ولا يتخذ بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون». <sup>(٣)</sup>  
وكذلك توالى الكتب على عماله.

واختلفت ردود الفعل، وكان رد الفعل المسيحي أكثر تعللاً من رد الفعل المشرك، ثم كانت المناوشات وانتهى الأمر كما نعلم إلى هزيمة الامبراطوريتين أمام هذا الكيان خلال فترة وجيزة من الزمان. وكان المد الإسلامي الأول سريعاً وكاسحاً أذهل الطرفين، فانهارت أحدهما وانكسر الآخر إلى عمقه الأوروبي تاركاً الشام ومصر والمغرب بعد أن حكمها قرابة ألف عام تقريباً ومنذ غزو الاسكتدر لها.

وكان التقدُّم هذا مثار إعجاب المؤرخين الكبار من أمثال ثوراستروب وغوستاف لوبيون وتوبيني وتوماس أرنولد.

وكانت مقاومة الفرس والروم عنيفة<sup>(٤)</sup> ولكن الإسلام كان بعث في العرب المسلمين ثورة لا تقاوم. واستمر التفوّق الإسلامي تاركاً أثراً في الغرب. وإن كان الأوروبيون قد سعوا لانكار ذلك والتأكيد على أن اجتياح الشعوب герمانية حدود الرومان هي نقطة التحول في التاريخ الأوروبي وليس الإسلام.

يقول الاستاذ أنور الجندي:

(١) مکاتیب الرسول ج ٢، ص ٣٦.

(٢) المصدر نفسه ج ٢، ص ٣٨٨ مثلاً.

(٣) المصدر نفسه ج ٢، ص ٣٩٠.

(٤) راجع كتاب حرفة الفتح الإسلامي للأستاذ شكري فضل.

«ظللت الدولة الرومانية قائمة وظلت حضارتها باقية بعد أن اجتاز الجerman حدودها واستقرروا في نواحيها. وكان ما حدث أن انتقل مركزها من روما إلى بيزنطية وأصاب حالها المادية والعقلية شيء من الركود والفساد.

ولكن لم تهبّ ثورة الإسلام وتسير كتيبة إلى أراضي الرومان حتى تلاشى كلّ ما كان لها من معالم وآثار وكانت رماداً ذرته الرياح. وقامت دولة جديدة، وظهرت حضارة جديدة حاصرت أوروبا من الشرق والجنوب... فلولا ظهور الإسلام لظللت الامبراطورية الرومانية قائمة... ولما قامت الثورات القومية التي خلقت دول أوروبا الحديثة».<sup>(١)</sup>

ورغم أنَّ بعض المؤرخين الأوروبيين يجدون معركة بواتيه التي قادها شارل مارتل وأوقف زحف المسلمين عام ١١٤٢م (٣٣٢ هـ) ويعتبرونها نصراً لأوروبا إلا أنَّ الآخرين منهم يعتبرونها من آثار الفواجع في القرون الوسطى - كما يقول كلوド فاير - حيث تقهقرت أوروبا ثانية قرون.<sup>(٢)</sup>

وبعد عشر سنوات من سقوط طليطلة (١٠٥٨م) شنت الحروب الصليبية لمدة قرنين (١٠٩٩م - ١٢٩٥م) فدمرت الأخضر واليابس، ولكن أوروبا اكتسبت الكثير من هذا التلامم مما شكل سر بدء نهضتها في القرن الخامس عشر (أي بعد ٣ قرون).

والطريف أنَّ نجد من الكتاب الأوروبيين المحدثين من يعترف بأنَّ الإسلام شكل العامل الخارجي للنهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر الميلادي فليكن الغرب اليوم العامل الخارجي لنهضة العالم الإسلامي في القرن الخامس عشر المجري!<sup>(٣)</sup>

ويبينما كانت أوروبا تُرْبَّل بظلمات القرون الوسطى (من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر) كانت الأرض الأخرى مشرقة بالاسلام، في الشرق بل في جزءه من أوروبا، أي الاندلس.

(١) الإسلام والعالم المعاصر، ص ١٣٠ .

(٢) المصدر نفسه، ١٣٢ .

(٣) يدهام برایان في الإيكولوجيا اللندنية سنة ٩٤ .

وفي عام ١٠٩٩ بدأت المروءات الصليبية وبتحريك من الكنيسة، وجرت فجائع يندى لها جبين الإنسانية. وهي وإن عبرت عن حقد وتعصب، ولكنها تعبّر عن تسرب المخوف الكبير للغرب من الإسلام الحضاري الراهن، فليس صحيحاً ما تقوله السيدة هانتر من أنَّ الغرب بدأ يشعر بذلك منذ سقوط (غالبولي) بيد الأتراك عام ١٢٥٩م، بل سبق هذا المخوف المروءات الصليبية نفسها.

وكان دخول الإسلام إلى الاندلس في عام ٩٢٥هـ (٧١٤م) بهذه الإشراقة في أوروبا لا في الاندلس فقط، ودام مئوية قرون (حتى سقوط غرناطة عام ١٤٩٢) لتبعد معه النهضة الأوروبية، ورغم أنَّ الإسلام خسر الاندلس فإنه اقام في إفريقيا أمبراطورية مالي وأمبراطورية كادا في نفس القرن.

وهكذا تداول الغرب والاسلام القوة والغلبة.

ويعتبر الاستاذ سمير سليمان<sup>(١)</sup> أنَّ الهجوم الغربي الثاني بدأ عام ١٧٩٢م عند نزول نابليون الاسكندرية وتواتت الحملات وأهمها:

- عام ١٨٠٠ سيطرة الهولنديين على إندونيسيا.

- ١٨٣٠ سيطرة فرنسا على الجزائر.

- أواخر القرن التاسع عشر: سقوط القوقاز وتركستان على يد الروس.

- ١٨٥٧ سيطرة بريطانيا على الهند.

- ١٨٦٩ افتتحت قناة السويس.

- ١٨٨٢ احتلال الإنكليز لمصر.

- ١٨٩٢ احتلال الإنكليز للسودان.

- ١٩١٧ دخول الحلفاء بيت المقدس وبده سقوط العثمانيين.

- ١٩١٨ تحقق السيطرة شبه التامة للإنكليز والفرنسيين على العالم الإسلامي.

- ١٩٢٤ سقوط الدولة العثمانية.

---

(١) الاسلام والغرب، ص ٣٤ (كتاب التوحيد).

- ١٩٤٨ إنشاء إسرائيل.

هذا الهجوم الكاسح أغرق العالم الإسلامي في حالة من الذهول ولكن بدأت ردود الفعل القوية، وهكذا لاحظنا ردود الفعل التالية:

- عام ١٨٣٠ بدء ثورة الجزائر.

- (١٨٩٧ - ١٨٣٩) حركة الإصلاح التي قادها الأسد آبادي (الافقاني) وعبده الكواكيبي.

- ١٨٣١ الحركة السنوسية في ليبيا.

- ١٨٥٧ ثورة المسلمين في الهند.

- ١٨٨٢ الثورة العرابية في مصر.

- ١٨٨٩ الثورة السودانية.

- ١٨٩٥ ثورة المشروطة الإيرانية.

- ١٩١٩ الثورة المصرية.

- ١٩٢٠ ثورة العشرين في العراق.

- ١٩٢٤ الثورة السورية والسودانية.

- ١٩٢٤ الثورة الخطابية ثورة الريف.

- ١٩٣٠ ثورة عمر المختار في ليبيا.

- الثورة الإسلامية في الهند الشرقية وتركستان والقوقاز (ثورة الشيخ شامل) والعمانيين والسواحلين.

- ثورات المقاومة الإيرانية ضد المحتلين والعملاء في مطلع القرن العشرين من قبيل: ثورة تجستان في الجنوب وثورة الغابة في الشمال.

- ١٩٣٥ الثورة الفلسطينية.

إلى جانب ردود الفعل هذه - وكانت تختلف أحياناً في الأهداف والمناهج - نجد أنَّ الغرب الذي استطاع أن يقضي على الوجود الإسلامي السياسي بسقوط الدولة العثمانية الذي نعده الكارثة الكبرى عام ١٩٢٤ نجد الهجوم الثقافي الغربي يتعاظم، والتصرّفات

الصليبية الجديدة طرح بوضوح ضد الاسلام (ولعلها لم تقطع لحد الان وإن اختفت أحيانا) وكان كتاب اللورد كرومر المنشور عام ١٩٠٨ الوجه الصارخ لهذا المجموع، حيث زعم فيه أنَّ الاسلام قد مات، أو أنه على ابواب الموت ولا يمكن أن تعيد إحياءه الاصلاحات؛ لأنَّ الموت كامن في جوهره الذي يرتكز على تخلف المرأة وجمود الشريعة فينبغي للعالم الاسلامي كي يساير التطور أن يقبل التحديث بدون الاسلام<sup>(١)</sup> وهي نظرية تثل نظرة المستشرقين الجدد كما تسميه هانتر وترى أنهم يتقدون على أنَّ الاسلام بطبيعته لا ينسجم مع الحداثة وبالطبع مع التفريب، وتصفهم بأنهم «جبريلون تقافزيون» يعتقدون أنَّ المسلمين يفكرون ويتصررون وفق طرائق معينة لأنهم مسلمون.. وأنَّ الطريقة الوحيدة التي يسع الغرب التعامل بها مع الظاهرة الاسلامية هي المقاومة والقمع والاحتواء وينصرون بمساعدة الغرب لتلك الحكومات المسلمة التي تقاوم إسلامها حتى يزالوا أو يخضعوا كلياً...<sup>(٢)</sup>

وببدأ التراجع الفكري الاسلامي بابداه محمد عبد روحًا مهادنة تجاه كرومر<sup>(٣)</sup> وقد تلقي هذه المهادنة الفرع العلماني من مدرسته كلطفى السيد وسعد زغلول وطه حسين وأسامييل مظہر وبالتالي وصل الى ما يقرب من نظرة كرومر. ولا نعدم في أخاه العالم الاسلامي عناصر من قبلهم عاصرتهم وطرحت أفكارهم. وقد ساعدتها في ما بعد المدرستان القومية والماركسيَّة اللتان نشطتا في المنطقة الاسلامية في أواسط القرن العشرين.

وإلى جانب هذه النظرة العدائية المعادية من قبل الغربيين للصحوة الاسلامية كانت هناك نظرة استشرافية أخرى تطلق عليها هانتر اسم (العالم ثالثيين الجدد) وتؤمن بأنَّ الحاكم في العالم الاسلامي هو (القيم والمصالح معا) وبالتالي فمن الممكن تصور تصالح بين العالمين الاسلامي والغربي وهي تؤيد هذه النظرة.

(١) وقد الف الشيخ الغلافي كتابه (الاسلام روح المدنية) للرد عليه وصدر في نفس العام .

(٢) مستقبل الاسلام والغرب، ص ٩٥ وسنزكر في ما تبقى من حديث على هذا الكتاب .

(٣) محمد جابر الانصاري في مقاله المنشور في (اتفاقنا)، ص ١٥٣ المدد الاول قلا عن محمد محمد حسين.

والحقيقة أنَّ القيم الإسلامية إنما ترفض الجانب المعادي للإنسانية في الغرب كالتخلع الجنسي، واستغلال الشعوب، ورفض الحياة الخلقية، والكيل بكياليين، والعمل على محو الثقافات الأخرى، والاستعمار بشَّئ أولاه، وأمثال ذلك، وفيما عدا ذلك فإنَّ هناك نقاط القاء كبيرة ونقاط تقبل الحوار.

ثمَّ أنَّ المصالح لا تشكُّل مساحة ترفضها القيم، فالقيم في الواقع إنما تعمل على تحقيق المصالح الإنسانية السامية.

وعلى أي حال، فقد سعى الغرب بشَّئ الوسائل لقهر وجود الأمة عبر هجومه العسكري والتلفي والتسللي من خلال عملاته أو المبهرين بمحضارته لضرب القوة الإسلامية بعد قصائه على الدولة العثمانية، ولما لم يجد الاستعمار المباشر لكل المنطقة الإسلامية تفريباً راح يجرِّب فكرة إعطاء الاستقلال الشكلي مع العمل على مكَّ أزمة الأمور بيده، وهنا شهدنا مولد الدول أو المجموعات المحدودة والتي تعتمد فكرة الأساس القومي أو الجغرافي ممزَّقاً بها جسد الأمة الإسلامية الواحدة، ومحققاً هدف الاستعمار.

ولكن هذه الحالة سرعان ما أثبتت أنها لا تتحقق للغرب هدفه، ولم تلبث إلا قليلاً بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى رحنا نشهد تامي الحس الشمولي الإسلامي وقيام المؤسسات الإسلامية الشمولية، وخصوصاً عند المنعطفات الحاسمة من قبيل احرق المسجد الأقصى الذي أدى إلى إشتعال الفوضي الإسلامي، ونجاح الثورة الإسلامية في إيران في القضاء على النظام الرجعي العميل للغرب، وانتصار المجاهدين الأفغان على القوة الروسية العظمى، وأخيراً انهيار القوة الإلهادية الكبرى وانتقام الشعوب الإسلامية المختلفة، مما أوجَّد فكرة إسلامية شمولية ضخمة اضطَرَّ الغرب معها إلى تغيير استراتيجياته.

وقد فوجئ الغرب بهذه الظاهرة العارمة - ظاهرة الصحة الإسلامية - وراح يحملها بوسائله وتصوراته ليكتشف نقاط القوة والضعف فيها، ومن ثم يعمل على مواجهتها إذن من المهم أن تحدد الأسباب الأساسية للظاهرة الإسلامية وأبعادها المعادية للغرب وأن

تقوم في شكل صحيح وأن يتم تبني السياسات الملائمة للتعامل معها<sup>(١)</sup> وسوف نركّز على نموذج من الرؤى الغربية فيما يلي:

### مع كتاب (مستقبل الاسلام والغرب) لشيرين هانتر

لكي نقف ولو بشكل سريع على هذا الكتاب علينا أن نعطي لمحات عن مسيرة البحث فيه على النحو التالي:

١ - تبدأ الكاتبة بالحديث عن رواية ضابط بريطاني ألقها عام ١٩١٦ على فرضية قيام ثورة اسلامية، من شأنها - اذا ما اندلعت - أن تقلب مجرى الحرب العالمية الاولى وهو يعلن: أنَّ الشرق في انتظار إشارة إلهية.

ثم تذكر أنَّ (كراونر) عبر بعد ٧٥ عاماً عن مخاوفه من أنَّ أميركا تواجه الخطر الاصولي الاسلامي.

٢ - وتقرب أنَّ اوروبا كانت تواجه همَّ الخطر الاسلامي منذ سنة ١٣٥٩ بسقوط غالیولي بيد الاتراك وتصرخ على الخوف الذي استولى عليه بظهور الامام الخميني (رحمه الله).

٣ - وتحدث عن الصراع القائم في الغرب بين الدين والعلمانية، وتعلن أنَّ الفصل بين الثقافة والاديولوجيا هو فصل زائف.

٤ - ثم تذكر أنَّ ميزات الاسلام تجعله خصماً حضارياً باستمرار للغرب.

٥ - وترکز على دور النفط في إذكاء الصراع، الأمر الذي لا يتصور عند الاصوليين المفهود، ولذا فلا يقلق الغرب كثيراً لنموَ هذه الاصولية.

٦ - وتوّكّد على كون الاسلام لا يمكن أن يهزّ كما هزمت الاشتراكية والنازية.

٧ - ثم تميّز بين الاسلام (الشخصي) فهو جيد والاسلام (الحضارى) فهو سيء، وترى أنَّ الخطر كلّه آتٍ من الاسلام المقاتل.<sup>(٢)</sup>

(١) مستقبل الاسلام والغرب، ص ٩٩ الترجمة العربية للسيدة زينب شوربيا.

(٢) هذا التعبير ورد في متن الاستراتيجية الاميركية التي نشرت عام ١٩٧٩، وأكّدت على ضرورة محاربة الاسلام المقاتل وقصد به الاسلام السياسي.

- ٨ - ثم تعلن أنَّ كلَّ الجهد يجُب أن تصرف لعلمة المجتمع الإسلامي وفيها يكمن التطور.
- ٩ - وتوَكَّد كون الحل الوسط يكمن في قبول الغرب بدور الدين في الحياة وقبول العالم الإسلامي بالعلمنة.
- ١٠ - ثم تقول: إنَّ السبب الحقيقي في الصراع هو توازن القوى، فالمسلمون ينكرون السيطرة الغربية على مقدراتهم، والغرب ينكر عليهم تحديهم لتفوقه.
- ١١ - ثم تتحدث عن دور الايديولوجيا في المجتمع باعتبارها تخدم القوة وأنَّ التضحيات الكبرى تحتاج لمبرر ايديولوجي، وترى أنَّ القيم الغربية لا يؤبه بها إذا لم تخدم المصالح.
- ١٢ - وتعمد فتوَكَّد أنَّ النظام السياسي الإسلامي غير واضح في الكتاب والستة. كما تؤكد وحدة الدين والسياسة ومفهوم الأمة عند المسيحية واليهودية سعيًا منها لتحقيق التقارب باعتبار أنَّ المجتمع الإسلامي يقبل العلمنة (وإن كانت تعرف بكون النظام الإلهي والعلمنة لا يجتمعان) وحيثند لاحتمالية للصراع.
- ١٣ - وتوَكَّد أنه لا توجد نظرية متكاملة للعلاقات الدولية في الإسلام. ولكنها تتقد من يسُطُّع موقف الإسلام، ثم تعود لتوَكَّد أنَّ الإسلام توسيعًا معاد للآخرين باعتباره يريد أن يحكم العالم، ساخرة من هانتينغتون الذي يرى أنَّ المسلمين لا يعرفون منطق المساواة.
- ١٤ - ثم ترتكز على حكم (المجاهد) فترى أنه يتافق مع مبدأ (لا إكراه في الدين) ولكنها تخفف منه: لأنَّ مبدأ دفاعي، وتقترح على المسلمين أن يرجعوا الهدف العالمي.
- ١٥ - وتنتقد التصور الغربي للإسلام ورؤيته للعالم، وتوَكَّد أنَّ المسلمين يتعاملون ككتلة واحدة فيجب التعامل معهم كذلك.
- ١٦ - وبعد أن تتحدث عن مهارة الرسول في التعامل مع أعدائه تستهم المسلمين في صدر الإسلام بأنَّ دوافع اندفاعهم لم تكن عقائدية فقط، تماماً كما هو الحال في الحروب الصليبية.

١٧ - وتؤكد أن الترَّقَ الذي يعيشه المسلمون حول مفهوم دار الإسلام من مفهوم سياسي إلى مجرد مفهوم ديني، وأن الدعوات إلى الوحدة الإسلامية لا تجدها صدىًّا اليوم.

١٨ - كما تذكر كون ممارسات المسلمين ضد حقوق الإنسان لاعلاقة لها بالإسلام.

١٩ - وتعتبر حركة الإحياء الإسلامي هي المسئولة لصراع المضاربات. وترى أنها بدورها معلولة لخصائص الإسلام.

٢٠ - وتعرض إلى فكري علاقته الدين بالسياسة، وكيان الأمة الإسلامية، فتعتبرها اسطورتين، وترى أن الأمة الإسلامية لم تقم لها قائمة منذ وفاة النبي . إلا أنها تؤكد كون هاتين الفكرتين ساهنتا في وجود حركة الصحوة (كتعبير عن دور عنصر القيمة) إلى جانب عوامل أخرى كأقسام المجتمعات، وتهميشه العناصر الإسلامية، وجهود التقليديين لغير معادلة القوة (كتعبير عن عنصر المصلحة).

٢١ - ومن هنا فالصراع مع الغرب ليس حتمياً؛ لأنَّه لا يعتمد على العنصر القيمي فقط كما يقول (الاستشراقيون الجدد) الذين يدعون نتيجة دعواهم هذه إلى قسم العالم الإسلامي، وهؤلاء من أمثال (كرامر) الذي يوجه تقدماً لاذعاً للرئيس كارت؛ لأنَّه سمح لظهور ظاهرة (آيات الله)، ومثله برلمونز. ويقف في قبال هذا التفسير من تسليمهم بـ (العالم ثالثين الجدد) من أمثال (بورغات) الذين يقبلون وجود المنصرين (القيمة والمصلحة) في مجال تنظيم العلاقة ومن هنا فهم يدعون للتصالح، وهي تؤيدهم في ذلك.

٢٢ - وترى أن عوامل النهضة الإسلامية تتمثل في:

ترَّقَ عوامل النسج الاجتماعي القائم في القرن الثامن عشر وبالتالي تحول العلاقة من علاقة ندين إلى علاقة سلطة وسلطة عليه. مما خلق اتجاهين متباينين، اتجاه العودة للإسلام أما بشكل حرفي كالاتجاه السلفي أو بشكل من بناء كمدرسة إقبال وسير سيد أحمد خان والمرجاني وغيرهم.

٢٣ - وفي صدر تقسيمها للأفغاني وعده وهل ما إصلاحيان أو منافقان تعمل على ترجيح الجانب السلي استناداً للجواب الفاتر للأفغاني على هجوم (رينان) على الإسلام

باعتباره خرَبَ المضارتين السابقتين عليه، وترى أنه أي الأفقانِي استخدم (القيقة) في ذلك.

٢٤ - وتذكر أنه على الصعيد السياسي بدأ الزعماء من منتصف القرن التاسع عشر بالتحديث: أمير كبير في ايران، العثمانيون في تركيا، محمد علي في مصر، الثورة الدستورية في ايران ١٩٠٥م، ثم ثورة التحديث التركية، وتعقب بأنَّ الاصلاحيين المسلمين واجهوا العلمانيين والتقليديين معاً.

٢٥ - وانتصر العلمانيون انتصاراً زائفاً في الفترة ما بين ١٩٢٠ و ١٩٧٠، حيث فرضت العلمانية فرضاً على المسلمين، وحدث التشظي الثقافي والصراع التحالفي فتارة يتحالف القوميون مع الاسلاميين ضد اليساريين، واخرى يتحالف اليسار والاسلاميون ضد التقليديين، وثالثة يثور النزاع بين خريجي الجامعات الغربية ودارسي اللغة العربية، ولكن التحديث فشل في مسعاه، وعاد التمسك بالاسلام باعتباره هو الحل.

٢٦ - وترى أنَّ الثورة الاسلامية استفادت من خصائص الدين لتعريف الجماهير ولكنها لم تتحقق الطموحات فعادت تواجه حقيقة مهمة هي انفصال الدين عن السياسة.

٢٧ - وبعد أن تعرض لآراء الدكتور سروش في النسبة وتشبهها بآراء سير سيد أحمد يقول: إنَّ هذا يعني كون الاسلام يقبل الاصلاح.

٢٨ - ثم تحدثت عن العوامل الخارجية للصحوة من قبيل: قيام اسرائيل، هزيمة الثورة النفطية، هزيمة السوفيت في افغانستان، نجاح الثورة الاسلامية في ايران، ولكنها تتقول: إنَّ قيومها بوقف الحرب عام ١٩٨٨م أحبط الآمال.

٢٩ - ثم تعود فتقول: إنَّ الغرب يعادي الصحوة؛ لأنَّها تكتنز عداه له، نتيجة سياساته هو لا نتيجة أنَّ الاسلام بخصائصه يعادي الغرب.

وتذكر أنَّ أمثال برنارد لويس ودانيل بابيس من المستشرقين الجدد يرجعون عداه الصحوة الاسلامية للغرب الى الخوف والحسد، وتنتقد هذا الرأي وإن كان فيه شيء من الواقعية تماماً كما يحدِّد الغرب اليابان والصين، في حين رأى آخرون أنَّ المقد الاسلامي ناتج من سياسات الغرب، ولذلك يشارك العلمانيون المسلمين في هذا الرأي.

٣٠ - وتقول بعد ذلك في صفحة ١٤٨: أظهر هذا النقاش بوضوح أن نشوء الظاهرة الإسلامية كان إلى حد كبير جزءاً لا يتجزأ من تطور التجربة الإسلامية في سياقاتها الزمانية والمكانية المتنوعة. فهي شأنها شأن الأوجه الأخرى للتجربة الإسلامية أتت مرتبطة بالتطور والتحول الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي للمجتمعات الإسلامية، وديناميات مجاهاتها للعالم غير الإسلامي وللقوى والافكار الصادرة عنه.

إن المرحلة التالية قد تكون بالفعل علمنة أكبر المجتمعات الإسلامية وحركة باحثاه توليفة بين التعاليم الإسلامية والمفاهيم الغربية.

٣١ - وتدخل بعد هذا في السياسة الخارجية لبعض البلدان الإسلامية لتبث أنَّ الإسلام ليس وحده الدخيل في تنظيمها. ولستنتاج النقاط التالية - باختصار - :

أ) سيقى تأثير الإسلام قليلاً في سلوك الدول الإسلامية ويستبعد أن يكون لل المسلمين كيان موحد.

ب) ستختلف علاقات هذه الدول مع الغرب من متواترة إلى ودية.

جـ ) لن تحمل علمنة العالم الإسلامي كل المشاكل، وإن كان لها التأثير الكبير، ما دامت هناك مصادر أخرى للخلاف؛ كسمعي البلدان الإسلامية في إصلاح التوازن السلي للقوة في مواجهة الغرب.

د) ستوازن العلاقة مع الغرب مع مستوى تعاطفه مع القضايا الإسلامية ولكن المصالح الدنيوية لكل دولة أيضاً ستؤثر على علاقتها.

هـ ) وستبقى المنافسة بين الدول الفرية نفسها في مجال بسط النفوذ.

و) أنَّ احتمال تكون قدرة منافسة للغرب سوف يزيد من تحديات المسلمين، في حين أنَّ قدان احتمال تكون هذه القدرة ربما يتبع موقفاً أكثر تساهلاً.

هذه خلاصة بعض الافكار الواردة في هذا الكتاب.

### نظرة نقدية

ويتبين لنا بعد إجراء مسح فاحص أن نطرح النقاط التالية:

### النقطة الاولى

قبل كل شيء نرى لزاما علينا أن نذكر بجراة الكاتبة في الاعتراف بعض الحقائق المرأة لدى الغربيين من قبيل:

أ - تقرير حقيقة كون الاسلام لا يمكن أن يهزم من خلال انتصارات عسكرية وأمثالها كما هزمت النازية والاشتراكية وأمثالهما.

ب - أن الايديولوجيا لا يمكن أن تفصل عن الحياة الاجتماعية، ذلك لأن المسألة الاجتماعية يجب أن تقام - ولو بشكل لا شعوري - على المسألة الفلسفية وإلا أعادت بلا هدف ولا مبررات.

ج - كون الغرب لا يأبه بالقيم التي يدعى بها - كالديمقراطية وحقوق الانسان - اذا لم تخدم مصالحه.

د - أن العلمانية لا تجتمع مع النظام الديني حتى ولو كان مستمدًا من المسيحية أو اليهودية.

ه - كون الذين ينظرون الى رؤى الاسلام بسطحية هم سطحيون .

و - السخرية من هتيفتون عندما يقول: إن الاسلام لا يعرف المساواة .

ز - التغريق بين إثبات الاسلام بحقوق الانسان وعمل المسلمين.

ح - الاعتراف بأن العلمانية فرضت فرضًا على العالم الاسلامي .

ط - كون الغرب قد يتطلق من موقف أخلاقية منحطة كالمسد والمقد وأمثال ذلك.

### النقطة الثانية

تصور الكاتبة أن الأمر يدور بين المواقف المبنية على القيم الاسلامية فلا يمكن التصالح والمواقف المصلحية - فهناك إذن مجال للحلول الوسط - ولكن الحقيقة هي أن الاسلام:

اولاً: يعتبر المصلحة المنسجمة مع مقاصده قيمة نفسها، ولربما قدّمتها على كثير من أحکامه في بعض الأحيان.

ثانياً: يمتلك عناصر مرنة كثيرة توفر للامة القدرة على استيعاب المتغيرات الرمانية والمكانية والمحروج من الطرق المسدودة من قبيل امتلاكه مراتب من الأحكام الاولية والاضطرارية والحكومية، ولكل منها خصائص و مجالات معينة كالمنطقة المفتوحة للحاكم الاسلامي ليملأها وفق ما يتضمنه المتغيرات.

على أثنا لا يمكننا أن نجعل السلوك الغربي المتواحش أصلًا تسعى إليه البشرية، وهدفًا عاماً ويعتبره فوكوياما (نهاية التطور التاريخي) ونطلب من الاسلام أن يكيف نفسه دائمًا معه تحقيقاً للتعايش تماماً كما يطلب من الفلسطينيين التنازل عن الأرض والكرامة وحتى حق مقاومة الاحتلال لاحلال السلام والتعايش.

وهذا منهج شهد له الكتاب الغربيين وأتباعهم لدينا، فأنت تشهد لهم يجعلون الغرب معيار التقدم والحداثة ويقى على العالم الاسلامي إذا أراد التطور أن يكفي نفسه مع ذلك.

فالسلك الصحيح هو أن يقوم المخلصون لمستقبل الانسانية بتقدير السلوك الأمثل أولاً، ثم يطلب من لا يذعن له أن يبتل للحق، وهذا منهج إنساني يتضمنه النطق وبيؤيده القرآن في مجالات الاصلاح.

### النقطة الثالثة

إذا تبعنا التحليلات والخلوص والتصريحات الغربية المتعددة على خط الزمان وعلى مختلف المستويات نجد أن الماجس الأكبر لدى الغرب هو هاجس تقديم الاسلام البديل الحضاري المتميز ذي الطابع القيمي اللامسجم مع القيم الغربية، والذي يحمل في ذاته عنصر البقاء والنمو التواصلي، والحفاظ على الذات، ومن الآخر من الاستغلال. وبالتالي سقوط النموذج الغربي، وانهيار التفوق الحضاري للرجل المسيحي الاوربي الابيض. وهذا الماجس ملاحظ في كلمات السياسيين كترشل، وديغول، وبرلسكوني وبوش وامثالهم وفي كلمات المؤرخين كسويني والفلسفه كهانينغتون وفوكوياما وبرايان وغيرهم.

وتدخل أمور كثيرة في هذه الدائرة من قبيل:

- تصريح الجنرال غلوب باشا الشهير: «بدأت مشكلة الشرق الأوسط منذ القرن السابع».

- تصريحات نيكسون التي عبرت عن ايران قبل الثورة بأنها جزيرة الأمان.

- كلمات برلسكوني رئيس وزراء ايطاليا التي رجحت الحضارة المسيحية على الحضارة الاسلامية.

- تصريحات المدعى العام الأميركي في عهد بوش الابن والتي تقارن بكل غباء بين صورة الإله في المسيحية والذي يقدم نفسه فداء للبشرية، وصورة الله الاسلامية الذي يطلب من البشرية أن تقدم أبناءها فداء له.

- تخوف بعض الدول الغربية كفرنسا من عودة الحجاب الاسلامي كرمز للصحوة.

- تصريحات بوش التي فطن لخافتها فلم يكررها والتي تؤكد أنَّ ما يسميه بالحرب ضد الارهاب هي حرب صليبية.

- التصريحات المتواتلة التي تعتبر الاسلام مارداً نائماً في الشرق الاوسط (من قبيل ما جاء في وصية ديفول، وما ذكرته الصحف الاوروبية كالتايمز في عددها المؤرخ ٢٩/٤/١٩٨٧).

- ما ذكره ريتشار بيرل مستشار البتاغون الذي تصفه الدليلي تلفراف بالتفكير الديني، وديفيد فرام وهو كاتب خطابات بوش في كتابهما (دليل الانتصار في الحرب ضد الارهاب) من أنَّ الأصولية الاسلامية هي أكبر داعم للارهاب فيجب استهدافها.

وقامت الدراسات الغربية بتشجيع من أسوهم (دعاة التحدث المؤيدین للغرب) بقوة ومنها دراسة قام بها معهد (راند لأبحاث الرأي) في أميركا دائمة لهدف الاصوليين والتقليديين المخالفين للقيم الغربية (نقلأً عن صحيفة الخليج الاماراتية العدد ٩٠٧١).

ومن هذا الماجس الذي تعاظم في الثمانينات وأوائل التسعينات من القرن الماضي انطلقت فكرة الاستراتيجية الامريكية الجديدة عام ٩٧ بل من هذا الماجس جاءت

التصيرات الغربية الكبرى طوال القرون الأخيرة إن لم تنتد بها إلى مدىًّا أبعد، ومنه أيضًا جامت العولمة التي تعنى في الواقع غربنة العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية أو أمركتها، وركوب موجة الاتجاه العالمي الطبيعي من الكثرة إلى الوحدة في مختلف المجالات.

هذا الماجس الذي تعبّر عنه الكاتبة بالحمد أحياناً دفع الغرب لفرض واقع التخلف بشئّ أنواعه والتعرّق والعلمنة على العالم الإسلامي.

أما التخلف فحدث عنه ولا حرج سواه أكان في المجال العلمي أو الاقتصادي أو العسكري أو الثقافي أو الاجتماعي. واضح أنَّ الغرب لم يسمح إلا بالذر القليل من التقدم إبقاء على ادعاءات التحضر الانساني.

ولا نريد هنا أن نقلل من تصرير المسلمين في هذا المجال، ولكن من غير المشكوك فيه أنَّ السعي الغربي كان على أشدّه في مجال إبقاء التخلف وتعزيز الفوارق بين المستوى الغربي ومستوى العالم الإسلامي بأساليب متعددة.

وربما نجد البعض من المنبهرين بالغرب يعتبر تقدم البلاد الإسلامية بدأ مع حلقة نابليون (١٧٨٩) متباينين ما جرت علينا من اغتراب ومحو للهوية التربوية والتعليمية والإعلامية وترويج للعلمانية وبالتالي احتلال الأرض الإسلامية التي لم تكن قد احتلت بعد.<sup>(١)</sup>

وأما التعرّق فإنَّ للغرب دوره الأكبر في إيجاده إلى أقصى حد إما مباشرة أو من خلال المتأثرين بفكرة. ويلاحظ من كلمات الكاتبة مدى التوجّس من التوحد حتى أنها تقرّ في نهاية كتابها أنَّ الوحدة الإسلامية والكيان الإسلامي الموحد أمر بعيد المنال في المستقبل، بل إنَّ مجرد ظهور شعور بالاسلام الشمولي وظهور الدعوات الأولية للمنظمات الشمولية في العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن الماضي قلب الموازين الغربية فراحوا يحسبون له ألف حساب، ومن حساباتهم تفرّغ هذه المنظمات من محتواها

---

(١) راجع الدراسة العلمية الجديدة للدكتور جلال أمين في كتابه (العولمة والتنمية العربية – الفصل الأول).

واباؤها على مستوى الاشباع الشكلي والعاطفي لجوعة عارمة ورغبة جماهيرية لاقاوم للوحدة الاسلامية.

ويتخذ التمزق هذا أشكاله المتنوعة، فهناك تمزق على أساس القومية، وأخر جغرافي ثالث لنغو، ورابع في الولاء، والخامس في المستوى المعيشي، وهلم جراً.

والكاتبة تعتبر أن عملية تمزق النسيج الاجتماعي للعالم الاسلامي شكلت أحد عوامل الصحوة الاسلامية والدعوة الى المودة للإسلام دون أن تتحدث عن الدور الذي لعبه الغرب في القضاء على الدولة العثمانية ونشر الفكر القومي الضيق، وابعاد الخلافات بين الكيانات المصطنعة وأمثال ذلك.

وأما العلمنة فهي الداء الوبييل الذي ضرب عالمنا الاسلامي واستطاع إلى المدى الأكبر أن يسيطر على بجمل أرجائه . وقد شجع الغرب العلمنة بشئ الأساليب حتى أن الكاتبة اعترفت بأنها فرضت فرضاً خلال الأعوام ١٩٢٠ - ١٩٧٠ وأنها لم تتحقق المقصود، وذلك طبيعياً؛ لأنَّ العالم الاسلامي مهما ابتعد عن الاسلام وأحكامه فإنه يبقى اسلامي النفس والنبرة والأحساس.

فإذا خضمنا إلى هذه الحقيقة حقيقة أخرى وهي أنَّ الاسلام دين الحياة ولا يمكن فصله عن جوانبها الثقافية والاجتماعية والسياسية، وهي حقيقة يحاول الكتاب الغربيون بل وحتى السياسيون إلى اليوم إنكارها، وهذا ما وجدناه في حديث كولن باول وزير الخارجية الأمريكية بتاريخ ١٤ نوفمبر ٢٠٠٣م وهو ما يركز عليه العلمانيون في عالمنا الاسلامي بل يعملون على منحه أبعاداً فلسفية، ونحن نجد الكاتبة تعمل جاهدة في هذا الكتاب على أن تجعله الحل السحري للصراع، فكل الجهد يجب أن تصرف لعلمنة المجتمع الاسلامي، والنظام السياسي غير واضح في الكتاب والستة، والمجتمع الاسلامي يقبل العلمنة فلا حتية للصراع، ولا توجد نظرية متكاملة للعلاقات الدولية في الاسلام، ومبدأ الجهاد يتنافى مع مبدأ نفي الإكراه في الدين، والاتجاه العالمي للإسلام يجب أن يتخلّى عنه المسلمون، وحركة الإحياء الاسلامي التي ترفض العلمنة يجب ان يرفضها المسلمون؛ لأنها هي سبب الصراع بين المضاربات، وأنَّ على العالم الاسلامي أن يروض

قيمه وفق مصالحه، وأنَّ مسألة انفصال الدين عن السياسة هي حقيقة واجهتها الثورة الإسلامية في إيران ولم تستطع التغلب عليها، وأنَّ الأفكار الاصلاحية النسبية للدكتور سروش تعني أنَّ الإسلام يقبل الاصلاح (وبطبيعة الحال العلمنة)، وأنَّ التوليفة بين الإسلام والغرب تم من خلال علمنة أكبر المجتمعات الإسلامية، وتعتبرها هي المرحلة المستقبلية.

إننا إذا ضمننا الحقيقتين الماضيتين: (حقيقة أنَّ النَّفس الْإِسْلَامِيَّةُ هُوَ الطَّابِعُ الْعَامُ للعالم الإسلامي) و(حقيقة أنَّ الإسلام لا يمكن فصله عن الحياة)،

عرفنا بوضوح بطلان كلَّ المسعى لعلمنة العالم الإسلامي. وليت الكاتبة عمقت قولهما السابق بأنَّ النظام الديني مهما كان لا يجتمع مع العلمنة، وأدركت بالتالي ماقلتاه، اللهم إلا أنَّ نسلب الإسلام صفة النظام ونبقيه مجرد تعاليم أخلاقية سطحية، وهذا ما لا يمكن تتحققه.

إنَّ للإسلام رأيه في كلَّ السلوك الانساني، وكلَّ من عرف الإسلام أدرك أنه ما من واقعة إلاَّ وله فيها حكم أو فيها كتاب وسنة - كما يقول الإمام الصادق (ع)<sup>(١)</sup> - ولا يمكن أن يكون الإنسان مسلماً حتى يتلزم بأحكام الإسلام (فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَعْدُوا فِي أَنْسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسَّلَمُوا شَسَّلَمًا<sup>(٢)</sup>). .

#### النقطة الرابعة

إنَّ الصحة الإسلامية في الأساس جاءت لترد على العناصر الثلاثة الماضية (التخلف، والتمزق، والعلمانية). ولتحقيق المودة إلى الإسلام بكل مقتضياته: فالإسلام دين التقدم، يدعو إلى العلم بشَّى أنواعه، ويطلب من الأمة الإسلامية أن تتحقق كلَّ عناصر القوة، وأن تبذل أقصى جهدها لتكون خير الأمم، وتكون في الطبيعة المضاربة للناس، والتخلف حالة غير طبيعية مطلقاً.

(١) أصول الكافي، ج ١ باب الرد على الكتاب والسنّة، ح ٤، ص ٥٩.

(٢) النساء، ٧٥.

والاسلام دين الوحدة الاسلامية، والتخطيط الاسلامي للوحدة واضح تماماً، فالقانون واحد، والقائد واحد، والمواطف واحدة، والشعارات والعبادات واحدة، وتراثات الامة هي ملك كل الامة، وقد جعلت لها قواماً وقياماً، وحقوق المسلمين جميعاً متكافئة، لا بل قد يشترك كل المسلمين في بعض أنواع الملكية، والتكافل والتوازن في مستوى المعيشة شاملاً لكل المسلمين، والسلمون جميعاً مسؤولون عن مجموع الامة وحدودها مسؤولة مشتركة.

أما الحالة الراهنة، والتبريرات التي تساق لها فهي كلها استثناءات يجب أن يعمل الجميع على حذفها في النهاية والعودة الى واقع الاسلام. ولا نجد عالماً أو حتى مجرد مطلع على حقيقة الاسلام يجادل في هذه الحقيقة الواضحة.

والاسلام دين الحياة – كما قلنا – فلا يمكن أن ينسجم مع العلمنة بأي تعريف جاءت، وأية صفة اتخذت، ايجابية أم سلبية، أما الاستناد الى التجارب القائمة فهو مجرد خداع، لأنها تجارب مفروضة على العالم الاسلامي ومتناهية مع حقيقة الاسلام.

وقد نستطيع أن نؤيد الكاتبة في بعض عباراتها فنرکز على عنصر (التفوق) وتقول: إنه سر الصراع. ولكن الذي يجب التركيز عليه أن الرغبة في التفوق عامل طبيعي يعمل على تطوير الحياة الانسانية في كل المجالات إذا اتخذ منحى ايجابياً تناصيفياً. كما يؤدي كغيره من العوامل الطبيعية الى الخراب والدمار والظلم إذا اكتسب الصفة السلبية واعتمد عامل الحذف بالقوة والهيمنة ومحو الآخرين، كما نجده اليوم في العولمة والتعامل الغربي مع المسلمين.

إن الصحة الاسلامية إذن تدعو للتقوّف الاسلامي المضارى فلا ينبغي أن يتبرأ ذلك حفيظة الآخرين إن كانوا يملكون الروح الرياضية المضاربة، وأئى هذه الروح أن تسود، أما عن عوامل هذه الصحة فلا توقع للكاتبة أن تكشف لنا عن العوامل الحقيقة، ولذلك تلتجأ الى العوامل المجانية وربما سطح فكرها هي عندما تطرح فكرة الحسد وتحثّل العلاقات وأمثالها.

إننا نتصور هذه العوامل – على ضوء دراساتنا للساحة – كمالي:

أولاً: طاقات الاسلام الذاتية التي لا تفت أتم المسلمين بدعوى التغيير، وتشدد على الحفاظ على الهوية الحضارية بعد أن أعطتها معالها الشاملة، بل وتدفع دائماً على الحفاظ على التفوق أو استعادته إذا فقد. وقد مرّ بنا القول إنَّ كلَّ أساليب النسيج سوف تبقى آثارها وقتية؛ لأنَّ الاسلام بطبيعته يدعو للوحدة ويرفض العلمنة.

والكاتبة تردد في إشارتها لهذا العامل، فتارة تعرف به (انظر مثلاً البنود ٢٦، ١٩، ١٣، ٧، ٦، ٤) واخرى تحاول أن تقلل من أهميته (لاحظ مثلاً البنود: ١٣، ١٢، ٢٠، ١٤، ٢٨، ٢٦).

ثانياً: اشتداد الحملة الاوروبية على العالم الاسلامي بحيث استباح الغرب كلَّ الشروط، واستعمّر معظم البلاد، واعتدى على الهوية الثقافية، بل راح يهاجم المكونات العقائدية والأخلاقية، وينشر الرذائل، ويفزّق النسيج الاجتماعي من خلال عملاته المحقّقين أو التقافيين، ويزرع الكيان الصهيوني الفاسد في قلب العالم الاسلامي. ولاريب أنَّ حملة من هذا القبيل سوف تواجه برد فعل قوي من أمّة يبقى الاسلام فيها حياً، رغم عمليات القضاء عليه.

ولازم أن نظيل في الحديث عن هذا العامل لوضوح أبعاده، ووضوح حقيقة أنَّ الاحتلال يستعمّر المقاومة بشئّ ألوانها. ولعل الغرب شعر بهذه الحقيقة حين حاول التفيس والاستعاضة عن ذلك بإعطاء الاستقلال الصوري لبعض المناطق الاسلامية. ولكن هذا العمل بنفسه وفرَّ فرصةً لنمواً الصحوة الاسلامية بشكل واسع وانطراح الاحساس الاسلامي بالاسلام الشمولي في الستينيات واتساعه بشكل مرعب للغرب في السبعينيات والثمانينيات.

ثالثاً: فشل كلَّ الحلول والاطروحات البديلة للمقاومة والتغيير؛ لأنّها كانت تحمل في داخلها عناصر فشلها. لقد فشلت الاطروحة القومية الضيقة رغم التطبيل والتزمير، ورغم نزولها المبكر الى الساحة وتحقيقها الكثير من الأهداف الغربية ومحوها الكثير من السمات الاسلامية في تركيا وغيرها. ذلك لأنّها لا تترجم مع الطبيعة الاسلامية التي تتجاوز القوميات.

كما فشلت الاشتراكية؛ لأنها اعتمدت على أسس إلحادية رغم تعتها بعض الشعارات النسجمة مع بعض التعاليم الإسلامية كالعدالة الاجتماعية والدفاع عن المهرومين ومعاداة الاستعمار. وفشل الشكل التركيبي (الاشتراكي القومي) أيضاً لكونه أيضاً تركيب وهي لا ينسجم مع الحس الإسلامي ولا يعبر عن أية إضافة معرفية.

و هنا أودُّ الاشارة بشكل وافر الى التحليل الرصين الذي كتبه استاذنا الشهيد الإمام محمد باقر الصدر حول هذا الموضوع حيث قال: «إنَّ الأمة على الصعيد الإسلامي وهي تعيش جهادها ضد تخلفها وانهيارها وتحاول التحرك السياسي والاجتماعي نحو وجود أفضل وكيان أرضي واقتصادي أغنى وأرقى سوف لن تجد أمامها عقب سلسلة من محاولات الخطأ والصواب إلا طريقاً واحداً للتحرك، وهو التحرك في الخط الإسلامي». ويضيف: «حينما أخذ العالم الإسلامي ينفتح على حياة الإنسان الأوروبي ويذعن لإمامته الفكرية وقيادته لموكب الحضارة بدلاً عن إبعانه برسالته الأصلية وقيمومتها على الحياة البشرية بدأ يدرك دوره في الحياة ضمن إطار التقسيم التقليدي لبلاد العالم الذي درج عليه الإنسان الأوروبي حين قسم العالم على أساس المستوى الاقتصادي للبلد وقدرته المنتجة إلى بلاد راقية اقتصادياً وببلاد فقيرة أو متخلفة اقتصادياً وكانت بلاد العالم الإسلامي كلها من القسم الثاني».

وبعد أنْ ذكر أنَّ العالم الإسلامي ظن كون الخلاص يكمن في تبعية الغرب راح يجد هذه التبعية بالتجهيز السياسية، والاقتصادية والمنهجية التي تخللت إما في الاقتصاد الاشتراكي، أو في الاقتصاد الرأسمالي، وكان لكلٍّ من المنهجين ما يبرره.

بعد هذا راح ينتقد أولئك الذين يغفلون - عند محاولتهم تطبيق خطة ما - العامل النفسي للأمة «فلا بد للأمة بحكم ظروفها النفسية التي خلقها عصر الاستعمار وانكماسها تجاه ما يتصل به أن تقيم نهضتها الحديثة على أساس نظام اجتماعي ومعالم حضارية لا تمت إلى بلاد المستعمرتين بحسب» وكان الحل المقترن هو اتخاذ القومية فلسفة وقاعدة للحضارة، ولكن القومية «ليست إلا رابطة تاريخية ولغوية وليس فلسفة ذات مبادئ ولا عقيدة. فنادت بالاشتراكية العربية تعطية للواقع الأجنبي المتشَّل في الاشتراكية من

الناحية التاريخية والفكرية، وهي تغطية فاشلة لا تجع في استغفال حاسية الأمة؛ لأن هذا الإطار القلق ليس إلا مجرد تأثير ظاهري وشكلي للمضمون الاجنبي... ولا يمكن لدعاة الاشتراكية العربية أن يميزوا الفوارق الأصلية بين اشتراكية عربية واشتراكية فارسية واشتراكية تركية» ويقول وبالتالي: «وبالرغم من أن دعاة الاشتراكية العربية قد فشلوا في تقديم مضمون حقيقي جديد لهذه الاشتراكية عن طريق تأثيرها بالاطار العربي فإنهم أكدوا بعوقيهم لهذا تلك الحقيقة التي قلناها، وهي أن الامة بحكم حاسيتها الناتجة عن عصر الاستعمار لا يمكن بناء نهضتها الحديثة إلا على أساس قاعدة أصلية لا ترتبط في ذهن الامة ببلاد المستعمررين انفسهم».

ويقول عن الاسلام الذي يواجه هذه الاطروحات: «إن هذه القوة مهما قدرنا لها من تفكك وانحلال نتيجة لعمل الاستعمار ضدها في العالم الاسلامي لا يزال لها أثراً كبيراً في توجيه السلوك وخلق المشاعر وتحديد النظرة نحو الأشياء»<sup>(١)</sup>. ونعود الى الكاتبة لنجد أنها أحياناً تشير لهذا العامل حين تؤكد أن العلمانية حققت نصراً زائفاً خلال خمسين عاماً ولم تستطع أن تحقق الطموح وعاد التمسك بالاسلام هو الحال.

رابعاً: ظهور شخصيات توعوية كبرى كان لها الأثر المقاوم في ايجاد هذه الصحة أو مقدماتها أو ترشيدها أو اعطائها طاقات حاسية وفكرية أو منهاها الثقة ب نفسها والأمل الواعد بمستقبلها الحتمي، اضافة للوعود الالهية الحتمية بانتصار المؤمنين، والمُضعفين، وحلول العدل الشامل وظهور المصلح المنتظر(ع).

ويكفي أن ندرج في قائمة هذه الشخصيات الكثير من الكبار من أمثال المرحوم السيد الاسترابادي (الافقاني) - وإن حاولت الكاتبة التشكيك في إخلاصه - والمرحوم محمد عبده - وقد شكت فيه أيضاً بل جعلته عاملاً على اتجاه بعض تلامذته للعلامة - والمرحوم الميرزا الثاني، والمرحوم كاشف الغطاء، والمرحوم الامام الخميني، والمرحوم

(١) افصادنا: المقدمة.

سيد قطب، والمرحوم الامام الصدر، والمرحوم المطهرى، والمرحوم الفرزالى، والمرحوم البهشى، وغيرهم كثیر.

خامساً: و يجب أن لا تنسى دور الطورات والحوادث الكبرى في إذكاء هذه الصحوة من قبيل:

١- تنامي مستوى وسائل الاتصال، والحركة المعلوماتية ووسائل الاعلام المرئية والسموعة.

٢- ارتفاع مستوى التعليم الاسلامي.

٣- تطور أساليب الدعوة الى الاسلام.

٤- توفر بعض أجياء الحرية في العالم الاسلامي.

٥- اشتداد حركة مقارعة الاستعمار.

٦- قيام المؤسسات الدولية الانسانية المدافعة عن حقوق الانسان والداعية لتنظيم العلاقات الدولية على اسس انسانية .

٧- حدوث بعض الحوادث المروعة كاحتراق المسجد الاقصى أو هزيمة عام ٦٧.

٨- انتصار الثورة الاسلامية الكبرى في ايران، وانتصار المجاهدين الافغان على الاتحاد السوفييتي.

٩- انهيار الاتحاد السوفييتي وتحرر الدول الاسلامية.

وغير ذلك من التطورات التي ساهمت في اتساع الصحوة الاسلامية ونشر مفاهيمها ودعوتها في رفض التخلف والتمزق والظلمة، والعودة الى الحل الاسلامي الذي لا بديل له.

ومن الجدير بالاشارة اليه:

أنَّ الغرب لم يأل جهداً في إجهاض الصحوة، و مقابلتها، وإلهاها واتهامها بشَّى التهم من قبيل (التخلف والرجعية، والطرف والاصولية، والعنف والارهاب، والعمل ضد الدينocratic والمحلية، وضرر حقوق الانسان ولم يعد من قدم له الذرائع من المسلمين تمن عرض فكراً رجعياً، أو سلك مسلكاً مطهراً، أو عمل عملاً ارهابياً، أو قاوم الدينocratic والمحلية أو نقض حقوق الانسان. ولكن الواضح تماماً أنَّ هؤلاء لا يتلون

الاتجاه الإسلامي العام فضلاً عن أن يكون سلوكهم ممثلاً للصحوة الإسلامية أو معبراً عن روح الإسلام وتعاليمه، وهو أمر تقرّ به الكاتبة بكل وضوح.

#### النقطة الخامسة

ونركّز فيها على مستقبل الصحوة الإسلامية هذه.

والصورة التي قدمتها الكاتبة صورة قائمة تسجم مع توجهاتها المسجمة عموماً مع طموحات الغرب نفسه. إنها صورة تخلص في إبعاد التأثير الإسلامي عن الحياة، وتغزق مواقف الدول الإسلامية باعتبار اختلاف المصالح الضيق لها، واستدامة عملية العلمنة رغم إن ذلك لن يجعل المشكلات مدام العالم الإسلامي راغباً في اصلاح التوازن السلي للقوة في مواجهة الغرب، (وكانها تعتبر أن الأفضل لهذا العالم الإسلامي أن يتسلم لقدرها، ويقع في خانة العالم المتخلف، وكانتها أيضاً تخدر الغرب نفسه من السماح للعالم الإسلامي للحصول على موقع متقدم، وقوه منافسة؛ لأن ذلك سيزيد من تحدياته - أي العالم الإسلامي - للغرب وطموحاته، في حين أن بقاءه عالماً مختلفاً يعطيه فرصة التسامح!!!).

هذه هي المصلحة التي توصل إليها في نهاية الكتاب.

والحقيقة هي أن هذه الآراء هي قناعة الكتاب المعتدلين إلى حد ما في الغرب، أما المتطرفون فمازالوا يرددون آراء (وليم جيمس) و (هينيتفتون) في ضرورة التعامل مع العالم الإسلامي معاملة الفانية، وضرره بكل قسوة وعدم التعاون معه.

ولكتنا نختلف مع توجهات الكاتبة تماماً.

إننا نلمح في الأفق السمات التالية:

الأولى: اتساع حركة الصحوة الإسلامية وتجذرها بحيث لا تنفع منها أساليب المذف أو التحريف.

وإذا أردنا أن نستدل لهذا التوقع، ونجاوزنا المسألة المقدمة التي نؤمن بها دون أي شك، فإننا نشير إلى مظاهر الصحوة التي تعمّ العالم الإسلامي من ارتفاع مستوى الأمل

لدى جماهيرنا الاسلامية. وانتشار التقاليد الاسلامية كالمحجب وألغاط التعاون والعبادات انتشاراً واسعاً، واتساع حركة المطالبة بتطبيق الشريعة في كلّ الحياة، وتشكل المنظمات الاسلامية ودخولها الى الساحة السياسية والاجتماعية بكل قوة، وانهزام الفكرة العلمانية مرحلة بعد مرحلة، وزوال الأمل بغير الاسلام على الساحة الفلسطينية وأمثالها من سوح المقاومة، واتجاه النخبة والجماهير نحو ثقافة الوحدة والتقارب، والسعى الحثيث على كلّ المستويات لنبذ التخلف، وغير ذلك.

الثانية: اتجاه الدول الاسلامية نحو التعاون الاعظم، والعمل على وضع آليات جديدة لتفعيل المؤسسات الشمولية، واحساسها جميعاً بالخطر المشترك.

ولا نريد أن نكون مغالين أكثر من اللزوم ولكننا ندرك هذه الرغبة لدى القسم الاعظم، ونرجو أن تتحقق خصوصاً وأنّ المسألة لم تعد بيد الحكومات وحدها فالعصر عصر الجماهير.

الثالثة: ارتفاع مستوى أهمية العالم الاسلامي في مختلف المجالات. صحيح أنه أحياناً لا ندرك هذه الأهمية ولكنها حقيقة قائمة لا يمكن انكارها أو التغاضي عنها. فلدي هذه الامة الكم البشري الهائل، والقدرات الاستراتيجية الفريدة، والموقع الجغرافي المتحكم، والعلوم العلمية المتقدمة، وفوق كل ذلك لديها الطاقة الحرارية والحضارية الاسلامية التي لا تتضبّ.

### كلمةأخيرة

إنني أشعر بأنَّ عالمنا الاسلامي - رغم بوادر القوة وطاقات صنع المستقبل فيه - بحاجة الى خطط استراتيجية تقوم على أساس الاعتبار من الماضي، واستشراف المستقبل استشرافاً علمياً، وملاحظة الطاقات المتوفرة لديه، ويعجب أن تلاحظ هذه الخططة إجمالاً:

- ١ - مسألة ربط الامة بفناها القرآنية ودفعها نحو تجسيدها في حياتها العامة بما يحقق التوازن المنشود بين علوّ ما تملكه من تراث، ومدى استفادتها منه، وسمو ما اراده

الله لها من موقع الريادة والإمامية والشهد المحضارى ومقدار إسهامها في المسيرة الحضارية الإنسانية، خطط الإسلام الوحدوية ومدى تطبيقها في الواقع، والطبيعة العلمية المفروضة، والجهود المبذولة لذلك.

ب - الترابط الوثيق بين كلّ من العملية التربوية التعليمية والعملية الثقافية، والعملية الإعلامية، فلا يتم التقدم في أيٌ منها دون التقدم في الأخرى، وذلك لتحقيق: تربية أصيلة تلائم المعاصرة وفيها عناصر التغيير، وثقافة واضحة المعالم لها مرجعيتها الأصيلة التي تقرأ الحياة باسم الله تعالى، وإعلام بعيد النظر له مصداقته.

## **المقال الخامس**

---

---

**خلاصة الموقف الغربي من الصحوة**



## **خلاصة الموقف الغربي من الصحوة الإسلامية**

اطلعنا على تقرير خطير أعدته مؤسسة (راند) بتمويل من مؤسسة ريتشارد سون. ويلخص التقرير التخطيط الغربي الخطير لضرب الصحوة الإسلامية. وقد أثروا نشر ملخصه فقط - كما لخصه معدو التقرير أنفسهم - مع التعليقات القصيرة لنعرف أبعاد المخطط الصهيوني - أمريكي في هذا المجال:

### **ملخص التقرير**

ليس هناك من شك في أنَّ الإسلام المعاصر يعيش في حالة من التقلب وعدم الاستقرار بسبب الانحراف في صراعات داخلية وخارجية حول قيمه وهويته ومكانته في عالم اليوم. حيث إنَّ هناك العديد من القوى المتنافسة التي تسعى للحصول على الميئنة الروحية والسياسية. كما أنَّ هذا الصراع تكاليفه الخطيرة ومضامينه الاقتصادية والسياسية والأمنية على الأجزاء الأخرى من العالم. ونتيجة لذلك يبذل الفرب جهوداً متزايدة للتوصل إلى اتفاق مع هذا الصراع وفهمه والتأثير على مخرجاته.

وكما هو واضح، فإنَّ الولايات المتحدة والعالم الصناعي المقدم، وبطبيعة الحال، المجتمع الدولي بأسره، يفضل عالماً إسلامياً متوافقاً مع باقي النظام الدولي. يكون ديمقراطياً، وقابلًا للنمو اقتصادياً، ومستقرًا سياسياً، ومتطوراً اجتماعياً، ومواباً لأنظمة

وقوانين السلوك الدولي<sup>(١)</sup>. كما أنَّ هذه الأطراف تسعى إلى منع «صراع الحضارات» - في كلِّ أشكاله المحتملة - من اضطراب داخلي متزايد بسبب التزاع بين الأقليات المسلمة والسكان الأصليين في الغرب، إلى حالة الاقتتال المتزايد عبر العالم الإسلامي، وما يترتب عليها من عدم الاستقرار والإرهاب<sup>(٢)</sup>.

وعليه يبدو أنه من الحكمة تشجيع عناصر من داخل المزيج الإسلامي تكون أكثر ملائمة مع السلام العالمي والمجتمع الدولي، وصدقية للديمقراطية والحداثة. ولكنه ليس من السهل دائمًا التعرف على هذه العناصر بالشكل الصحيح وإيجاد الطرق المناسبة للتعاون معها<sup>(٣)</sup>.

إنَّ الأزمة الحالية للإسلام لها مكونان رئيسيان هما: «قدرتة على النمو، وعدم الاتصال مع الاتجاه السائد في العالم»<sup>(٤)</sup>. لقد اتسم العالم الإسلامي بفتررة طويلة من التراجع والوهن النسبي، وللخروج من هذه الحالة كان تبني الكثير من المحلول المختلفة، وذلك مثل القومية، والعروبة، والاشتراكية العربية، والتوراة الإسلامية، ولكنها لم تنجح. وقد أدى ذلك إلى حالة من الإحباط والفضب. وفي نفس الوقت لم يسعط العالم الإسلامي مواكبة الثقافة العالمية المعاصرة، وهي حالة غير مناسبة للطرفين<sup>(٥)</sup>.

(١) وهكذا تُعتبر القيم الغربية هي معيار التقدم، والنظام الدولي الإنساني ويتم السعي لتطبيق هذا المعيار على العالم الإسلامي.

(٢) وكان نظرية صراع الحضارات لم تطلق من الغرب، ولم يصل الغرب على اضطهاد الأقليات المسلمة وتضييع حقوقها.

(٣) وهكذا ينصب الغرب من نفسه قيًّا على السلام والمجتمع الدولي والديمقراطية والحداثة ليبرر لنفسه تجنبه العناصر العميلة لصالح أهدافه.

(٤) هذه خلاصة أزمة العالم الإسلامي وهي: عجزه الناجي عن النمو وعدم تواصله مع القيم الغربية. (٥) يلخص هنا ردود الفعل على هذه الأزمة فيجمع بين المحلول الذي قدمها هو كالقومية، والاشتراكية التي صبها بالصبغة العربية لتكون مقبولة، وبين رد الفعل الطبيعي وهو التوراة الإسلامية، ليتبرأها جيًّا فاشلة في تحقيق المواجهة للثقافة العالمية المعاصرة (الغربية طبعاً).

ويختلف المسلمون حول كيفية التعامل مع هذا الوضع، كما يختلفون حول الشكل النهائي الذي ينبغي أن يكون عليه مجتمعهم. ويكتنأ أن نحدد ثلاثة تظميمات رئيسية:

١. المتشددون الذين يرفضون قيم الديقراطية والحضارة الغربية المعاصرة ويريدون دولة فاشية متزمتة تطبق وجهة نظرهم المتطرفة للقوانين والمبادئ الإسلامية.

وهم ي يريدون استخدام الابتكارات والتكنولوجيا الحديثة لتحقيق أهدافهم.

٢. التقليديون الذين ي يريدون مجتمعاً محافظاً ويشكرون في الحداثة والابتكار والتغيير.

٣. الحداثيون الذين ي يريدون من العالم الإسلامي أن يكون جزءاً من التقدم الذي يسود العالم، كما ي يريدون أن يقوموا بتحديث الإسلام وإدخال الإصلاحات فيه حتى يكون مواكباً للعصر.

٤. العلمانيون الذين ي يريدون من العالم الإسلامي أن يتقبل فكرة فصل الدين عن الدولة كما هو الحال في الديمقراطيات الغربية الصناعية، مع حصر الدين في النطاق الشخصي<sup>(١)</sup>:

لكلٌ من هذه المجموعات موقفه الخاص من الموضع الرئيسية المختلف عليها اليوم في العالم الإسلامي، ومن هذه الموضع: الحريات السياسية والشخصية، والتعليم، ووضع المرأة، والقوانين الجنائية، وشرعية الإصلاح والتغيير بالإضافة إلى تظميماتها تجاه الغرب. إنَّ المتشددين معادون للغرب عموماً وللولايات المتحدة بشكل خاص، حيث إنَّهم يهدون، بدرجات مختلفة إلى تخريب وتدمیر الديقراطية الحديثة، وأنَّ تشجيعهم ليس بال الخيار الصائب، إلا أنَّ يكون ذلك لاعتبارات تكتيكية مرحلية<sup>(٢)</sup>.

أما التقليديون بشكل عام، فلديهم قدر أكبر من وجهات النظر المعتدلة، ولكن

(١) وهكذا يأتي هذا التقسيم إلى متشددين يرفضون هذه القيم فهم فاشيون متطرفون، وتقليديون جامدون، وحداثيون في إطار الإسلام وعلمانيون يحصرون الإسلام في نطاق الشخصي، وهؤلاء هم من يصنفون التطور المنشود، وهنا يتوضح دور الغرب في تركيز العلمانية.

(٢) كما تم دعم حركة طالبان والقاعدة في بعض المراحل.

هناك اختلافات هامة بين المجموعات المختلفة من التقليديين أنفسهم. حيث إن بعضهم أقرب إلى المتشددين، كما أنه لا يوجد بين هذه المجموعة من يتقبل بأخلاص الديمقراطيّة الحديثة وثقافة وقيم الحداثة، وفي أحسن الأحوال يمكن التوصل إلى سلام غير مستقر معهم<sup>(١)</sup>.

إنَّ المحدثين والعلمانيين هما أقرب هذه الفئات للفرب، من وجهة نظر المبادئ والسياسات. ولكنَّهم بشكل عام في موقف أضعف من باقي المجموعات الأخرى، حيث إنَّهم يفتقرُون إلى من يؤيدهم بقوة، كما ينقصهم المال والبني التحتية الفعالة، والبرنامِج السياسي. إنَّ العلمانيين إلى جانب كونهم غير مقبولين كحلفاء في بعض الأحيان بناءً على انتقائهم الفكري العام، يعانون كذلك من بعض المشاكل في التعامل مع القطاع التقليدي في المجتمع الإسلامي<sup>(٢)</sup>.

إنَّ الإسلام التقليدي (الأرثوذكسي) يتمتع ببعض العناصر الديمقراطيَّة التي يمكن الاستفادة منها في تحجيم إسلام المتشددين القمعي الفاشيستي. ولكنه ليس ملائماً لأن يكون الوسيلة الابتدائية للإسلام الديمقراطي. ولكنَّ عبء هذا الدور يقع على المحدثين الإسلاميين، الذين تتأثر فعاليتهم ببعض القيود المفروضة عليهم، وهي ما سنحاول التعرض له في هذا التقرير<sup>(٣)</sup>.

وللقيام بتشجيع التغيير الإيجابي في العالم الإسلامي نحو الديمقراطيَّة والحداثة والانسجام مع النظام العالمي المعاصر، فإنَّ الولايات المتحدة والغرب يحتاجان إلى التمعن وبحذر شديد في العناصر والميول والقوى الإسلامية التي ي يريدان تقويتها، وما هي أهداف وقيم مختلف الحلفاء المحتلين والذين تحت حمايتهم، وما هي الآثار العامة التي تترتب

(١) وهذا ما يبرر التصالح المؤقت مع بعض القوى الرجعية، واستخدامها جسراً لتحقيق الأهداف الغربية.

(٢) اعتراف بأنَّ التوجُّه العام للآباء يرفض الطمانية وتغافل عن أنَّ طبيعة التعاليم الإسلامية لا تسمح مطلقاً بهذا التوجُّه الغريب.

(٣) الهدف اذن لسلام غربي يبذل التراث.

على تقديم أجندتها الخاصة. إنَّ النهج المتنوع التالي والذي يتكون من العناصر التالية ربما يكون أكثر فاعلية في هذا الموضوع:

### دُمِّعُ العَدَائِيْنَ أَوْلَأً :

- طباعة كتاباتهم مقابل تكاليف مدعاة.
- تشجيعهم على الكتابة للعديد من القراء وللشباب.
- طرح وجهات نظرهم في المناهج الدراسية الإسلامية.
- إعطاؤهم برنامجاً سياسياً يعملون من خلاله.
- طرح وجهات نظرهم وأحكامهم حول المسائل الرئيسية للتغيرات الدينية وجعلها في متناول القراء (والملقين بشكل عام) وذلك لمنافسة وجهات نظر المتشددين والتقليديين الذين يتلذذون موقع في الإنترن特 ودور النشر والمدارس والمعاهد، والعديد من الوسائل الأخرى لنشر وجهات نظرهم.
- جعل العلمانية والحداثة بثابة خيار ثقافي بدليل بالنسبة للشباب الإسلامي المتمرد.
- تسهيل وتشجيع وعيهم لخلفيتهم التاريخية والثقافية غير الإسلامية في وسائل الإعلام وفي المناهج الدراسية في الدول المعنية.
- المساعدة في بناء منظمات مستقلة للمجتمع المدني وذلك من أجل تشجيع الثقافة المدنية ومنع المواطنين العاديين الحال لتنقيف أنفسهم حول العملية السياسية، والتعبير عن وجهة نظرهم<sup>(١)</sup>.

(١) وكل هذه الخطط واضحة ولا تحتاج الى تعليق .

### دُم التقليديين ضد المتشددين:

- نشر انتقادات التقليديين لعنف المتشددين وطرفهم على نطاق واسع، وتشجيع عدم الاتفاق بين الطرفين.
- السعي لمنع التحالف بين التقليديين والمتشددين<sup>(١)</sup>.
- تشجيع التعاون بين المحدثين والتقليديين لأنهم الأقرب إليهم<sup>(٢)</sup>.
- تعليم التقليديين، ما أمكن ذلك، لتعين أدائهم في مواجهة المتشددين في المناظرات، حيث إنَّ المتشددين متفوقون في الخطابة، بينما التقليديون غير قادرين على الإفصاح عن آرائهم ويتبعون المفهوم الشعبي للإسلام، وفي بعض الأماكن مثل وسط آسيا ربما يحتاج المسلمون إلى تعليمهم وتدريبهم على ممارسة الإسلام التقليدي حتى يتمكّنوا من المحافظة على وضعهم<sup>(٣)</sup>.
- زيادة ظهور المحدثين ووجهات نظرهم في مؤسسات التقليديين.
- التفرقة بين القطاعات المختلفة للتيار التقليدي، وتشجيع القطاعات التي تتمتع بميل أكبر إلى المحدثة، وذلك مثل المدرسة الحنفية في القانون، ضد القطاعات الأخرى.
- تشجيعهم لإصدار فتاوى وتعيمها لضعف سلطة الوهابيين الرجعيين في تطليقهم إلى نظام الحكم الديني، حيث أنَّ ذلك يتعلق بالتمويل: فالآموال الوهابية تذهب لدعم المدرسة الحنبلية المحافظة. كما أنَّ الأمر يتعلق أيضاً بالمعرفة، حيث إنَّ الأجزاء الأكبر رجعية في العالم الإسلامي غير واعية للتطور الحاصل في تطبيقات الفقه الإسلامي وتفسيراته<sup>(٤)</sup>.

(١) زرع الخلاف بين المناصر المؤمنة بالاسلام.

(٢) لاضفاء صبغة مقبولة على المحدثين.

(٣) متابعة للخطبة حتى ولم تتم ذلك باسم تعليم الاسلام للمسلمين.

(٤) وهكذا يتم خلط الاوراق، وغزيف الصفوف.

- تشجيع شعبية الصوفية وتهيئة المجتمع لزيادة تقبلها<sup>(١)</sup>.

#### **مواجهة المتشددين وعاراتهم:**

- تحدي تفسيرهم للإسلام والكشف عن أخطائهم.
- فضح ارتباطهم بجماعات وأنشطة غير قانونية.
- إعلان ما يترتب على أعمال العنف التي يقومون بها.
- إثبات عدم قدرتهم على الحكم وتحقيق النمو الإيجابي في بلدانهم ومجتمعاته.
- توجيه هذه الوسائل إلى الشباب خصوصاً، وإلى المجتمعات التقليدية المدينية، والأقليات المسلمة في الغرب، وإلى النساء.
- تحجب إيداه التقدير أو الإعجاب بأعمال العنف التي يقوم بها المتشددون المتطرفون والإرهابيون. ويجب وصفهم بأنهم أناس مضطربون وجبناء، وليسوا أبطالاً عاضبين.
- تشجيع الصحفيين لعمل تحقيقات صحفية في دوائر المتشددين حول الفساد والتفاق والأعمال غير الأخلاقية<sup>(٢)</sup>.

#### **دهم انتقالي للعلمانيين:**

- تشجيعهم لاعتبار المتشددين كعدواً مشترك، والسعى لنزع العلمانيين من إقامة تحالف مع القوى المعادية للولايات المتحدة وذلك مثل القوميين واليساريين.
- تشجيع وجهة النظر القائلة بأنَّ فصل الدين عن الدولة يمكن أيضاً في الإسلام، حيث إنَّ ذلك لا يشكل خطراً على الدين، بل على العكس من ذلك ربما يؤدي إلى تقويته<sup>(٣)</sup>.

(١) فالإنزال هو اسلام الطرق وبعض الطرق الصوفية تشجع ذلك.

(٢) وهذا الأسلوب جميعها نشهد لها عياناً وخصوصاً في الساحة الصحفية.

(٣) هذا الاسلام الذي يريدون. اسلام بعيد عن الحياة وممزوج في المساجد.

وبصرف النظر عن المنهج أو المناهج المتعدة التي يمكن أن يقع عليها الاختيار، فتreq أن يكون التطبيق على قدر كبير من المذم والتروي، مع الأخذ في الاعتبار الوزن الرمزي لمواضيع معينة. أما الوسائل فيجب إسنادها إلى صناع القرار في الولايات المتحدة وتطبيقهم لها، ولتنظيمات معينة في هذه الموضوعات، حيث إنَّ التائج المترتبة على هذا التخطيط بالنسبة للفعاليات الإسلامية الأخرى، بما فيه المخاطرة بالعرض للخطر أو التكذيب من قبل المجموعات والشعب التي تناول مساعدتها. وتکاليف الفرص البديلة والتائج غير المتوقعة من تقبل للموضوع والحالة التي ربما تبدو ملائمة على المدى القصير<sup>(١)</sup>.

---

(١) وهكذا يصنع القرار هناك ويتم تطبيقه هنا، ومع كلِّ هذا يراد هنا أن لا نصدق نظرية المؤامرة.

**ملحق**

---

---

**مقابلتان صحفيتان**



## حول هموم الثقافة والمواجهة والتغيير<sup>(١)</sup>

■ التوحيد: يبدي المسؤولون وأجهزة الإعلام في الجمهورية الإسلامية منذ فترة اهتماماً واسع النطاق بالجمعة الثقافية الغربية ضد الإسلام. هل تعدّ هذه الجمعة ظاهرة جديدة في الصراع الإسلامي - الغربي؟ وما هي جذورها التاريخية؟

■ أعتقد أنّ للمسألة جذوراً تاريخية كما قلت. فالاستعمار وجه الكفر والعصيان الإنساني للحقيقة المعنوية في الكون، ولذا فالعمل الطاغوتي يتمّ بطابع واحد عبر التاريخ. ولما كان الإنسان ذا جوانب متراقبة هي: (الجانب العقائدي، والجانب الإحساسى، والجانب السلوكي) فإنَّ الطغیان استهدف كلَّ هذه الجوانب لقتل الشخصية الإسلامية في الأمة.

وقد راح عبر التاريخ الطويل يزرع الشبهات تلو الشبهات في النفوس تجاه العقيدة والتصوّر الإسلامي، وهي شبهات تدرج في التقىد، كما استهدف الجانب الإحساسى العاطفى ليحيط ذلك الشعور بالاخوة الإسلامية، ويحمل محمله الإحساس المخلٍ أو القطري أو القومي أو حتى الوطني الضيق، بالإضافة إلى عمله على إيجاد جو من المادية السلوكية والعلمانية على شئٍ الصُّدُّ، ليتَّسَّى له وبالتالي قتل كلَّ هذه الجوانب في شخصية الإنسان المسلم. ويعنكم أن تجدوا هذه الكلمات غازخ خلال تاريخ الصراع الإسلامي مع أوجه الكفر والطغیان.

هذا بشكل عام، أمّا عندما نركّز على تعامل الكفر مع الجمهورية الإسلامية وما حمله وبثّرت به من تصوّر أصيل للإسلام والحياة على أساسه نجد عمليتين متوازنتين يقوم بهما الاستكبار العالمي في هذا الصدد:

إحداهما : غير مباشرة، من خلال التصعيد للحملة ضد العقيدة الإسلامية، والتاريخ، والحضارة الإسلامية، ضد المُلْقَى والشريعة. وذلك على يد عمالاته المفكّرين في المنطقة الإسلامية، أو على أيدي مفكّريه ومنظريه هو وبشكل مباشر وطبيعي.

(١) لقاء مع مجلة التوحيد التي تصدر في طهران.

إن أيّ وهن أو شبهة توجّه للعقيدة، أو يصاد به الخلق العام، أو تبلّى به العقلية الشرعية، يمُدُّ ضربة للحركة الإسلامية العامة التي فجرتها الثورة الإسلامية، والصحوة الإسلامية التي وسّعها، وبالتالي فإنَّ هذه الضربة سوف تتجه في النهاية إلى الجمهورية الإسلامية وبادئها.

أما المخطة الثانية: فهي المقطة المبجومية المباشرة للبني الثقافية في الجمهورية الإسلامية، ومحاولة التخريب الثقافي من داخل الجمهورية الإسلامية، وذلك عبر أساليب كثيرة، منها:

١ - تشجيع الأفكار البعيدة عن الإسلام والتي تحملها بعض التجمعات الصغيرة التي تأثرت بالفكر الماركسي أو الفكر القومي أو الوطني وأمثال ذلك، لكي يتم إضعاف الاتجاه الشوري الإسلامي الأصيل، وهي من قبيل حركة مجاهدي خلق (المنافقين) وما يسمى بـ(نهضة الحرية) وأنصارها.

٢ - العمل على تسيير عناصر عملية فكريًا - على الأقل - تحمل عناوين معروفة لطرح نفسها على الساحة الثقافية، ومن ثم تقوم بهمة الإضعاف المطلوبة، وما نشاهد من وجود طرحت نفسها إعلامياً من خلال الصحافة المشبوهة هي مظاهر هذه المخطة.

٣ - الارتفاع بمستوى الإرسال المسموع والمرئي، ليقوم بدور الواقع القوي لحمل الثقافة الغربية إلى داخل الشعب الإيراني، وبالتالي تحقيق تلك الأهداف التي ذكرتها في المقدمة، واتنا لنشهد جهوداً غربية وعملية مكثفة لتحقيق هذا المدف.

■ التوحيد: كيف تقوّمون الدولات السياسية والممارسة بهذه المجمة، ماضياً وحاضرًا؟ وما هي الدوافع التي تقف وراءها؟

■ إنَّ الدولات السياسية والممارسة لهذا الهجوم العريق هي هي لم تبدل. إنها صراع الطاغوت - بكلِّ ما يمثله من مصالح بشرية ضيقة، واستغلال بشع للقوة - ضدَّ المستضعفين، وعمل على السيطرة وإشباع النهم السلطوي لدى الأفراد أو الجماعات أو حتى لدى الشعوب القوية على الشعوب الأخرى. إنها صراع الممارسة المادية التي اغرت عن خط الفطرة ضدَّ الممارسة الإنسانية التي حاولت أن تتحقق في وجودها كلَّ ما أراده الخالق تعالى لها، لتسير نحو هدف الخلق المنشود.

■ التوحيد: هل حقَّ الفزو الثقافي أهدافه؟ وما هي الأسباب التي كانت وراء ذلك؟ ■ يبدو أنَّ المجمة الثقافية - بشَّئَ صورها - لم تحقق أهدافها، فها هي الجمهورية الإسلامية تقف اليوم مرفوعة الرأس، قوية الأركان، متلاحة العناصر، عالية الصوت، مؤثرة في بناء وعي المماهير الإسلامية، وراسمة لكلِّ طموحات هذه الأمة.

أما التشويه السياسي لمواهبي المدنية فقد اضطُرَّ الاستكبار للتراجع عنه، وكمثال على ذلك

اعتراف كلَّ الأبواق التي طبَّلت وزَمَّرت لِلطُّفْنَةِ الْعُبْتِيَّةِ العَمِيلَةِ بِأَنَّهَا هِيَ الْمُتَدِّيَّةُ وَأَنَّ الْجَمْهُورِيَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ قَدْ وَقَعَتْ ضَحْيَةَ الْعَدُوَانِ الْفَاشِمِ.

وَأَمَّا التَّشْوِيهُ الْعَقَانِدِيُّ فَهُوَ هِيَ الْأُورَاقُ الصُّفُرُ الَّتِي حَوَّلَتْ خَلْقَ الْهُوَةِ الطَّاغِيَّةِ بَيْنَ الشُّورَةِ وَجَاهِيرِهَا تَسْرِّعًا وَتَهَرَّبًا، وَهَا هُوَ الْمَجْوَمُ التَّقَافِيُّ الْعَامُ ضَدَّ الْعِقِيدَةِ وَالْتَّارِيخِ يَوْاجِهُ بَصَلَّابَةَ كَمَا حَدَثَ فِي قَضِيَّةِ الْمُرْتَدِ سَلْمَانَ رَشْدِيِّ.

وَأَمَّا التَّشْوِيهُ الْعَطَبِيِّ، وَأَعْنِي بِهِ التَّشْكِيكُ فِي قَدْرَةِ الْتُّورَةِ عَلَى تَفْيِذِ الْقَوَانِينِ الإِسْلَامِيَّةِ فَإِنَّ الْعَالَمَ يَشَهِّدُ هَذَا التَّحْرُكُ السَّرِيعُ نَحْوَ تَطْبِيقِ كُلِّ الْقَوَانِينِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَى شَتَّى مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ دُونَ هُوَاوَةٍ.

■ التَّوْحِيدُ: الْفَزُورُ التَّقَافِيُّ وَالْمَجْمَعُ التَّقَافِيُّ مَصْطَلِحَانِ يَسْتَخْدِمُهُمَا الْإِسْلَامِيُّونَ لِلدلَّالَةِ عَلَى وَجُودِ صَرَاعٍ تَقَافِيَّ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْغَربِ، بَيْنَا يَنْفِي الْمُتَغَرِّبُونَ فِي عَالَمِنَا الْإِسْلَامِيِّ وَجُودَ هَذَا الْصَّرَاعِ وَلَا يَرَوْنُ ضَرُورَةً فِي اسْتِخْدَامِ هَذِينِ الْمَصْطَلِحَيْنِ؛ لِأَنَّهُمْ يَفْسُرُونَ الْوَضْعَ الْقَانِمَ بَيْنَ الْغَربِ وَالْمُسْلِمِينَ: (تَضَافِعُ الْمُخَارَابَاتِ) وَيَرَوْنُ أَنَّ الْمَاضِيَّةِ الْإِنسَانِيَّةِ تَمْثِيلُ دَانِيًّا بَقْطَبَ مَعْنَى فِي الْأَرْضِ، وَتَسِيرُ الْبَشَرِيَّةُ تَبَعًا لَهُ. وَالْمَرْجَلَةُ الْحَاضِرَةُ تَعْتَبِرُ دُورَةً جَدِيدَةً مِنَ التَّضَافِعِ الْمُخَارَابِيِّ بَيْنَ الْغَربِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَكَمَا كَانَ أُورُوبَا ضِيفًا عَلَى حَضَارَتِنَا، غَنِّ الْيَوْمَ ضِيَوْفَ عَلَى حَضَارَةِ الْغَربِ. كَيْفَ تَقْوَمُونَ هَذَا الْادْعَاءُ؟

■ هَذَا بِالضَّيْبِطِ مَا أُوْكِدَ عَلَيْهِ، إِنَّ التَّضَافِعَ إِنَّمَا يَكُنْ تَصُورَهُ بَيْنَ الْمَاحَاتِ الَّتِي تَرْكَهَا الْأَسْرُ وَالْمَبَادِئُ حَرَةً لِيَتَمَّ مِلْءُ فَرَاغَتِهَا فِي ضُوءِ مَعْطَيَاتِ الْعِلْمِ وَمَقْتضَيَاتِ الرِّزْمَانِ وَالْمَكَانِ وَالْتَّجَارِبِ الْإِنسَانِيَّةِ الْمُتَدَّةِ. وَهَذَا مَا نَجَدَ التَّشْرِيعُ الْإِسْلَامِيُّ لِلْحَيَاةِ يَنْظَطُ لَهُ بِدَقَّةٍ وَبِشَكْلٍ يَعِرُّ عَنْ أَرْوَاهُ مَرْوَةِ مَتَصُوَّرَةٍ وَيَضْمُنْ اسْتِعْبَادَ مُخْتَلِفَ التَّصْوِيرَاتِ. أَمَّا التَّضَافِعُ بَيْنَ الْمَبَادِئِ الْتَّائِفَةِ أَصْلًا بِلَ وَالْمُتَضَادَةِ وَالْمُتَاقَفَةِ فَهُوَ بِالضَّيْبِطِ مَا حَوَّلَ الْجَاهِلِيَّةَ الْقَعِيَّةَ أَنْ تَغْرِرَهُ عَلَى الدُّعَوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَوَاجَهَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِعِبَارَتِهِ الْمَحَالِدَةُ: (اللَّكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِي). إِنَّ الْمَرْوَةَ فِي هَذَا الْمَحَالِ تَحْوِلُ إِلَى مَيْوَعَةٍ وَاقْلَابَ رَهِيبَ.

■ التَّوْحِيدُ: مَا هِيَ اسْتِرَاتِيجِيَّةُ الْجَمْهُورِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِمَوَاجِهَةِ الْفَزُورِ التَّقَافِيِّ؟

■ اسْتِرَاتِيجِيَّةُ الْوَحِيدَةِ هِيَ (صَبْعُ الْإِعْلَامِ بِالصَّيْفَةِ الْقُرْآنِيَّةِ) وَأَعْنِي بِهَا ذَلِكَ اِتَّبَاعُ الْأَسَالِبِ الَّتِي أَتَبَعَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي مَوَاجِهَةِ الْمَجْوَمِ التَّقَافِيِّ الْكَافِرِ. وَلَا أَسْتَطِعُ أَنْ أُشَيرَ إِلَى كُلِّ الْمُطَهُوتِ الْإِعْلَامِيِّ الْقُرْآنِيِّ، لَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْعِنُ مِنْ ذَكْرِ الْمُطَهُوتِ الْتَّالِيَّةِ:

- ١ - الدُّعَوَةُ وَالْتَّبْلِيغُ (يَا يَحْسَلُهُ هَذَا الْلَّفْظَانُ مِنْ مَدَالِيلِهِ) هِيَ الْأَصْلُ الْأَوَّلُ. يَقُولُ شَهِيدُ الْتُّورِ الْإِسْلَامِيِّ الْكَبِيرُ أَيْتَ أَفَهُ الصَّدْرُ فِي هَذَا الصَّدْدِ؟ (وَالْأَمْرُ الْآخِرُ أَنْ يَبْدأَ الدُّعَوَةُ الْإِسْلَامِيُّونَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ) - بِالْإِعْلَانِ عَنْ رَسَالَتِهِمُ الْإِسْلَامِيَّةِ وَإِيَاضَ مَعَالِمِهَا الرَّئِيْسِيَّةِ مَعَزَّزَةً بِالْمَجْعَجَعِ

والبراهين، حتى إذا أتت للإسلام حجتها ولم يبق للآخرين مجال للنقاش المنطقي السليم وظلوا بالرغم من ذلك مصرئين على رفض التور... عند ذلك لا يوجد أمام الدعوة الإسلامية - بصفتها دعوة عالمية تتبئي المصالح الحقيقة للإنسانية - إلا أن تشقّ طريقها بالقوى المادية).

٢ - استحضار النظرة الفيبية إلى جانب المحسابات المادية وذلك في كل تحليل أو توقيع مستقبلٍ.

٣ - الاتصاف بروح البعية للحقيقة واحتساب ما يخالف الموضوعية.

٤ - المدففة في كل خطوة.

٥ - التنسيق بين كل الخطى.

٦ - الواقعية والفاعل المستمر مع الأحداث الاجتماعية.

٧ - المنطقية في العرض والابتعاد عن الطفحية.

٨ - الفاعل الوج다اني مع الهدف، والعمل على تأجيج الحرارة التورية في النفوس المؤمنة.

٩ - الأخلاقية الإعلامية.

١٠ - توبيع الأساليب الإعلامية بما يتناسب والواقف المختلفة.

١١ - العالمية في الاهتمام.

١٢ - رصد التحركات التآمرية للشياطين على وجود الأمة الإسلامية.

١٣ - التأكيد على النقاط المشتركة... وغير ذلك.

إنها خطوط فرائية يسعى الإعلام الإسلامي للتخلّي بها، وله تعالى هو الموقف لتحقيق هذا الهدف العظيم، وبعدهار وصولنا إليه نستطيع أن نضمن التصدي للهجمة الثقافية.

■ الترجيد: بالنظر إلى توافر الإمكانيات الثقافية في العالم الإسلامي، ما هي - بنظركم - الميزات التي يمكن أن تحرّك هذه الإمكانيات وتغدو منه؟

■ طبعاً الإمكانيات الثقافية والمعنوية أكبر وخصوصاً في العالم الإسلامي حيث الأرضية المناسبة، وحيث الإيمان الشامل بالإسلام على اختلاف درجات الوعي به، والالتزام بمقتضياته، وحيث آثار التربية الإسلامية ترك بصماتها الواضحة، وحيث التطلع العام لسيطرة الإسلام على الحياة، وحيث الفطرة الأنثى، إلا أنَّ المهم كون الإعلام الإسلامي يجب أن تتوافر فيه ميزات حتى يستطيع أن يستمر هذه الإمكانيات ويستخدمها لتحقيق هدفه الكبير ومن هذه الميزات:

أ - امتلاك القدرة الثقافية والعلمية إلى الحد الذي يستوعب فيه مقولات الإسلام وتصوراته.

ب - استيعاب المحوادث الجارية والإحاطة بالتحرك العلمي السياسي والإعلامي والثقافي.

جـ - استخدام أفضل أساليب العرض.

دـ - الإيغان العميق بتحقق الإسلام.

هـ - التخلص من كل ذلية أو ضيق أفق أو مصالح شخصية.

وـ - ملاحظة الأرضية الإيمانية التي أشرنا إليها ومحاولة استارة الطاقات الكامنة.

زـ - التمتع بالمناصن القرآنية التي أشرنا إليها قبل هذا.

■ التوحيد: هل توفرت على رصد الوسائل والأساليب المستخدمة من قبل الغرب في هذه المجمعة؟ ما هي النتائج التي توصلت إليها بهذا الصدد؟

■ أستطيع أن أقول بكل ثقة إنَّ الغرب جرَّب كلَّ وسائله الممكنة لضرب الثورة الإسلامية، وألقى بكلِّ أوراقه، ومن هنا يمكننا أن ندعُّي المعرفة بشئ الوسائل وربما لم يكن الأمر بحاجة إلى كثير من الجهد.

أما نتائج هذا الرصد فما يكتفي التصريح به هو أننا نستخدم كلَّ ما اكتشفناه ضدَّه، طبعاً مع الالتزام بالحدود الإسلامية التي هي مرعبة حقاً ومؤلمة له، ولذلك نجده يقوم أحياناً بحركات هستيرية يخالف بها كلَّ مدعياته، لكي يصدُّ أمام هذه الضربات.

■ التوحيد: في الثقافة الإسلامية مبدأ يقول: (لا ينتشر المدى إلا من حيث انتشر الضلال) أين يقع هذا المبدأ في المواجهة الإسلامية للهجمة الثقافية؟

■ لا أريد أن أرفض هذا المبدأ على اطلاقه أو أقبله كذلك على اطلاقه، وإنما أقول: إنَّ علينا أن ننظر في الأساليب ونظرتها، بل وندع فيها ونكشف الأساليب المعادية سعيًا في إبطال مفعولها أولاً، واستخدامها ضد العدو ثانياً.

■ التوحيد: ما هي المبادئ الأساسية التي يعتمد عليها الإعلام الإسلامي في الجمهورية الإسلامية؟

■ نحن نعتمد أهم مبدأين في عملنا، وهما:

١- تأييد الله تعالى.

٢- تأييد المؤمنين عبر تعاطفهم وتلاميذهم ووعيهم للأهداف التوروية، وهذا العاملان هما اللذان ذكرهما الآية المباركة:

(هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالمُؤْمِنِينَ \* وَأَلْفََ بْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جِيعَانًا مَا أَنْفَتَ بْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ أَلْفََ بْنَ قُلُوبِهِمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

إنَّ جاهير الأمة الإسلامية هي ساحتنا الطبيعية ووسيلتنا الكبرى لنشر الوعي الإسلامي وتحكيم شريعة الله في الأرض. وحينما تدخل الجماهير الساحة فلن تخف أمامها أية قوة.

وأمامكم الحالة الفلسطينية النازفة حيث المجاهير المؤمنة تفاصي أعنى القوى وأضخم الأسلحة، وتحدى كلَّ التأمر وكلَّ المخطط بيد عزلاً.

إنَّ المجاهير هي صانعة الثورة الإسلامية وهي حاملتها إلى الواقع الماثم، وهذا ما أكدَ الإمام الخميني (رحمه الله) في مناسبات عديدة:

فتلأَّخِبَدُهُ فِي كُلِّمَتِهِ الْمُوجَّهَةِ إِلَى الْعَالَمِ فِي طَهْرَانِ عَامِ ١٩٨١ يَقُولُ: «إِنَّا جِيَّعاً رَهْنَ لَحْبَهِ هَذِهِ الْمُجَاهِيرُ الظَّيْمَةُ، إِنَّهَا تُطْعِي كُلَّ شَيْءٍ فِي سَيْلِ الْإِسْلَامِ وَلَا تَطْلُبُ شَيْئاً».

وَهُذَا بِالْتَّأْكِيدِ مَا يَطْرُحُهُ آيَةُ اللهِ الْخَامِنِيُّ قَانِدُ الثُّورَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي كُلِّ مَنَاسِبَةٍ: «إِنَّ الْأَمَّةَ يُكَهَا أَنْ تَصْنَعَ الْتُّورَةَ كَمَا يُكَهَا أَنْ تَعْتَضِنَهَا وَتَغْنَى عَنْهَا كُلَّ عَادِيَّة».

■ التوحيد: ما هو دور مبدأ (تصدير الثورة) الذي طرحته الثورة الإسلامية في مواجهة المعلوم التقافي الغربي المعادي؟

■ لقد كان الإمام الخميني يؤمن ببدأ (تصدير الثورة) ولكن لم يكن يعني به الصورة التخريبية التي منحها إيهاب الإعلام الغربي، أي صورة التصدير بالسلاح. إنه كان يركِّز على الجانب التقافي والحضاري في آن واحد وقد خاطب سفراه الأقطار الإسلامية بمناسبة عيد الفطر عام ١٤٠٠ هـ فاقنلاً:

«إِنَّا نَتَبَرَّرُ الْأَقْطَارَ الإِسْلَامِيَّةَ جِيَّعاً جِزْمَاً مِنْ وَجْهَدِنَا دُونَ أَنْ يَعْنِي ذَلِكَ أَنْ تَقْدِي وَجْهَدَهَا الْمُسْتَقْلُ، وَإِنَّا نَرِيدُ لَهَا أَنْ تَسْتَعِنَّ بِمَا يَتَمَكَّنُ بِهِ التَّعْبُ الإِيَّارِانيُّ مِنْ مَزاِيَا الْمُخَلَّصِ مِنْ بَرَانِ الْقُوَى الْكَبِيرَى وَقَطْعُ أَيْدِيهَا عَنْ مَنَابِعِ الْمَيَاةِ، نَرِيدُ لَهُذِهِ الْمَحَالَةِ أَنْ يَتَسْعَ مَدَاهَا لِتَشْمِلَ كُلَّ الشُّعُوبِ، إِنَّا نَعْنِي بِتَصْدِيرِ الْتُّورَةِ أَنْ تَسْتَقِظَ كُلَّ الشُّعُوبِ وَكُلَّ الْمُحَكَّمَاتِ وَتَخْلُصَ مِنْ قِيَودِ الْتَّبَعِيَّةِ وَالْتَّسْلِطَةِ».

إِنَّا نَعْتَقِدُ - فِي ضُوءِ هَذَا الْمَبَداً الْمَهِمِ - أَنَّ التَّمَوُজَ الْتُورِيَّ الإِيَّارِانيِّ إِذَا تَمَّ تَعْمِيمُهُ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ عَلَى مَقاوِمَةِ أَيِّ غَرْوٍ تَقَافِيَّ مِنْ جَهَةٍ، وَتَسْتَبِعُ الْوَجُودُ الإِسْلَامِيُّ عَلَى أَرْضِهِ مِنْ جَهَةٍ أُخْرَى.

■ التوحيد: ما هو مستقبل الثقافة الإسلامية في ظل تهارى أعمدة الثقافات المادية والاخلاقية في عصرنا الراهن..؟

■ أعتقد أنَّ الثقافة الإسلامية ينتظرها مستقبل زاهر، باعتبار ما تتحلى به من ميزات وخصائص تجعلها الثقافة الإنسانية الوحيدة التي تعمل على إشباع المسوح المعنوي للبشرية، وهو ما نشر به الـ يوم بشكل واضح، بالإضافة إلى هذا الإقبال العظيم لـ مجاهير الأمة الإسلامية على الإسلام، الأمر الذي يفتح آفاقاً جديدة في هذا المجال.

## حول الصحوة الإسلامية والإعلام<sup>(١)</sup>

■ السؤال الأول: إنّا نلاحظ إقبالاً عالياً على الإسلام في الفترة الأخيرة، فبمَ تعلّلون ذلك؟

■ أعتقد أنّ هناك عوامل كثيرة أوجدت هذا الإقبال العالمي على الإسلام في الفترة الأخيرة، وربما كان أهمّها ما يلي:

١ - ما يتمتع به الإسلام من تعاليم منسجمة تمام الانسجام مع الفطرة تشبع حاجة الوجدان، وتسمو بالأخلاق، وتعامل مع طبيعة الإنسان تعاملأً واقعياً، وتنظر إليه ككل، وتعمل على حل كل مشكلاته، وتحقق الانسجام بين الجانب العقائدي، والجانب العاطفي، والجانب السلوكي. وهذه المقوّاب وإن كانت تمثل في الإسلام منذ انتلقة قبل أربعة عشر قرناً، إلا أنّ الذي أوجد هذا الإقبال الأخير عليه من خلالها ناتج عن نهضة فكرية عملية قام بها المفكرون الكبار، لشرح هذه المصادن، وعرضها بأسلوب يتناسب ومتطلبات المصري، ويحييّب عن تسازاً لاته، ويشرح المقوّاب المضيّنة في هذه الشريعة، وهؤلاء هم من أمثال الإمام التميمي، والإمام الصدر، وسيد قطب، والشهيد الطهري، وأبي الأعلى المودودي، ومالك بن نبي وغيرهم.

٢ - فتلّ معظم الاطروحات الادينية في إشباع حاجة الإنسان إلى المأمن الروحي الحقيقي، لا بل فتشلها في إشباع حاجاته المادية وتحقيق ما يصبو إليه من سعادة. وقد أدى تساطع هذه النزاهات الاحمدية إلى تكوين موجة بشرية هائلة متوجهة إلى الدين من جديد، ليشعّ لها نبها وجوعتها، ولما لم يكن هناك من دين فيه كلّ هذه الجاذبية وهذا الشمول وهذه النظرة المياباتية المتّسعة وهذه الواقعية في التعامل غير الإسلام، كان من الطبيعي أن يجد الإقبال الواسع عليه وعلى تعاليمه.

(١) لقاء مع مجلة رسالة الثقافة (نامه فرهنگ) الصادرة بطهران، باللغة الفارسية، العدد ٣/٢٣ بتاريخ ١٤١٧/١٠، ١٣٧٥/١٢، ١٩٩٧/٣.

٣ - نجاح بعض التجارب الإسلامية في بعض المناطق، وفي طليعتها تجربة الثورة الإسلامية الكبرى في إيران بقيادة الإمام الخميني الراحل (قده)، حيث قدّمت هذه الثورة غاذج كبرى للنورة الشبيهة الحالية التي تناصي كل المصالح المادية الضيقة في سبيل تحقيق الأهداف المعنوية الكبرى، وحيث استطاعت أن تكسر الكثير من الأساطير من قبيل: أسطورة انحسار الثورة بالمبادئ المادية وبالخصوص في الاشتراكية، وأسطورة انتقام العالم - لا محالة - إلى قوتين لا ثالث لها، وأسطورة عدم إمكان لاستقلال في المجال السياسي، وأسطورة (الدين أفيون الشعوب) وأمثالها. وقدّمت للعالم تصوراً جديداً عن مشاكله وحلوها، بعيداً عن التصورات السابقة، مما دفعه لتفهم هذه التصورات. كما أنها استطاعت أن تعنى الجماهير المسلمة وتزرع في نفوسها الأمل الكبير بالمستقبل، مما فتح أمام العالم كلّه أفقاً جديداً لم يكن ليتصوره من قبل.

■ السؤال الثاني: ما هي العوامل التي اتّجهت هذا التوسيع الكبير في حركة النهضة الإسلامية في السنتين الأخيرتين؟

■ من الطبيعي أننا بهذا السؤال ننتقل إلى مجال العالم الإسلامي، ونركز عليه. والذي تصوره أنَّ أهم العوامل لهذه الظاهرة الكبرى - ظاهرة الصحوة الإسلامية - تكمن في ما يلي: أولاً: نفس ما أشرنا إليه في جوابنا السابق. طبعاً مع ملاحظة التأثيرات الأوسع لتلك العوامل في عالمها الإسلامي؛ لأنَّ العالم الإسلامي أقرب كثيراً من غيره إلى تفهم تراثه القديم، والتعامل بكلِّ تصوراته وعواطفه مع هذه الرسالة، من خلال إيمانه بها. حتى ولو كان هذا الإيمان ضعيفاً أو موروثاً، إلا أنه - على أي حال - يوفر جواً طبيعياً للتعامل الأكبر مع القضية الإسلامية، خصوصاً بعد تبيان جوانبها من قبل أولئك المفكرين الذين أشرنا لهم آنفاً.

على أنَّ فشل الأنظمة الأخرى أرجع الكثير من الشاردين عن المسيرة الإسلامية (من المسلمين) وأعاد لهم الثقة بسلامتهم العظيم.

ثم إنَّ نجاح التجربة الإسلامية أوجد شعوراً جاهيرياً كبيراً بعظمة الإسلام، وأعاد للأمة اعتزازها ب نفسها، ونعتها بمستقبلها، وقدرتها على صنع هذا المستقبل.

ثانياً: نضيف - في هذا المجال - عاملًا جديداً وهو الدور الريادي لبعض المركبات الإسلامية في نشر التوعية والحماس التوري بين أبناء الأمة. وقد اختلف تأثير هذه المركبات على هذه المنطقة أو تلك، كما اختلف مستوى الوعي والحماس لدى هذه المركبة أو تلك، إلا أنها نجحت في تأجييج الشوق الجماهيري نحو تطبيق الإسلام، وأوجدت شعوراً ذا مساحة معدٍّ بها بلزوم مقاومة مظاهر الطاغوت والعودة إلى الإسلام.

**ثالثاً:** ردود الفعل التي أعقبت الهجوم الغربي الفاشل على العالم الإسلامي، فبالرغم من التخطيط الدقيق لهذا الهجوم، والعمل على أن يتوزع مختلف الجوانب، وبالرغم من التزوير القومي، والوطني، والمتصري، والتاريخي، وبالرغم من أنه زرع في وجود الأمة البذرة السرطانية الخبيثة، وأطلقها بالسکام الملاه، وسرّب إليها سومه الفكرية والعاطفية، وملا حياتها بالجهون والترف والفقق، فإنَّ هذا الهجوم أنتج نتائج عكية، إذ أيقظ الأمة وعلّمها أنَّ عزتها تكمن في إسلامها، وقد كان تأثير الهجوم بشكل معكوس بأسلوبين:

الأول: أنه كشف نفسه وحضارته وأخلاقه أمام أبناء هذه الأمة، وراح يحاول أن ينهب خيراتها، ويحطم شخصيتها، ويعيّنها بقيمة.

**الثاني:** أنه دفع الحريصين المؤمنين بمستقبل الأمة إلى اتخاذ موقف المواجهة، والتخطيط للصحوة، وكان من جملة ما انكشف زيفه للجماهير المسلمة تلك الصبغة الرجعية للحكومة الإسلامية، وتلك الاطروحات الموهّة للوحدة الإسلامية.

وهكذا أثّرت كلَّ هذه العوامل أثراً كبيراً في الإسراع بالصحوة والنهضة مما جعل الأمة على اعتاب تعوّل تاريخي كبير، نسأل الله جل وعلا أن يحقق قريباً عاجلاً.

**■ السؤال الثالث:** أين ترون مركز هذه النهضة الإسلامية الدينية؟

**■** طبيعة الحال لا أعدو إيران في هذا المجال. فهي اليوم قلب النهضة الإسلامية الأصلية، ومنبعها الدفّاق. لا أقول هذا عبادة أو تعصباً، وإنما أقول ذلك عن وقوف حسن على واقع العالم الإسلامي، وتلمسُ كامل لكلِّ أبعاد الصحوة والنهضة الإسلامية. فالكلِّ اليوم ينظر إلى إيران باعتبارها المورِّد والنموذج والإمام والموجه، بل أستطيع أن أقول: إنَّ العالم كله يذعن لهذه الحقيقة، ولا أدلُّ على ذلك من تجتمع التآمر المادي للدين ضد إيران، وغركزه على هذه التورّة الإسلامية. وربما أمكنني الإشارة إلى دور إيران في المؤتمرات العالمية كالقاهرة وبكين وغيرهما، حيث وقفت تحمل لواء الدفاع عن الدين عموماً والإسلام خصوصاً بكلِّ قوّة، وأذعن العالم لهذا الوقف والصمود.

إذا تجاوزنا إيران أستطيع القول بأنَّ مظاهر النهضة تشمل كلَّ العالم الإسلامي على اختلاف في ما بين مناطقه من حيث الوعي والإحساس.

**■ السؤال الرابع:** ما هو دور الفكر الإسلامي والفكر الشوري في العلاقات الدوليَّة القائمة؟

**■** إذا أردنا أن ندرك عمق هذا الدور علينا أن نلاحظ الأمور التالية:

- ١ - مساحة التخطيط والتآمر ضدَّ الإسلام ضدَّ التورّة الإسلامية. وهي مساحة واسعة

حقاً تتمثل في تجمّع العقول السياسية المخططة في مراكز علمية وسياسية لا تُخفي لدراسة هذه الظاهرة، واتخاذ الاستراتيجيات الجامحة ضدّ نوّها وانتشارها، ومحاولة الفصل بين الجماهير الإسلامية، لا بل الجماهير المستضفّة وبين قيادتها. كما تتمثل في وسائل الإعلام الموجهة ضدّ الإسلام ومظاهره، وضدّ كلّ ما يتّصل إلى الإسلام. وتتمثل أيضاً بالمؤتمرات الدوليّة واسعة الأبعاد والتي تعمل على مسخ الهوية الإنسانية وتفكيك عرى العائلة الإنسانية، ونشر التفكّك والتنّيّع، والفساد الأخلاقي، كما تتمثل في عشرات المعاهدات والاتفاقيات التي تقدّم بين الدول الكبّرى نفسها، وبينها وبين دول المنطقة لوقف هذا التحرّك الإسلامي العظيم، بل إنّا نجد الغرب يعطي الضوء الأخضر للشيوخين لاستعادة دورهم القيادي في الجمهوريات الإسلامية المُسلمة والتي انفصلت عن الاتحاد السوفياتي، لا لشيء إلا خوفاً من وصول المذاهب التوري الإسلاميّة هذه المناطق.

ولا نستطيع هنا أن نتوسيّع كلّ هذه المساحة، وإنّا نريد الإشارة إلى أنَّ كلَّ ردود الفعل هذه تترك أثراً كبيراً على الساحة الدوليّة، وتغيّر من الاستراتيجيات الدوليّة والمعاهدات، وتفتح مجالاً تصوّر عدوًّا كبيراً للعالم الغربي، وصبّ كلَّ الاهتمامات لتدمير هذا العدو الكبير، كما تترك أثراًها في سعي الدول الاستكبارية لاستغلال الأمم المتحدة والمحاكم الدوليّة الأخرى للوقوف أمام هذه النّهضة ومحاصرتها، والعمل على ضربها في مهدّها، وقطع اتصالها بجماهيرها. ولذلك أستطيع القول - بكل صراحة - إنَّ المركبات التوريّة الإسلاميّة هي المأجوس الأكبر للطاغيّين وهي حجر الزاوية في كلّ خطّيّط استراتيجي عالمي.

■ السؤال الخامس: هل تعتقد بما يقوله بعض السياسيين من أنَّ الإسلام قائم على أساس العداء للحضارة الغربية، أو أنَّ الثورة الإسلاميّة جاءت لتدمير النظام الغربي؟

■ لتلخيص العلاقة بين الإسلام والغرب أوضح ما يلي:

أ - أتصوّر أنَّ الإسلام - بمقتضى واقعه المروفة - يسعى عن طريق الدعوة والمرض إلى مخاطبة الفطرة الإنسانية، والتّأكيد على أنَّ كلَّ ما جاء به من تصوّرات عن الواقع والحياة إنما يقوم على أساس منطقي سليم وينسجم مع تطلعات الفطرة الإنسانية، المفروض أن يحصل الجواب المعرّف الموضعي للاستماع إلى صوت الإسلام.

وبالرغم من المدرّبة التي ينتّمّ بها العالم الغربي أو يدعّيها في فتح المجال للآراء في أن تعرّض نفسها إلى أنَّ الإسلام يواجه عقبات كبرى في هذا الصدد، وألهما التشويش والتّشويب الدعائين الواسع الأبعاد ضدّه وضدّ مقدّساته، وذلك عبر القوات الإعلامية الواسعة وبختلف الأساليب الماكّرة التي كثيراً ما تستغلّ الفنَّ والقصة والعلم لتمرير أفكار معادية للإسلام، وأؤكد أنَّ هذه الحملة تطلق من منطلقات:

الأول: تعصي، حيث نجد الجهات المتصبة الصليبية تحمل حقداً تاريخياً ضد الإسلام، دوغاً تأمل في ما يطرحه الإسلام من أفكار إنسانية.

الثاني: مصلحي، انطلاقاً من النظرة المادية الرأسمالية للحياة؛ لأنَّ الإسلام يقتضي مبادئه لا يسمح أولاً بخضوع الشعوب الإسلامية للمصالح التوسيعة الفردية، كما لا يسمح - بشكل عام - باستغلال المستضعفين من قبل الأقوياء المستكبرين، الأمر الذي يقف عقبةً أمام الاستغلال المادي الوضيع.

الثالث: قومي وطني، انطلاقاً من تصور الغرب أنَّ المسيحية أو بشكل عام الدين الذي لا يتدخل في معممات الحياة هو من المتصانص الوطنية والتوجهية للشعوب الأوروبية، وهذا فهم خاطئ للدين والتراث الوطني والقومي، وهو الأمر الذي يرفضه المنطق الضميري للبنية الإنسانية، فاللهم أن يدين الإنسان بدین الحق بعيداً عن مسائل العصب الطائفي والتوجهي والوطني.

وأخيراً: فإنَّ امتلاك الإسلام لتصانص الدين القائم على الحياة وأساليبه المعنوية والأخلاقية هي المدخل البديل للفراغ المعنوي الذي تشعر به الإنسانية، وهو أحد العوامل المهمة التي حطمَت نظام الامماد الشرقي وقضت على أحلامه، وبالتالي أعطت دوراً جديداً للتعاليم الإسلامية. لسلامة الفراغ بعد أن لم تكن باقي الأديان على مستوى الحاجة المضاربة الموجودة.

ب - أعتقد أنَّ أفكار العالم العربي قد طرحت بشكل كافٍ في مجال العالم الإسلامي. فالملتفون المسلمين يطالعون غالباً - وباستمرار - ما يتتجه هذا الفكر، بالإضافة إلى أنَّ الجماهير الإسلامية اليوم مفرقة بأحداث العالم العربي التي تبتُّ أخبارها وسائل الإعلام الغربية.

بل إنَّي أعتقد أنَّ ما يعرض في العالم الإسلامي عن الغرب فيه الكثير من المبالغة المقصودة، الأمر الذي قد يغوي الكثيرين بهذه الجنة الموهومة، وهم لا يعلمون ما تتبعه هذه المضاربة المادية من نقاط ضعف كبرى تزق العلاقات العائلية، وتقتضي على الروح الإنسانية، وتحرك الكوامن الحيوانية الفريزية دوغاً سيطرة.

ج - لا يمكننا أن ننكر كون الكادر الإعلامي العربي مدركاً لرسالته ومنجماً مع حضارته، ويعرف بدقة ما هي واجباته بغض النظر عن مدى إنسانية هذه الرسالة وتلك الواجبات.

أما الكادر الإعلامي في العالم الإسلامي فالذى أظنه أنه في الفالب بمحاجة ماسة لفهم الرسالة الإسلامية وأهدافها المضاربة وواجباته تجاه هذه الرسالة، وأظنَّ أنَّ أكبر نقاط الضعف

التي ابْتَلَى بها هذا الكادر هو عدم توفر ذلك الفهم الكامل من جهة، والتبعية الممتهنة لأهواه الحكومات المصلحية بل والعملية أحياناً من جهة أخرى. ومن هنا فإنَّ عليه أن يحرر نفسه من هذه القيود، وبدأ مرحلة جديدة تحكمها خطوط عمل أساسية مستمدَة من معنِّي الرسالة الإسلامية، وفي طليعتها: ضرورة نشر الروح التغييرية التورية التي يريد الإسلام أن تنشر في النفوس فتعملها مستعدة لتطبيق كلَّ تعاليم الإسلام على كلِّ شؤون الحياة.

د - اعتقاد أنَّ كلاماً لا يدرك الآخر، وربما كان من الصعب أن نصل إلى قواسم مشتركة، وسرَّ هذا الأمر أنَّ مبادتنا ومنطقنا مختلفان تماماً. فالعالم الإسلامي يقوم على أسس تصورية لا يؤمن بها الغرب، والمعكس بالعكس.

وكمثال على ذلك نلاحظ الأسس التالية:

١ - النظرة الإنسانية: وهي وجود أسليل يسوق الإنسان إلى الحقيقة الإلهية بشكل طبيعي، وبدونها يفقد الإنسان إنسانيته.

٢ - الأخلاق الفاضلة: المعدل، التعاون، الإخلاص للمبدأ وما إلى ذلك هي جزء لا يتجزأ من إنسانية الإنسان.

٣ - الإنسان الفرد والمجتمع يحتاج لتنظيم شؤون حياته كلها للعودة إلى الله والى الدين والقيم في الحياة.

٤ - التكامل البشري من مقومات الحياة الاجتماعية، والفوارق الطبقية والعرقية، والقومية، والوطنية أمور منبودة بشرياً.

٥ - الغرائز الجنسية بحاجة لضبط عاقل يضمن قيام علاقات عائلية متكافئة.

٦ - الاستغلال والاستعمار والاعتداء وتسخير مصادر الآخرين لمصالح ضيقة، واحتلال أراضي الغير، وإهانة المقدسات، كلها أمور مرفوضة.

هذه بعض الأسس فهل تتحقق عليها؟ المسلمين يقبلونها بشكل تام، ولكن هل ينسجم معها الغرب؟ أستطيع أن أؤكد كون الغرب قد لا يدرك كنهها؛ لأنَّها بعيدة عما اعتاد عليه مع الأسف.

نعم إذا استطعنا أن نصل إلى مستويات من التفاهُم حول هذه الأسس وأمثالها فقد يكون من الطبيعي أن نصل إلى قدر مشترك من الفهم المتبادل لبعضنا بعضاً. ولست متشائماً في تحقيق هذا المهدِّف إذا توافرت الية المخلصة والموضوعية المطلوبة لمعرفة الحقيقة.

إنَّي أعتقد كون البشرية جماء تسير شيئاً فشيئاً نحو مرحلة فناء التزعزعات الاحادية والظواهر الإنكارية الله تعالى، بالرغم من وجود بعض التوجهات الصغيرة دائمةً.

- وهناك علامات كبرى تشير إلى هذا الاتجاه المضارى نستطيع أن نشير منها إلى ما يلى:
- ١ - هذا الاتجاه العالمي لإقرار حقوق الإنسان، فإنه ويرغم أغاثات الاستغاثة السينية من الميادن العالمي لحقوق الإنسان من قبل الدول الكبرى، إلا أنه يغير عن اتجاه معنوي نحو إقرار الحقوق الإنسانية التي نادت بها الأديان، وأى إنكار للجانب الروحي والفطري للإنسان يفقد الإنسان أي ادعاء للحقوق الإنسانية.
  - ٢ - هذا الاتجاه العالمي للجماهير نحو الحلول الدينية بعد فشل كلَّ الحلول المادية. إنه اتجاه حضاري يحاول الماديون إنكاره. ويعمل المستعمرون على كتبه وختقه والتآمر عليه، إلا أنه اتجاه حقيقي، فالجماهير - سواء في العالم الإسلامي أو في غيره - أدركت أنَّ السعادة الإنسانية إنما تكمن في إحياء القيم المعنوية واستعادتها وجودها في حال الإنسان.
  - والأمر في العالم الإسلامي أوضح، فالجماهير الإسلامية اليوم تعمل على استعادة دور الدين في الحياة، وهي تتوسل بكلِّ الوسائل المشروعة لإقامة نظام إسلامي للحياة بالرغم من كلِّ العقبات التي توجد في طريقها. فالنصر اليوم هو عصر الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي، وهو عصر الاتجاه نحو المعنويات كما عبر الإمام الخامنئي قائد الثورة الإسلامية في إيران.
  - ٣ - هذا الانهيار الم하لي للنظام الاحادي الشيعي نتيجة عناقه للفطرة الإنسانية، وهو ما أشار إليه الإمام الخميني في رسالته التي وجهها إلى غورباتشوف قبل الانهيار بأكثر من عامين، حيث قال له: إنَّ الشيوعية مرشحة للدخول في متحف التاريخ، لأنَّها تحالف الفطرة الإنسانية، ودعاة إلى الدين وبالخصوص إلى الدين الإسلامي، لأنَّ الإشاع الحقيقى للجوعنة الإنسانية، وهذا ما اعترف به غورباتشوف في خطاب الاستقالة حيث قال بأنَّ الانهيار كان بسبب إنكارنا للنعم الإلهية.
- وعلى أي حال فإنَّا نستبشر خيراً بعصر الدين والمعنىات، أما ما يقال أحياناً من أنَّ الحكم الديني سوف يؤدي لاضطهاد الأقليات فهذا أمرٌ موهون، فإنَّ القواعد الدينية الإسلامية توجب على الدولة احترام حقوق الأقليات، ومنع أفرادها درجة المواطنة الكاملة وحمايتها من أي اعتداء. وتاريخ الإسلام شاهد على هذه المعاملة بالرغم من أنَّ الإسلام لم يكن مطبقاً بشكل كامل إلا في فرات قصيرة. وتنزع الأقليات في الجمهورية الإسلامية الإيرانية اليوم بكلِّ الحقوق شاهد على هذه المعاملة.
- إنَّى أعتقد كون عودة الحكومات الدينية إلى الحياة سوف ترك آثاراً كبيرة على العلاقات الدولية، حيث ستؤدي روح التعاون المشترك لنشر الأخلاق الحميدة، وتم عمليه تحريرك الطاقات الإنسانية الكامنة، وتقام الحياة على أسس متينة منجمة مع الفطرة.

وائشى لأنظر عالماً يسوده العدالة، والتعاون والسلام والمحبة الدينية، والتفاهم الموضوعي، وهو ما بشرت به كل الأديان وتغلى في الإسلام بالاعتقاد بظهور المهدى الذى سيملأ الأرض قطعاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهذا فاني أعتقد كون البشرية يجب أن تسعد بل وتعلم على إقامة نظام ديني عالمي يحقق الأهداف السامية للبشرية.

■ **السؤال السادس:** عندما يدخل الدين إلى عالم علماني تنفصل سياسة عن دينه فهل تغير علاقاته الأساسية بشكل كامل؟

■ أعتقد أن من المسلم به كون النظام الاجتماعي لا يمكنه أن ينفصل عن الایديولوجية التي يعملها المجتمع (موضوع التطبيق لذلك النظام) بل لا يمكن تصور قيام نظام حياتي شامل دون أن يسبقه تحديد للموقف من الوجود والإنسان والحياة، أي دون أن تسبقه فلسفة معينة، وحتى الرأسمالية التي طرحت فكرة فصل المسألة الاجتماعية عن المسألة الواقعية لم تسطع مطلقاً أن تنجو من نظرة مادية خالصة للحياة.

وعليه فعندما يدخل الدين إلى الحياة فمعنى ذلك أنه ينفذ إلى عمق الوجدان الاجتماعي، وبغير القاعدة التي يطبق عليها النظام، ومعنى ذلك أيضاً أنه يخاطط لوضع المحلول الناجمة لكل مشكلات الحياة ويبادر إلى حلها، وفقاً لتصوراته (طبعاً إذا كان هذا الدين ديناً واقعاً واجتماعياً يطرح حلوله لكل المشكلات الاجتماعية).

ومن هنا نستطيع التأكيد على أن الدين عندما يدخل إلى أي ساحة يعمل على تغييرها تغييراً جذرياً، ويحاول أن يصوغ علاقاتها وسياساتها وفقاً لنطاق جديد.

■ **السؤال السابع:** ما هو تصوركم لمستقبل النهضة الإسلامية؟

■ انطلاق في تصورى من أمور:  
أولاً: من دراسة التاريخ الإنساني الذي يتسم - برغم كل النكسات - بالسير الصاعد صالح الأهداف المعنوية.

ثانياً: من فناعي باللطف الإلهي الذي سير بالإنسانية نحو الكمال.  
ثالثاً: من الوعود القرآنية القطعية بالنصر المؤكد للحركة الإسلامية إذا صدقـت مع تقـها وتحلـت بكلـ المـصـاصـنـقـ القرـآنـيـةـ.

وأعتقد بعد هذا: أنـ الفـدـ أـمـامـ الـنهـضـةـ الـإـسـلـامـيـةـ مـشـرقـ،ـ خـصـوصـاـ إـذـ لـاحـظـناـ ماـ تـمـتـعـ بـهـ عـنـاصـرـ الـنهـضـةـ مـنـ حـيـوـيـةـ مـبـدـعـةـ،ـ وـإـمـكـانـاتـ مـادـيـةـ وـمـعـنـوـيـةـ،ـ وـإـيـانـ جـاهـيـرـيـ بـعـتـقـلـ هـذـهـ الـنهـضـةـ،ـ وـقـافـةـ حـضـارـيـةـ مـقـرـوـنةـ بـالـتـضـحـيـةـ وـالـإـيـثارـ.ـ وـأـعـقـدـ أـنـ كـلـ مـنـ لـهـ بـصـيرـةـ يـدرـكـ قـاماـ أـنـاـ عـلـىـ أـعـتـابـ عـالـمـ يـسـودـ حـكـمـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ.